ساعدت وزارة المعارف على نشره



تأليف

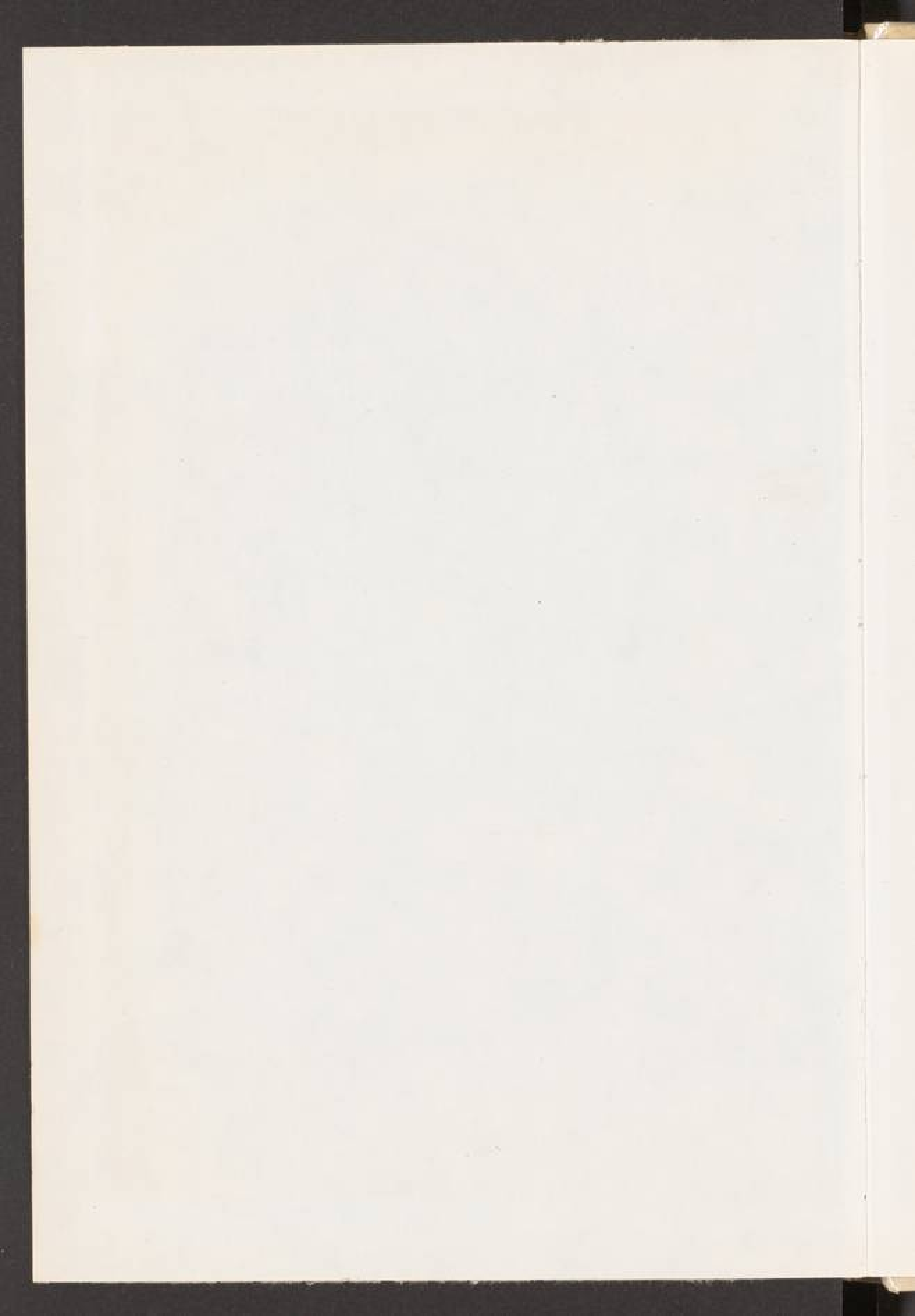
سعيد الديوه جي

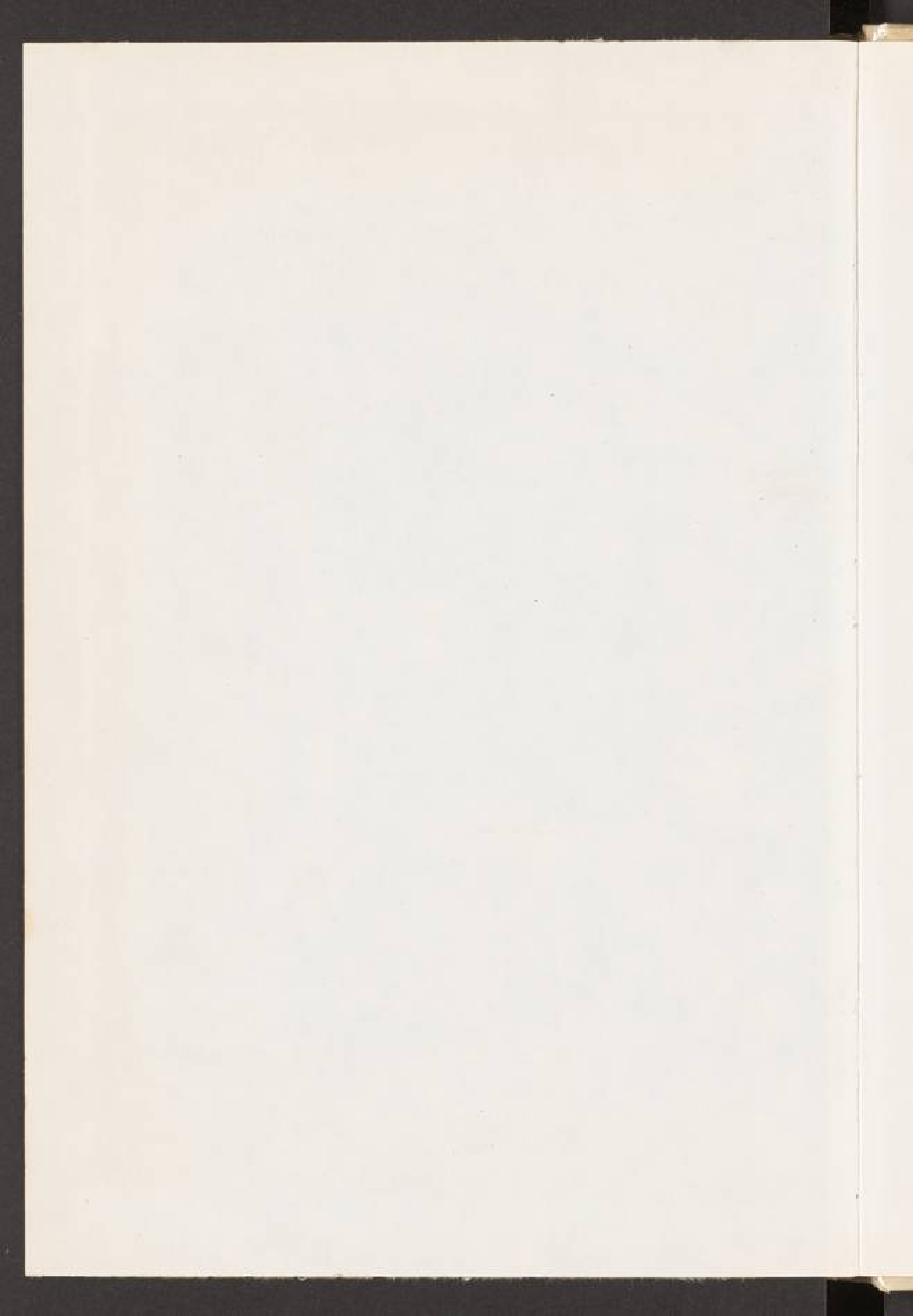
مدير متحف الموصل

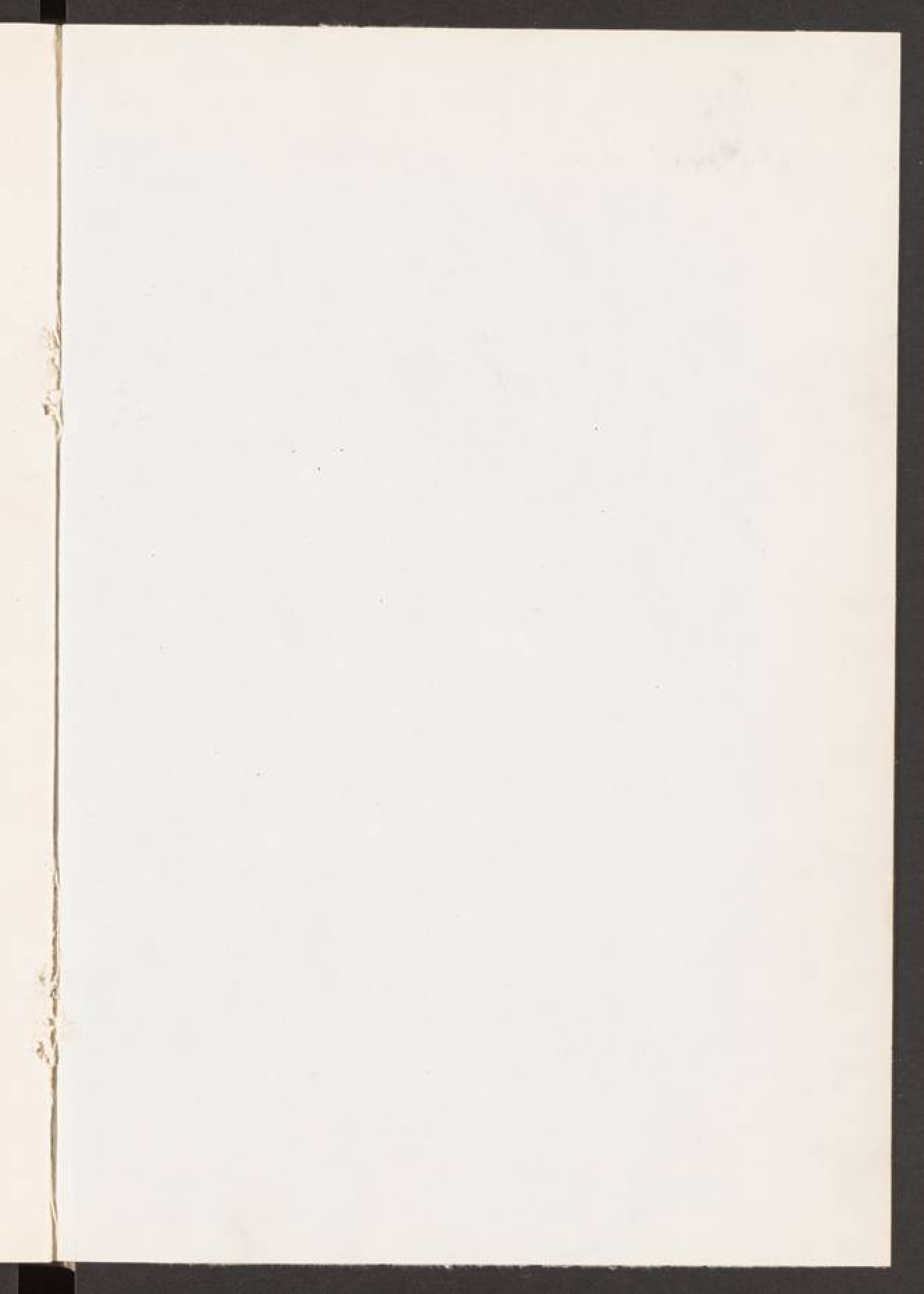
١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨م

مطبعة شفيق - بغداد تلفون ٤٢٠٩


BOBST LIBRARY
3 1142 01682 3166







ساعدت وزارة المعارف على نشره



تأليف

سعيد الديوه جي
مدير متحف الموصل

١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨م

مطبعة شفيق ـ بغداد تلفون ٤٢٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كانت الموصل ـ على عهد الدولة الاتابكية ـ من امهات المدن فى العالم الاسلامى ، تقدمت فيها العلوم والمعارف ، وازدهرت فيها الصناعةوالتجارة والزراعة ، وتوسعت فيها العمارة ، حتى صارت احدى بلاد الدنيا العظام •

وكانت جيوشها من اقوى الجيوش التى صدت زحف الصليبيين عن الهلال الخصيب ، وكسرت شوكتهم بعد ان توغلوا فى البلاد •

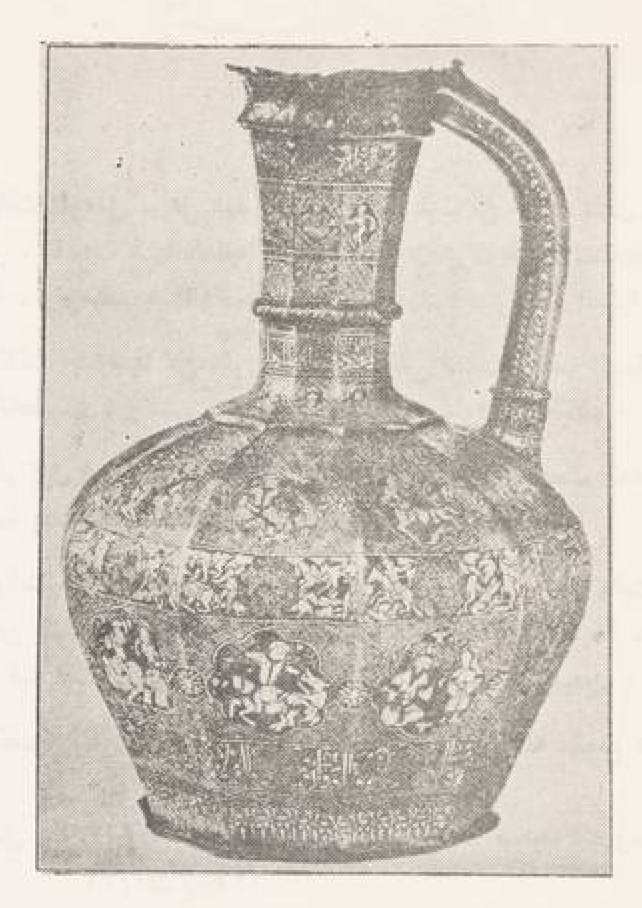
ولم تزل فى الموصل آثار شاخصة • وفى متاحف العالم تحف فريدة، تشهد بما بلغته الصناعة من الدقة والابداع فى ذلك العهد •

ورأينا من المفيد ان نؤلف كتابا مجملا ، نصف به ما كانت عليه المدينة من التقدم والازدهار ، ونعرف بآثارها وخططها القديمة ، ونؤمل ان يجد فيه القارىء وصفا حقيقيا لما كانت عليه « ام الربيعين »

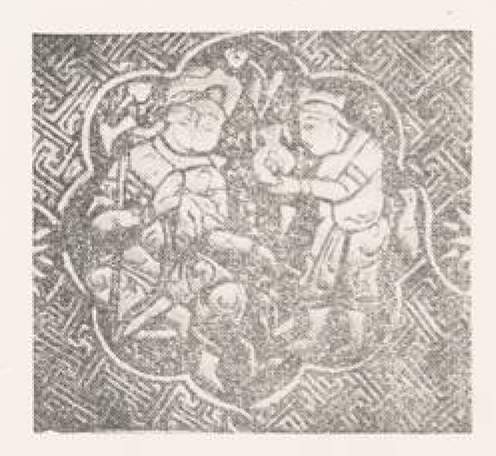
ونحمد الله الذى وفقنا لهذا ، ونسأله العون ، انه سميع الدعاء •

الموصل : ١١/رمضان/١٣٧٧
٣١/آذار/١٩٥٨

سعيد الديوهجي



شكل (١) ابريق من النحاس المطعم صنعه شجاع بن منعة الموصلي سنة ٦٢٩



شكل (٢) بعض الصور التى تزين ظاهر الابريق

الموصل
قبل العهد الأتابكي

١ ـ الموصل قبل الاسلام

اتخذ الآشوريون مدينة نينوى عاصمة لهم سنة ١٠٨٠ ق م وحصنوها فأقاموا حولها القلاع ، ومنها القلعة التى كانت فى الجهة الغربية من دجلة تقابل مدينة نينوى •

تقع هذه القلعة فوق « تل قليعات » الذى يشرف على السهول الغربية المقابلة لمدينة نينوى ، كما يشرف على السهول التى بين نينوى والموصل •

كانت هذه القلعة ـ الحصن ـ النواة لمدينة الموصل ، فان مناعة الموقع ، وخصب السهول المجاورة لها ، وقربها من دجلة ، ووجود حامية فى الحصن ، ووقوعها على طرق رئيسية تصل بين طرفى الهلال الخصيب ـ كل هذا شوق الناس على أن يسكنوا حول الحصن المذكور ، وأخذت البيوت تزداد على مر السنين •

وفى سنة ٦١٢ ق م سقطت مدينة نينوى فدمرها الاعداء وقتلوا أهلها ، ولم ينج من سكانها الا القليل ، ولا شك أن التخريب والقتل أصاب الحصن الغربي ومن حوله •

وبعد ان هدأت الاحوال واستتب الامن فى البلاد ، تراجع بعض السكان الذين سلموا من سيوف الاعداء الى نينوى ، واسسوا لهم حصنا على « تل توبة » فى نينوى ، كما أن قسما منهم رجعوا الى الحصن الغربى فرمموه وسكنوا فيه (١) •

وصار قرب دجلة حصنان ـ أحدهما « الحصن الشرقى » وهو الذى فوق «تل توبة» يقابله فى الجهة الغربية من دجلة « الحصن الغربى » الذى فوق « تل قليعات » •

وفى القرن الرابع قبل الميلاد ـ ازدادت العمارة حول الحصن الغربى وصار قرية لها شأن يذكر ، وجاء ذكرها فى رحلة العشرة آلاف بقيادة زنفون باسم مسبلا • « فذكرت فى الرحلة كينه ولرسه بالتعاقب مما يرجح ان تكون العاصمتين الآشوريتين القديمتين آشور ونمرود • ثم خاضوا

---

(١) مجلة « المجلة » (١ : ٢٧ ، ٢٨)

الزاب الاكبر ، اما الموصل فيدعوها زنفون باسم مسبلا Mespila ومما يؤسف له أن زنفون كان يسير في الجانب الشرقي من النهر ، فشاهد مدينة الموصل ، فيكون مما لا ريب فيه قد سار على أنقاض نينوى دون أن يدري بذلك » . (١)

وعلى هذا فقد صار « لمسبلا » شأن يذكر بعد سقوط نينوى لموقعها المهم الذي يصل بين عدة أقطار ، وهذا الموقع نفسه سبب للمدينة ويلات ومصائب عديدة ، فقد كانت ساحة للحروب التي استعرت نيرانها بين المتنازعين على الحكم ، فكانت الجيوش تكتسحه فتدمر ما به .

وكان الكتبة الآراميون يسمون الموصل « حصن عبورايا » أي « الحصن الغربي » تمييزا له عن الحصن الشرقي ـ نينوى ـ (٢).

وفي القرن الثاني للميلاد توسعت المدينة فكان حول الحصن بيوت وجنينة ، ثم اخذ الفرس يهتمون بأمرها ويعززون حماية الحصن بالجيش والعدد .

وممن اهتم بأمرها هو قباذ الاول ٤٨٨ ـ ٥٣١ م فانه بنى عدة قرى بالموصل والعراق ، ونقل العرب والفرس اليها وأمرهم بالعمارة . (٣)

وفي عهد كسرى الاول انوشروان ٥٢١ ـ ٥٧٩ م كانت الحرب سجالا بين الروم والفرس . فأغار الروم وأخربوا الموصل وباعربايا أكثر من خمسين فرسخا ونكبت المدينة من هذا . (٤)

وفي عهد كسرى ابرويز بن هرمز ٥٧٩ ـ ٥٩٠ م اهتم بتعزيز موقع الموصل . فبنى عدة دور فيها وحصنها ، وأتى بخلق من فارس واسكنهم فيها فتوسعت المدينة وكانت من معاقل الفرس القوية التي تصد زحف الروم

---

(١) الرافدان (ص : ١٢١) انظر « الموصل » في دائرة المعارف البريطانية

(٢) الديوره (ص : ٥٠)

(٣) ، (٤) التاريخ السعرتي (ص : ١٢٥ ، ١٠٥)

عنها (١) .

ولما ملك كسرى الثانى بن هرمز الرابع ٥٩٠ -٦٢٨ م امر ببناء دور كثيرة حول الحصن ، وسكن الناس فيها ، وكان العرب يغيرون على هذه المدينة ويسبون سكانها . (٢)

وقبيل الاسلام صارت تعرف بـ « نيو اردشير » ولاشك انها لاقت اهتماما من أردشير(٣) وسميت باسمه «نيو اردشير» أى اردشيرالجديدة .وأما الكتبة الآراميون فكانوا يسمونها « حصن عبورايا » اى الحصن الغربى . ويذكر البشارى أن العرب كانوا يسمونها «خولان»(٤) وعلى هذا فقد صار للموصل حصن له سور وأبواب .

وان المؤرخين العرب صاروا يطلقون اسم الحصنين على نينوى والموصل ـ جاء عن فتح الموصل سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) ما يأتى ـ « دبر ربعى بن الافكل خطة الفتح مع القبائل العربية بأن يسبقوا الجيش العربى ويذهبوا الى اهل الحصنين ويظهروا لهم انهزام العرب ، وظفرهم عليهم فى تكريت ويلزموا ابوابها ، ولما اقتربوا من الحصنين اخبروا اهلها بان الفوز كان لهم على العرب ، ففرح أهل الحصنين وفتحوا لهم الابواب » .(٥)

وكانت الموصل وقت الفتح الاسلامى تشتمل على ثلاثة أحياء : حى المجوس وهم الفرس الذين سكنوا الموصل ، والذى نراه انهم سكنوا فى الجهة الجنوبية من الحصن .

وحى النصارى : كان قرب بيعة « مار ايشعيا » الحالية وكانت تسمى (دير ربان ايشوع بارقسرى) نسبة الى الراهب الذى اسس الدير حوالى

---

(١) ، (٢) التاريخ السعرتى (ص ٣٣ ، ١٢٥) (١٩٩ ، ٢٠١) (١٠٧ ، ١٠٩) الرافدان : ١٥٣

(٣) عرف ثلاثة ملوك باسم اردشير فلاندرى أيهم هو الذى اهتم بها (الرافدان ١٥٨ ، ١٥٩)

(٤) أحسن التقاسيم (ص : ١٤٦)

(٥) سومر (٧ : ٢٢٣ ، ٢٢٤)

سنة ٥٧٠م وهى تقع فى الجهة الشمالية من الحصن ، ولم تزل باقية الى اليوم •

أما اليهود فكانوا يسكنون « المحلة الاحمدية » • وهى المحلة التى كانوا يسكنونها قبل ان هاجروا الى فلسطين • ويدعى اليهود انهم سكنوا هذه المحلة بعد سبيهم من بيت المقدس وان الكنيسة التى تقع فى جنوب غربى المحلة المذكورة هى أقدم كنيسة لهم ، أسسوها عندما سكنوا الموصل • ولم تزل باقية على حالها •(١)

أما العرب فقد سكنوا الموصل وبلاد الجزيرة منذ القرن الثالث للميلاد، والقبائل التى انتشرت فى هذه الديار هى بكر وتغلب وأياد والنمر •

أما النمر فقد سكنت نينوى • جاء عن صهيب الرومى : انه من النمر بن قاسط الذين كانوا يسكنون نينوى ، وان الروم أسروه من نينوى عندما أغاروا على هذه الديار ، وبعد اسلامه قدم عليه أهله من نينوى الى المدينة المنورة •

كما أن العرب من أهل الجزيرة ساعدوا العرب الفاتحين فى وقعتى تكريت والموصل •(٢)

٢ ـ فتح الموصل

فتحت الموصل سنة ١٦هـ = ٦٣٧م والقبائل التى اشتركت فى الفتح هى (تغلب واياد والنمر) بقيادة ربعى بن الافكل العنزى • كانت منتشرة بين تكريت والموصل ، ولاشك ان قسما من هذه القبائل سكنت الموصل بعد الفتح ، والقسم الكبير منها استمر فى الزحف على البلاد المجاورة وخاصة اذربيجان وارمنيا •

وفى سنة ١٧ هـ ٦٣٨ م عين الفاروق عتبة بن فرقد السلمى واليا على الموصل وهو الذى بنى المسجد الجامع ، والى جانبه دار الامارة ، وكان

---

(١) ، (٢) سومر (٧ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) المجلة (١ : ٦٦٦) طبقات ابن سعد (٣ : ١٦٢)

بها أحد الاجناد الستة التى جندها الفاروق وجعلها تابعة للكوفة .[1]

وفى خلافة عثمان بن عفان كثرت هجرة القبائل العربية اليها خاصة بعد ان توطدت الامور واستقرت الفتوحات ، واخذ العرب يقطنون البلاد المفتوحة ويتخذونها مقاما لهم .

واول من نزلها من القبائل هى - الازد وطى وكندة وعبد قيس . نزل منها اربعة آلاف ، وامر عليهم الخليفة عثمان بن عفان « عرفجة بن هرثمة البارقى » وسعى البارقى فى توسيع الموصل وتعميرها فاختط منازل العرب فيها ، ووسع الجامع الذى كان قد بناه عتبة بن فرقد السلمى[2] . ويذكر ابن الاثير ان الهجرة الى الموصل زادت فى خلافة على بن ابى طالب، فهاجرت القبائل العربية من الكوفة والبصرة ، وهكذا توسعت الموصل واتخذها العرب دار اقامة لهم .

٣ - الموصل فى العهد الاموى

انقضى دور الراشدين ، والموصل فى توسع حتى صارت من امهات أمصار الجزيرة وبلغ خراجها فى خلافة معاوية بن أبى سفيان أربعة ملايين درهم .[3]

واهتم الامويون بالموصل كثيرا نظرا لاهميتها الحربية والتجارية فكانوا يولون عليها أقدر الولاة واحزمهم ، وكثيرا ما كانوا يولون عليها من ثبت عندهم حبه للاصلاح والعمران .

ومن الولاة الذين خدموا الموصل « سعيد بن عبدالملك » فكان محبا للخير والاصلاح ، متألها زاهدا حسن السيرة يسمى « سعيد الخير » بذل جهدا يشكر عليه فى تعمير الموصل ، فأحاطها بسور ورصف طرقها بالحجارة ، وبنى بها مسجدا عرف « بمسجد عبيدة » نسبة الى مؤذنه ، كما

---

(١) أسد الغابة (٣ : ٣٦٦)

(٢) الكامل (٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨) الاصابة (٣ : ٤٠١)

(٣) تاريخ اليعقوبى (٢ : ٢٠٨)

بنى فيها سوق سعيد [1] .

ومن آثار سعيد انه جدد عمارة « دير سعيد » في جنوب الموصل ، بناه لطبيبه الذى عالجه من مرض اصابه [2] . وهذا الدير لا يزال باقيا الى اليوم يسمى « دير مار ايليا » ويسميه عامة اهل الموصل «الدير الخربان» لانه مهجور قد تداعى بنيانه .

ثم ولى عبدالملك اخاه « محمد بن مروان » الموصل ، وكان هذا ممن يحبون الاصلاح والعمارة أيضا فجدد سور الموصل ، وربما أكمل السور الذى بناه ابن اخيه سعيد ، او انه وسعه فى الاماكن التى توسعت اليها المدينة [3] .

وسكن الموصل من الخلفاء الامويين هشام بن عبدالملك ، وذلك قبل ان يلى الخلافة ، فبنى له قصرا فى ربضها الاسفل ، وزرع النخيل والاثمار حوله ، وبقى القصر الى سقوط الدولة العباسية ، فأقطعه أبو جعفر المنصور السحاج بن وائل الازدى الذى ساعدهم على الامويين [4] .

ومن الولاة الذين خدموا الموصل هو الحر بن يوسف الاموى الذى تولاها (١٠٦ - ١١٣ هـ) - (٧٢٤ - ٧٣١ م) . فانه وجد نهر دجلة بعيدا عن المدينة، وان السكان يلاقون عناء ومشقة فى نقل الماء، فشق نهرا من قرب دير مار ميخائيل ، وسيره محاذيا للتلول التى تطل على حاوى الكنيسة ، وأجراه تحت المدينة فى مجرى دجلة الحالى ، بدأ بهذا العمل سنة ١٠٨هـ = ٧٢٦م واستمر به العمل الى سنة ١١٥هـ = ٧٣٣م فأتم فتحه الوليد ابن تليد العبسى وأراح الناس . وعرف بنهر الحر . ورصفوا شارعا محاذيا لمجراه، وغرسوا على جانبيه الاشجار ، فكان أهل المدينة يتنزهون به فى الاماسى،[5] وبنى الحر قصره المعروف بالمنقوشة .وكان من القصور المشهورة، بناه سنة ١٠٦ هـ ٧٢٤ م ، ويذكر المؤرخون انه كان منقوشا بالساج والرخام الابيض المصقول والفصوص الملونة والفسافس . وكان من أجمل القصور

---

(١) - (٥) فتوح البلدان ٣٢٧ ، ٣٢٨ تاريخ الازدى حوادث سنة ١٠٦ هـ المعارف (ص : ١٥٧) تاريخ دمشق (٦ : ١٥٣ ، ١٥٤) سومر (٧ : ٢٢٤ - ٢٢٦) ، الكامل (٦ : ٥٠ - ٥٥)

فى زمانه ، وبقى القصر الى القرن السابع الهجرى .

وتولاها مروان بن محمد مرتين (احداهما ١٠٢ - ١٠٤ هـ ٧٢٠ - ٧٢٢ م والثانية ١٢٦ - ١٢٧ هـ ٧٤٣ - ٧٤٤ م) .

ويذكر المؤرخون عنه انه أول من عظم المدينة « أى الموصل » وألحقها بالامصار العظام ، وجعل لها ديوانا برأسه ، ونصب عليها جسرا ، ونصب طرقاتها وبنى عليها سورا [١] . وهدم المسجد الجامع ووسعه وبنى له منارة ، وأحاطه بأسواق ، فكانت أسواق الموصل الرئيسية حوله . وعلى هذا فقد صارت الموصل قاعدة بلاد الجزيرة بعد أن كانت مدينة تابعة للكوفة.[٢]

وهاجر اليها كثير من القبائل العربية واتخذتها دار اقامة لها ، فتوسعت المدينة وتضاعفت مساحتها عما كانت عليه .

وأهم القبائل التى سكنتها فى هذا العصر هى : تغلب والازد وشيبان وسلول والخزرج والامويون وغيرهم [٣] .

٤ - الموصل فى العصر العباسى

وفى العصر العباسى الاول نكبت الموصل على اثر ثورة اهلها على محمد بن صول سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م وفتك بها العباسيون فتكا ذريعا ، حتى ان أسواقها بقيت معطلة عدة سنين ، وكان هذا على يد يحيى بن محمد أخى السفاح [٤] .

وفى سنة ١٣٣ هـ ولى المنصور عليها عمه اسماعيل بن على بن عبدالله بن العباس ، ولما دخل البلد وجدها بحالة يرثى لها . فجمع الناس وخطبهم ووعدهم بحسن السيرة فيهم بان يرد عليهم المظالم ، ويعطيهم ديات من قتلهم يحيى ، وكتب الى المنصور يعلمه بسوء حال البلد وخرابه . فكتب اليه المنصور أن أرفق بالناس وتألفهم [٥] . فأخذت المدينة تستعيد مركزها الاقتصادى حتى بلغت جباياتها فى خلافة هارون الرشيد (٢٤٫٠٠٠٫٠٠٠) درهم و (٢٠٫٠٠٠) رطلا عسلا [٦] . مع العلم بأن المهدى كان قد خزل

---

(١) - (٣) تاريخ الازدى حوادث السنوات ١٣٩ ، ١٠٧ - ١١٣ ، ١٣٥ سومر (٧ : ٢٢٥ - ٢٣٠) معجم البلدان (٨ : ١٩٦)

(٤) - (٦) تاريخ الازدى حوادث سنة ١٣٣ ، الجهشيارى (ص : ٢٣٢)

منها كورة دراباذ وكورة الصامغان [١] .

ومع ان المعتصم خزل منها أيضا كورة تكريت وكورة الطيرهان [٢] فانه بلغ ماكان يجبى منها ومن أعمالها فى خلافته (٦٫٣٠٠٫٠٠٠) دينارا [٣] كان هذا فى الربع الاول من القرن الثالث الهجرى .

وفى أواخر القرن الثالث للهجرة ملـكها بنو حمدان (٢٩٣ - ٣٦٧ هـ) فاهتموا بالزراعة كثيرا ، قال ابن حوقل : ولم يكن بها كثير شجر ولا بساتين الا التافه القليل اليسير ، فلما تملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها الاشجار ، وكثرت الكروم وغرست الفواكه ، وغرست النخيـل والخضر ، وكانوا يعنون بزراعة القطن والارز والحبوب . وبلغ خراج الحنطة والشعير فيها خمسة ملايين درهم .

وبعد ان ذكر ابن حوقل ما جبى من رساتيقها قال (فالحاصل عـلى التقريب من جميع اعمالها وجباياتها عن قيمة عين جبى من الورق سـتة عشر الف الف درهم ومائتان وتسعون الف [٤] . ولذا كثرت نفوسها وزادت ثروتها وعمرت رساتيقها .

ووصفها المقدسى البشارى فقال : « بلد جليل حسن البناء طيب الهواء ، صحيح الماء ، كبير الاسم ، قديم الرسم ، حسن الاسواق والفنادق ، كثير الملوك والمشائخ ، لا يخلو من استاذ عال وفقيه مذكور ، منها ميرة بغداد ، واليه قوافل الرحاب ، وله منازه وخصائص وثمار حسنة ، وحمامات سرية ، ودور بهية ، ولحوم جيدة ، وامور جامعة ، غير أن البساتين بعيدة ، وريح الجنوب مؤذية ، وماء النهر بعيد عن المستقى [٥] .

أما تجارتها فتوسعت لانهـا كانت تقع على الطريق الذى يصل الشـرق بالغرب ، فهى فرضـة لاذربيجان وارمينية والعراق والشام ،

---

(١) - (٣) معجم ما استعجم (ص : ٥٥٦) تاريخ التمدن الاسلامى (٢ : ٦٠)

(٤) صورة الارض (ص : ٢١٥ - ٢١٩) ، (٥) أحسن التقاسيم (ص : ١٣٨ - ١٣٩)

ولها احياء وبواد كثيرة تصيف في مصايفها ، وتشتو في مشاتيها ، كل هذا جعل الموصل من المراكز التجارية الكبيرة في العالم • وصارت تصدر الى بغداد الدقيق والسكر والعسل والسمن والجبن ونعل الخيل[١] والفحم والشحوم والمن والسماق وحب الرمان والقير والحديد والاسطال والسكاكين والنشاب والطريخ[٢] الفائق والسلاسل والنمكسود والدراج والسمانى[٣] حتى صارت تمير بغداد أربعة أشهر من كل سنة[٤]. وكانت مشهورة بحياكة الستور والمسوح[٥] •

اما عمرانها فقد توسعت المدينة عما كانت عليه ، لانهم اتخذوها مركزا لسلطانهم ، فكان بها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبى أموالها ، ولها أقاليم ورساتيق ، ومدن كثيرة مضافة اليها ، وارتفاع جباياتها زادت على ما كانت عليه في سالف الزمان ، فتوسعت عمارتها ، وزاد عدد سكانها ، اذ اقبل اليها الناس من البلاد لرخصها ، قال ابن حوقل : « ان للموصل اضعاف أعمال نصيبين فى فسحة الاعمال ، وكثرة الضياع وعظم المجال وغزر السكان واهل الاسواق ، اذ كانت اسواقها واسعة واحوالها فى الشرف والفخم ظاهرة ، وهى مدينة كبيرة غناء وأهلها عرب ولهم بها خطط ، واكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة ، وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان ، وكان بها لكل جنس من الاسواق الاثنان والاربعة والثلاثة مما يكون فى السوق المائة حانوت وزائد ، وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها ، وجذبتهم اليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها »[٦] •

---

(١) المنتظم (١٠ : و ١٧)
(٢) الطريخ سمك يملح ويكبس ، والنمكسود : اللحم اذا جفف نيئا (كتاب الطبيخ : ص : ٦٣)
(٣) ـ (٥) أحسن التقاسيم (ص : ١٤٥) (٤) النجوم الزاهرة (١ : ٤٥)
(٦) صورة الارض (ص : ٢١٥ ، ٢١٦)

هذه حالة الموصل خلال حكم الحمدانيين . وجمع الحمدانيون ثروة طائلة حتى صاروا من أغنى ملوك العالم[1] .

وخلف العقيليون الحمدانيين فى حكم الموصل سنة ٣٦٨ - ٤٨٦ هـ وكانت مدة حكمهم غير مرضية ـ تنازعوا فيها على الحكم وسبب هذا تأخر المدينة عما كانت عليه .

ثم انتزع السلاجقة منهم البلاد ، وزادت الاضطرابات والحروب بين امرائهم[2] على الحكم ولاقت المدينة ويلات كثيرة ومصائب ، فتأخرت فيها التجارة وقلت المزروعات وهجر قسم كبير من سكان الموصل مدينتهم ، وهكذا تقلصت عما كانت عليه ، حتى استولى الخراب على اكثر احيائها .

روى ابن الاثير ما صارت اليه الموصل على عهد السلاجقة نقلا عن والده قال : « حكى لى والدى قال : رأيت الموصل التى هى ام البلاد فى اول ايام الشهيد واكثرها خراب ، وكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة والى دور السلطنة ، وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركمانى وهو قريب من الطبالين ، وكان الجامع العتيق أيضا بلا عمارة البتة ، وكان جميع المحال المجاورة للسور من ساير جهاته غير معمورة ، وكان أدنى

---

(١) الحضارة الاسلامية (١ : ٢١٣)

(٢) وأشهر الامراء الذين حكموا الموصل باسم السلاجقة هم :

كربوغا ٤٨٩ ـ ٤٩٥ هـ

موسى التركمانى ٤٩٥ هـ

جكرمش ٤٩٥ ـ ٥٠٠ هـ

جاولى ٥٠٠ ـ ٥٠٢ هـ

مودود بن الطغتكين ٥٠٢ ـ ٥٠٧ هـ

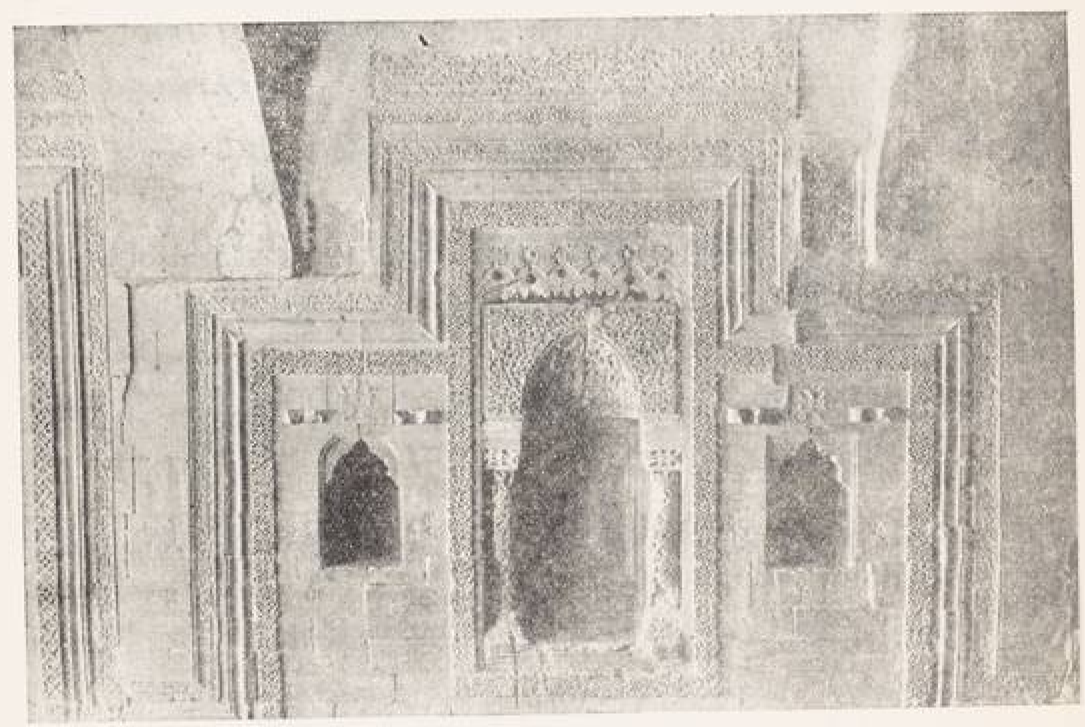
ابو سعيد آق سنقر البرسقى الغازى الملقب قسيم الدولة سيف الدين ٥٠٨ ـ ٥٢٠ هـ ، قتله الباطنية بينما كان يصلى فى جامع الموصل ، وتولى بعده ابنه مسعود .

مسعود بن آق سنقر ٥٢٠ ـ ٥٢١ هـ

انظر : منية الادباء (ص : ٥٢ ، ٥٣)

العمارة من السور ما يكفى رمية حجر ، وكان الناس لا يقدرون علـــى المشى الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة[1] ، وعلى هذا نجد أن المدينة تقلصت عمارتها .

هذه هى حالة الموصل عندما تسلمها عماد الدين زنكى .



واجهة كنيسة دير مار بهنام ــ دير الجب ــ

---

(١) الباهر (ص : ١٣٩)

الملوك الأتابكيون

وكان آل زنكى نعمة أنعم الله بها
على أهل تلك العصور

(ابن الاثير)

آق سنقر الحاجب

كان قسيم الدولة آق سنقر الحاجب[1] والد عماد الدين مملوكا للسلطان العادل ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، فربى مع ولده السلطان العادل جلال الدولة ملكشاه ، وبقى فى صحبته الى ان افضت اليه السلطنة ، فجعله من اعيان امرائه ، واخص اوليائه ، واعتمد عليه فى مهماته ، وصار صاحبا للسلطان ، وزاد قدره عنده الى ان صار يتقيه مثل نظام الملك الوزير مع تحكمه على السلطان وتمكنه من المملكة .

قال ابن الاثير : ومن الدليل على علو مرتبته ، تلقبه قسيم الدولة ، وكانت الالقاب حينئذ مصونة لا تعطى الا لمستحقيها ، وكان يقف على يمين السلطان .

وفى سنة ٤٧٩ هـ ١٠٨٦ م اشار نظام الملك على السلطان ملكشاه ان يولى قسيم الدولة مدينة حلب واعمالها ، ولعله كان يريد ان يبعده ، لانه كان ينافسه عند السلطان ، فاحسن قسيم الدولة ادارة هذه الولاية .

ثم ان السلطان استدعاه الى العراق فقدم عليه فى تجمل عظيم ، ولم يكن فى عسكر السلطان من يقاربه ، فاستحسن ذلك منه ، وعظم محله عنده ، ثم امره بالعودة الى حلب فعاد اليها واحسن ادارتها ، فرخصت الاسعار فى ايامه ، واقيمت الحدود الشرعية ، وعمرت الطرقات وامنت السبل ، وقتل المفسدون بكل فج ، وكان كلما سمع بمفسد او بقاطع طريق امر بصلبه على ابواب المدينة ، ثم تسلم مدينة حمص وقلعتها ، وتسلم حصن افامية[2] .

وفى سنة ٤٨٧هـ – ١٠٩٤م عاد السلطان تاج الدولة من أذربيجان ومعه جموع كثيرة ، وتقدم الى حلب ، فحشد الامير قسيم الدولة والامير مجاهد الدين بوزان صاحب الرها ، وامدهما السلطان بركيا رق بالامير

---

(١) هو ابو سعيد آق سنقر بن عبدالله الملقب قسيم الدولة المعروف بالحاجب

(٢) حصن افاميه : قرب حمص (معجم البلدان : ١ : ٢٩٨)

كربوغا ، فالتقى الجمعان بنهر سبعين قريبا من تل السلطان قرب حلب ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وانكسر عسكر قسيم الدولة فاخذ اسيرا واحضر بين يدى السلطان تاج الدولة ، فقال له : لو ظفرت بى ما كنت صنعت بى ؟ قال : كنت ارى قتلك • قال : فانا احكم عليك بما كنت تحكم على ، فقتله صبرا ، ودفن بالمدرسة المعروفة بالزجاجية داخل حلب •

كان اميرا عادلا حسن السيرة جميل السياسة ، وكان شرط على اهل كل قرية من بلاده ، انهم من اخذ عندهم قفل او احد من الناس غرمهم ما يؤخذ من الاموال ـ قليل او كثير ـ فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده ، ألقوا رحالهم ، وناموا ، وحرسهم أهل تلك القرية الى أن يرحلوا ، فأمنت السبل •

وكان عنده وفاء عظيم وحسن عهد ومروءة غزيرة ، وانما كان قتله وفاء لسلطانه ورب نعمته جلال الدولة وحفظا لولده من بعده [1] • ولم يخلف سوى عماد الدين •

١ ـ عماد الدين زنكى

ولد عماد الدين[2] سنة ٤٧٧هـ ـ ١٠٨٤م ولما قتل والده كان عمره عشر سنوات ، وكانت تبدو عليه علامات النجابة والشجاعة • كما التف حوله مماليك ابيه • وكانوا عددا كبيرا وفيهم الامير زين الدين على كوجك بن بكتكين •

ولما تملك (كربوغا) الموصل أراد أن يعزز قوته « بعماد الدين » ومن معه من المماليك ، فراسل أتباعه واستمالهم وأحضرهم عنده ، وعليهم عماد الدين ، وقال لهم « هو ابن أخى وأنا أولى الناس به وبتربيته » وأقطعهم الاقطاعات السنية • وزاد مماليك عماد الدين ، واستعان بهم كربوغا فى

(١) انظر : وفيات الاعيان (١ : ٧٩) ، الروضتين (١ : ٢١) ، مفرج الكروب (١ : ١٩ ـ ٢٧)

(٢) ابو الجود وابو المظفر عماد الدين بن آق سنقر بن عبدالله الملقب بالملك المنصور ، ويلقب ايضا بالشهيد

حروبه ، الى أن توفى سنة ٤٩٤هـ - ١١٠٠م .

ولما ملك شمس الدين جكرمش الموصل قرب عماد الدين واتخذه ولدا ليستفيد من قوة مماليكه أيضا ، وما زال معه حتى توفى جكرمش سنة ٥٠٠هـ - ١١٠٦م .

وبعد جكرمش استماله جاولى ، وبعده قربه مودود ، واستفاد منه فى حروبه . وظهرت شجاعته وبطولته فى حصار طبرية ، فان عمادالدين حمل وحده على باب البلد ، وطعنه برمحه ، بعد ان فر الفرنج امامه وتحصنوا بالمدينة .

وفى سنة ٥١٥ هـ - ١١٢١ م اقطع السلطان محمود السلجوقى الموصل وأعمالها قسيم الدولة آق سنقر البرسقى[1] وأمره بحفظ عماد الدين وتقديمه ، والوقوف عند اشارته ، لمكان عمادالدين من العقل والشجاعة وحسن التدبير .

وفى سنة ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م اقطع السلطان محمود الامير آق سنقر البرسقى مدينة واسط وشحنكية البصرة ، فارسل اليها عماد الدين زنكى[2] ، وظهرت كفاءته وحسن ادارته فى القضاء على الثورات وتوطيد الامور التى عجز عنها غيره ، وهابه امراء الاطراف وخاصة دبيس بن صدقة الاسدى العقيلى صاحب الحلة ، وكان هذا يسعى ضد الخليفة ، وقصد بغداد فسار البرسقى اليه ، وانكسر عسكر دبيس وقتل منهم عدد كبير ، وكان لعماد الدين اثر حسن فى هذه الحرب .

ثم ان السلطان محمود استدعاه الى بغداد ، وجعله من اقرب مستشاريه وقواده الذين يعتمد عليهم فى الحرب والسلم ، حتى كان يقف

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٧٩ - ٨٠)

(٢) انظر عنه : الباهر (٦٣ - ١٤٨) الكامل (١٠ : ٢١٥ - ٢٤٨) ، وفيات الاعيان (١ : ١٩٣) ، الروضتين (١ : ٢٧ - ٤٣) ، اخبار بنى سجلوق (ص : ١٠٦) ، مفرج الكروب (١ : ٢٨ - ١٠٦) ذيل تاريخ دمشق (١ : ٢١٧ - ٣٠٠) ، مرآة الزمان (٨ : ١١٤ - ١١٦)

الى جانب تخت السلطان عن يمينه ، لا يتقدم عليه أحد ـ وهو مقام والده ـ قسيم الدولة ـ

ثم انتدبه السلطان لتأديب العرب الثائرين فى البصرة فسار اليهم واخمد الثورة ، وأعاد الامور الى ما كانت عليه ، وكان بين الخليفة المسترشد العباسى وبين « يرنقش الزكوى » شحنة بغداد ـ نفرة • وحذر يرنقش السلطان من الخليفة فرجع السلطان الى بغداد ، واخذ يفكر فيمن يوليه شحنكية بغداد والعراق بحيث يؤمن جانب الخليفة ويضبط الامور كما يريد السلطان •

واستشار اهل الرأى من اصحابه فيمن يوليه امر العراق ، بعد ان استعرض امراءه ، فكلهم اشاروا عليه بعماد الدين ، وقالوا له : لا تقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ، ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين ، فولاه هذا فى ربيع الآخر سنة **٥١٩ هـ ـ ١١٢٥** م فقام بعمله خير قيام ، بحيث ارضى الخليفة والسلطان وازال ما كان قد القاه بينهما يرنقش ، فعظمت مكانه عندهما وصارا يثقان به •

وفى سنة **٥٢٠ هـ ـ ١١٢٦** م قتل آق سنقر البرسقى ـ قتله الباطنية يوم الجمعة بالجامع العتيق فى الموصل فأقر السلطان ولده عز الدين مسعود على ما كان لابيه من الاعمال وهى : الموصل وديار الجزيرة وحلب وحماة وجزيرة ابن عمر وغيرها • وبعد سنة توفى مسعود فقام بأمر البلاد أخوه الصغير وتولى امره (جاولى) • وكان جاولى يطمع بامر هذه البلاد التى يديرها باسم ولد البرسقى • لذا قر رأيه على ان يرسل وفدا الى بغداد يعرضون على السلطان والخليفة ان يولى ابن البرسقى ليستأثر (جاولى) بالبلاد •(١)

وكان المرسل بهذا : بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم الشهرزورى ، وصلاح الدين محمد الياغسيانى أمير حاجب البرسقى ، ونصير الدين جقر

---

(١) الباهر (ص : ٥٨ ، ٥٩)

بن يعقوب • وكان بين نصير الدين جقر بن يعقوب وبين صلاح الديـن الياغيسياني مصاهرة ، فحذره من عاقبة جاولي اذا ماتم الامر له ، كما انه أخذهما الى عماد الدين زنكي ، واتفقوا معه على أن يحملوا السلطان على تولية عماد الدين ،[1] بشرط أن يكون لبهاء الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والامور الدينية ، والحجبة وأمارة العسكر لصلاح الدين ، وولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين جقر ، واتفق معهما جقر على ان يكلما الوزير شرف الدين آنو شروان ابا خالـد بان يحمل السلطان على تولية عماد الدين نظرا لاهمية الولاية ، وان الفرنج قد تقدموا في البلاد، ومن الضروري أن يكون للمسلمين قائد كبير يجمع شملهم ويصد الفرنج — ففعل الوزير هذا ، وبين خطورة الولاية للسلطان •

وكان الخليفة نفسه يحب عمادالدين لما له من الايادي البيضاء في انقاذه من دبيس بن صدقة الاسدي ، ثم موقفه المشرف معه عندما تولى شحنكية بغداد • ولذا فان الخليفة ضمن للسلطان مائة الف دينار ان ولى عماد الدين الموصل وأعمالهـا •

ولما مثل الرسولان بين يدي السلطان ، وعرضا عليه أهمية الولاية ، وانه يجب أن يشغلها شخص له حنكة وتدبير وعلم بامور الحرب — كالبرسقي — وذكرا له عدة أشخاص منهم عماد الدين ، وأسهبا في مدحه والثناء عليه ، والسلطان نفسه يعرف منزلة عماد الدين في الحرب والسلم ، وانه كان بطل الملمات • فوافق على تعيينه لما يعلمه من كفاءته ، فولاه البلاد التي كان يتقلدها البرسقي ، وضم اليه ولديه ألب أرسلان وفروخ شاه المعروف (بالخفاجي) ليربيهما ، وجعله أتابكهما ، فمن ثم قيل لزنكي (أتابك) •[2]

وتوجه عمادالدين الى الموصل وبدأ بالبوازيج[3] فملكها، وكان يتخوف من

---

(١) الباهر (ص : ٦٣ ، ٦٤)

(٢) أتابك : لفظ تركي ، مركب من : أتا ، بمعنى أب، وبك بمعنى أمير• وكان يطلق على من يربي أولاد الملوك السلاجقة ، (وفيات الاعيان : ١ : ١١٤) وصبح الاعشى (١ : ١٦٧) •

(٣) البوازيج : تقع على الزاب الصغير من غربية (منية الادباء : ١٣٣)

جاولى ، ولما قرب من الموصل خرج اليه جاولى وتلقاه مع سائر العساكر ، ولما رأى جاولى أتابك زنكى نزل عن فرسه ، وقبل الارض بين يديه ، وعاد فى خدمته الى الموصل ، فدخلها فى رمضان سنة ٥٢١ هـ = ١١٢٧م٠ وأقام بالموصل يقرر أمرها ويصلح قواعدها ، فأقطع جاولى الرحبة (٣) وسيره اليها • وولى نصير الدين جقر دزدارية (٤) القلعة بالموصل ، وجعل اليه دزدارية سائر القلاع ، وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا ، وبهاء الدين قاضى القضاة فى البلاد جميعها •

بعد أن نظم ادارة الموصل أراد أن يوسع دولته ، خاصة وانه وجد البلاد مقسمة بين امراء الاطراف ، وكل واحد منهم قد استأثر بولايته لا يهمه من أمر البلاد سوى جمع مايقدر على جمعه ، من أى طريق كان • وان الصليبيين قد استفحل أمرهم ، وقد أحتلوا أكثر بلاد سورية ، ووصلوا أسوار حلب ، ولهم المعاقل والحصون والعدد الوافرة ، وهم فى تقدم مستمر حتى وصلوا الرها وسروج والبيرة وضايقوا أهل حران • ووصف ابن الاثير حالة سورية أحسن وصف فقال : «لما ملك المولى الشهيد البلاد كان الفرنج قد اتسعت بلادهم ، وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم ، وزادت صولتهم ، وتضاعفت سطوتهم ، وعلا شرهم ، واشتد بطشهم ، وأمتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف أهلها عن كف عاديتهم ، وتتابعت غاراتهم وساموا المسلمين سوء العذاب ، وركبوهم بالتبار والتباب ، وأستطار فى البلاد شر شرهم ، وعم أهلها شديد جفوهم ، وعظم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدرة ، وسماء عزهم منفطرة ، وشمس اقبالهم مكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وأنصارهم على أهل الايمان منصورة ، وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد أمتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر ، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحمص وحماة ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم

---

(٣) الرحبة : رحبة مالك بن طوق على شاطىء الفرات (معجم البلدان : ٤ : ٢٣٦)

(٤) دزدار القلعة ـ محافظها (قلعة الموصل ـ سومر (١٠: ١١٨)

يبقوا على موحد ولاجاحد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس العين ، فأستأصلوا ما لاهلها من أثاث وعين • وأما الرقة وحرّان فقد كان أهلهما معهم في ذل وصغار واستضعاف واقتسار ، كل يوم قد أذاقوهم البوار ، ومنعوهم القرار ، وألصقوا بهم الصغار ، فهم ينادون بالويل والثبور ، ويودون لو انهم من ساكني القبور ، وانقطعت الطرق الى دمشق ، الا على الرحبة والبر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب المفازة تعبا ومشقة ، ويخاطرون بالقرب من العرب بأموالهم وأنفسهم • ثم زاد الامر وعظم الشر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجا وأتاوة يأخذونها منهم ليكفوا أيديهم عنهم ، ثم لم يقنعوا بذلك حتى ارسلوا الى مدينة دمشق، واستعرضوا الرقيق ممن أخذ من الروم والارمن وساير بلاد النصرانية ، وخيروهم بين المقام عند أربابهم أو العودة الى أوطانهم والرجوع الى أهليهم وأخوانهم ، فمن أختار المقام تركوه ، ومن آثر العود الى أهله أخذوه ، وناهيك بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصغارا ، وللكافرين قدرة وأقسارا ، وأما حلب فانهم أخذوا مناصفة أعمالهم ، حتى في الرحى التى على باب الجنان وبينها وبين المدينة نحو عشرين خطوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين البلدين • »(١)

ومملكته محاطة من سائر جهاتها بأمارات وممالك، منها القوى ومنها الضعيف ولكن العدو القوى الذى كان يخشاه ويتقيه هم الصليبيون • ولا يمكنه مقاومتهم ما لم يستول على الامارات الصغيرة التى كانت تجاوره •

فبدأ بأمراء الاطراف وأخذ يصانع بعضهم ويقصد الآخرين، وبعدان يأخذ منهم أو يقضي على امارتهم ، ينقض على من صانعهم فيحتل بلادهم ويضمها الى مملكته ، وكان الكل يدارونه ويتقون شره ويخافونه ، حتى ان بعضهم طلب الانضمام اليه قبل أن يقصدهم • وهكذا استولى على مدن كثيرة • وقوى أمره فاستولى على جزيرة ابن عمر بعد حرب عنيفة ، ثم سار الى نصيبين وتسلمها من أهلها بلا مقاومة ، ثم سار الى سنجار فصالحوه بعد امتناع ، ثم

(١) الباهر (من : ٥٩ – ٦١)

ارسل شحنة الى الخابور ودانت له هذه البلاد ، ثم توجه الى حران وخرج أهلها اليه مذعنين له بالطاعة لانهم كانوا فى حرز من الفرنج •

ثم سار الى حلب وكان فيها نزاع بين الامراء ، فسير جيشا مع الامير صلاح الدين الياغسيانى ـ حاجبه ـ فصعد الى قلعة حلب سنة ٥٢٢ ورتب الامور فيها •

واستبشر بهأهل حلب لما كانوا فيهمن النزاع بينالامراء،فضلا عمايصيبهم من مضايقة الفرنج لهم ، حتى كانوا يقاسمونهم فى بعض حاصلاتهم ، ثم سار الى حماة سنة ٥٢٤ وملكها فى حيلة •

ثم التفت الى ما يجاوره منحصون الصليبيين،وشن الغارة على تل باشر وحصن الاثارب وفتحهما وعاد الى الموصل سنة ٥٢٥ • وفى ربيع الآخر من هذه السنة اضاف السلطان محمود أمر العراق الى عماد الدين مضافا الى مابيده من الشام والموصل والجزيرتين •

ثم التفت الى الشمال والشرق فاستولى سنة ٥٢٨ هـ على قلاع الاكـراد الحميدية ـ العقر وشوش ـ •

ثم سير جيشا على قلاع الاكراد الهكارية،واستولىعليهاسنة ٥٢٨هـ • ثم سار نحو الغرب ونازل الروم وأخذ منهم قلعة بارين سنة ٥٣٤ هـ ثم أخذ المعرة وكفر طاب وكسر شوكة الصليبيين وأسر منهم عددا كبيرا •

فهابه الصليبيون كثيرا وشعروا بضعفهم أمام قوته الجبارة التى كسرتهم وأرجعتهم خائبين ، فأرسلوا وفودا الى القسطنطينية يستغيثون بالامبراطور البيزنطى يوحنا الثانى كالوجوها نيز Calojohannes (١١١٨ ـ ١١٤٣م) فسار بجيش كثيف، وانضم الى الصليبيين ، وفتح بعض الحصون ووصـل الى شيزر ، وكان قد انضم اليـه جيش كـبير من الصليبين ، ولم يكن لعماد الدين قدرة بمحاربتهم، فسعى فى بث النزاع بينالبيزنطين والصليبين، وأخذ يحذر الصليبين من الامبراطور البيزنطى وقوته الـكبيرة واستيلائه على بلادهم ، واوهم ملك البيزنطين ان الصليبين خائفون حذرون منه ، وانه لو فارق مكانه لتخلوا عنه ، وهكذا فرق صفوفهم • فرحل الامبراطور

البيزنطى من شيزر ، وترك ما كان عنده من أدوات الحرب ، ثم أخذ عسكر عماد الدين يطارد جيش البيزنطين ، وكسر الصليبين شر كسرة .

وفيه يقول المسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم الحموى من قصيدة :

بعزمك أيها الملك العظيم ... تذل لك الصعاب وتستقيم
الم تر ان كلب الروم لما ... تبين انك الملك الرحيم
فجاء يطبق الفلوات خيلا ... كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه ... وكان لخطبه الخطب الجسيم
فحين رميته بك فى خميس ... تيقن ان ذلك لا يدوم
وأبصر فى المفاضة منك ليثاً ... فأخرق ـ لا يسير ولا يقيم
كأنك فى العجاج شهاب نور ... توقد ، وهو شيطان رجيم
أراد بقاء مهجته فولى ... وليس سوى الحمام له حميم
يؤمل ان تجود بها عليه ... وانت بها وبالدنيا كريم
أيلتمس الفرنج لديك عفوا ... وانت بقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها غصص المنايا ... بيوم فيه يكتهل الفطيم
ولما ان طلبتهم تمنى الـ ... منية جوسلينهم اللئيم
فسار ـ وما يعادله مليك ـ ... وعاد وما ـ يعادله سقيم ـ
اذا خطرت سيوفك فى نفوس ... فاول مايفارقها الجسوم

وهكذا استمر عماد الدين فى توسيع ملكه ، فاستولى على بعلبك ثم دخلت آمد وحصن كيفا تحت ملكه ، واستولى على شهرزور سنة ٥٣٤ .

وكانت الرها منيعة وهى لجوسلين الارمنى ، وهو أعظم امراء الصليبين ، وكان المسلمون يتقون شره ، ولكنه شدد الحصار عليها سنة ٥٣٩ ، وحمل بنفسه على باب البلد وفتحه ، ثم تسلم البيرة ايضا . .

وهكذا فانه كسر شوكة الروم والصليبين ، فكان أعظم قائد فى الهلال الخصيب ، وصار ملكه يمتد من شهرزور شرقا ، الى قرب سواحل سورية غربا ، ومن آمد وديار بكر وجبال الاكراد الهكارية والحميدية شمالا الى الحديثة جنوبا .

وفى سنة ٥٤١ هـ حاصر قلعة جعبر وشدد الحصار عليها ، فأغتاله ليلا وهو نائم أحد مماليكه المسمى « يرنقش » وانهزم الى جعبر ، وأعلمهم بأنه قتل عماد الدين فقالوا له « قتلت المسلمين بقتله » • وهكذا انتهت حياة هذا البطل المغوار •

كان عماد الدين من أقدر رجال عصره ، وتمكن بدهائه وشجاعته وحسن تدبيره من تأسيس دولة قوية مرهوبة الجانب ، فكانت من أقوى دول الشرق •

كان يعنى بتدريب جيشه وتنظيمه وتجهيزه بأحسن العدد الحربية وأقواها، ويقود الجيوش بنفسه ، ويشهد معهم معارك الحروب ، وربما كان اول من يهجم على العدو فى أحرج المواقف وأدقها - وقلما انكسر له جيش • وكان يعنى بأظهار عظمة ديوانه ، وحشره بالاجناد والحاشية ورجال الرأى والفكر والتدبير ، فكان ديوانه يقاس بدواوين السلاطين السلجوقية لكثرة التجمل ونفاذ الامر ، وعظم الحاشية والخرج • (١)

وكان كثير الاهتمام بأستقصاء أخبار البلاد المجاورة ومايجرى لاصحابها حتى فى خلواتهم - وخاصة دركاوات(٢) السلطان السلجوقى - وله عيون مرتبون فى هذه البلاد المختلفة ، يكتبون اليه كل يوم بما يستقصونه من الاخبار : من حرب وسلم وجد وهزل، وترسل اليه مع اناس معينين لذلك، فكان يطلع عليها بنفسه ، ويكون على بصيرة من أحوال البلاد • (٣)

كان عماد الدين يحسن أختيار رجال دولته ويخطبهم من البلاد المختلفة ويرغبهم ويبذل لهم العطايا الوافرة ، فاجتمع عنده من رجال الادارة والسياسة والجيش والعلم والدين ، مالم يجتمع عند ملك مثله فى زمنه ، ويقول ابن الاثير « كانت دولة أتابك مملوءة بالرجال والاجناد وذوى الرأى

---

(١) الباهر (ص : ١٤٩) (٢) الدركاه الساحة أمام قصر السلطان أو الدهليز أو الرواق أو المدخل (٣) الروضتين (١ : ٤٣)

والتجربة » . (١)

وكان يوسع على عماله فى العطاء ليكفوا عن أموال الناس وليسهل عليهم فعل الجميل وأصطناع المعروف . (٢) كما كان يمتحن أصحابه فلا يرفع أحدا فوق قدره الذى يستحقه ، ولا يضعه دونه ، ويثق الى كل منهم على قدر مايعلم منه .

سلم خشكنانة الى «طشت دار»* له وقال : أحفظ هذه ، فبقى نحو سنة لايفارق الخشكنانة خوفا ان يطلبها منه ، فلما كان بعد ذلك قال له : أين الخشكنانة ؟ فأخرجها فى منديل وقدمها بين يديه ، فأستحسن ذلك منه ، وقال : مثلك ينبغى ان يكون مستحفظا لحصن ، وأمر له بدزدارية قلعة كواشى . (٣)

وكان اذا وثق من عامل لا يتغير عليه أبدا ، قال ابن الاثير : « وكان قليل التلون والتنقل بطىء الملل والتغير . شديد العزم ، لم يتغير على أحد من أصحابه منذ ملك الى أن قتل ، الا بذنب يوجب التغير . والامراء المقدمون الذين كانوا معه أولا ، هم الذين بقوا أخيرا من سلم منهم من الموت ، فلهذا كانوا ينصحونه ويبذلون نفوسهم له . (٤)

وكان يجزل العطاء لرجال دولته ، ويعطيهم من الاموال ما يفيض على حاجتهم . فاعطى الديوان مائة ألف دينار فى السنة ، وأعطى الامير حاجب أكثر من ذلك ، وأعطى غيرهم كثيرا . (٥)

قيل له مرة : « ان كمال الدين الشهرزورى يحصل له كل سنة منك مايزيد على عشرة الآف دينار أميرية ، وغيره يقنع منك بخمسمائة دينار ، فقال لهم : بهذا العقل والرأى تدبرون دولتى ؟ ان كمال الدين يقل له هذا القدر ،

---

(١) (٥) الباهر (ص : ١٢٧ ، ١٥٠) ، (١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٧)

* خشكنانة : فطير مصنوع من الزبد والسكر والجوز والفستق .
طشت دار : المشرف على الطشت الذى يغسل الملك به يديه

فان شغلا واحدا يقوم فيه كمال الدين خير من مائة الف دينار . [١]

كان يمنع أصحابه من اقتناء الاملاك، لانه يعلم حق العلم ان الاملاك اذا صارت الى ذوى السلطان ، فانهم يظلمون الناس ويغصبون حقوقهم ، وكان يقول لاصحابه : مهما كانت البلاد لنا فأى حاجة لكم الى الاملاك ، فان الاقطاعات تغنى عنها ، وان خرجت البلاد عن أيدينا فان الاملاك تذهب معها، ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم وغصبوهم أملاكهم . [٢]

وكان يمنع أصحابه من مفارقة البلاد والاتصال بغيرهم من الملوك، ويشدد عليهم في هذا الامر ، خشية أن يستفيد منهم العدو فى الاطلاع على أخبار الدولة وأسرارها . ويقول فى هذا : ان البلاد كبستان عليه سياج فمن كان خارج السياج يهاب الدخول . فاذا خرج منها من يدل على عورتها ويطمع العدو فيها ، زالت الهيبة وتطرق الخصوم اليها . [٣]

وكان يستقصى أخبار عماله، وله عيون يوافونه بكل صغيرة وكبيرة عنهم ، وعن حالة البلاد ، ويطلع بنفسه عليها ويقول : « اذا لم يعرف الصغير ليمنع صار كبيرا . » [٤]

وكان لايثقل أهل البلاد بالضيافات وأطعام الوافدين على البلاد ـ كما كان يفعله السلاجقة ـ بل انه عين لكل واحد محله ، فان كان جنديا اشتمل عليه الاجناد واضافوه ، وان كان صاحب ديوان قصد أهل الديوان ، وان كان عالما قصد القضاة بنى الشهرزورى فيحسنون اليه ويؤنسون غربته . [٥] وهكذا أراح أهل البلاد مما كانوا يلاقونه من الضيافات .

لما قتل عماد الدين زنكى كان ابنه نور الدين محمود معه، وكان سيف الدين غازى فى شهرزور . وكان يطمع بالملك ألب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقى ، أما نور الدين فانه استمر فى فتوحاته فملك الرها وحران وسروج وحلب وحمص وحما ، ورتب فيها الامور وأستقر له الملك وجعل حلب قاعدة له .

---

(١) (٥) الباهر (ص : ١٤٨ ، ١١٣ ، ١٤٠) الروضتين (١ : ٤٣ ، ٤٤)

أما الب أرسلان بن السلطان محمود ـ وكان مع عماد الدين ـ فاجتمعت اليه العساكر ، وكاد الامر ان يتم له ، لولا جمال الدين وصلاح الدين الياغسياني ، فانهما كانا من أخلص الناس للبيت الاتابكي، فأظهرا استعدادهما على معاونته ، ولازماه في أمره ، وأخذا يشغلانه في الشرب والمغنيات والجواري ، بينما كان جمال الدين يحلف الامراء لسيف الدين غازي بن عماد الدين ويسيرهم الى الموصل • وأقام ألب ارسلان في الرقة ثم في ماكسين ، وجيشه يقل كل يوم ويتسلل خفية الى الموصل ، ثم قصد سنجار في جيش قليل ، فأرسل جمال الدين الى دزدار قلعة سنجار ان يعلم الب ارسلان بانه على ولائه ، وانه يريد منه ان يوجه قوته الى الموصل • فسار اليها في نفر قليل من اصحابه فوصل بلد ، وعبر منها الى الجهة الشرقية • وأرسل زين الدين علي ـ نائب عماد الدين في الموصل ـ الى سيف الدين يستدعيه من شهرزور ، ودخل الموصل ، وارسل جيشا الى ألب ارسلان ، فأسره وحبسه في قلعة الموصل ، وهكذا تم الامر لسيف الدين غازي • وبقي أخوه نور الدين محمود في حلب وما يتبعها من الديار السورية •

٢ ـ سيف الدين بن عماد الدين زنكي

٥٤١ ـ ٥٤٤هـ = ١١٤٦ ـ ١١٤٩م

كان قد تربى في بلاط السلطان مسعود السلجوقي (١) • وكان السلطان يأنس به ويحبه ويقدمه على سائر خواصه ، فلم يفارقه سفرا وحضرا ،وكان لهذا أثير حسن في توجيهه وأطلاعه على ادارة البلاد وسياسة المملكة ، وكان يقلد السلاطين السلاجقة في زيه وركوبه وأظهار قوته ، وهو اول من

(١) : (الكامل (١١ : ٥٦) ، الباهر (١٥٥ ـ ١٦٧) وفيات الاعيان (١ : ٤٠١) ، البداية والنهاية (١٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨) ، النجوم الزاهرة (٥ : ٢٨٦) ، مرآة الزمان (٨ : ١٢٣) مرآة الجنان (٣ : ٢٨٣) ، صبح الاعشى (١ : ٤١٦)

حمل على رأسه السنجق[١] من أصحاب الاطراف • فانه لم يكن فيهم من يفعله لاجل السلاطين السلجوقية ، وهو اول من أمر عسكره الا يركب أحدهم الا والسيف فى وسطه والدبوس[٢] تحت ركابه سفرا وحضرا ، ولم يكن يفعل ذلك فى سائر البلاد الا فى السفر ، وكان شديد العناية بجيشه يعنى بطعامهم وراحتهم ـ فكان يذبح لجيشه كل يوم مائة شاة لطعامهم بكرة فينزل الجند فى خدمته ويحضرون الطعام • ويعد لهم سماطا أخر فى آخر النهار • وكان يذبح يوم العيد ألف رأس من الغنم الجيد سوى الجمال والبقر والدجاج • ويمد السماط لجيشه وخواصه ومن يحضر فى بلاطه •

وكان جيشه مضرب المثل فى البأس والشدة • ولما اشتد حصار الصليبيين لمدينة دمشق سنة ٥٤٣هـ = ١١٤٨م استنجدوا بسيف الدين ، فسار اليهم بجيش قدره عشرون ألف مقاتل ، وفتك هو وأخوه نور الدين بجيوش الصليبيين ، وأعملوا فيهم القتل ، فأرتدوا خائبين •

وقد أجمع الذين كتبوا عنه انه كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة وأصبحهم صورة ، حازما شجاعا كريما عاقلا منطويا على خير وصلاح يحب العلم وأهله •

بنى بالموصل المدرسة الاتابكية العتيقة ، وهى من أحسن المدارس وأوسعها، وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية ودفن فيها • وبنى للصوفية رباطا على باب المشرعة ووقف عليه الاوقاف الكثيرة •

وكان يقصده الشعراء وينالون جوائزه • مدحه الحيص بيص بقصيدة أولها

الام يراك المجد فى زى شاعر   وقد نحلت شوقا فروع المنابر

فأجزل له العطاء وأعطاه ألف دينار سوى الخلع •

وكان وزيره جمال الدين الاصفهانى المشهور • ونائبه على القلعة زين الدين على كوجك •

---

(١) السنجق هو العلم (٢) الدبوس : قضيب من حديد فى نهايته كتلة من حديد وهو من أدوات السلاح •

٣ ـ قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى
٥٤٤ ـ ٥٦٥هـ = ١١٤٩ ـ ١١٦٩م

لم يخلف سيف الدين غازى سوى ولد واحد، أخذه عنده عمه نور الدين محمود ، وتولى الامر قطب الدين مودود [١] . كان محببا الى الرعية محسنا اليهم ، كثير الاشفاق عليهم ، حسن الشكل من أحسن الملوك سيرة وأعفهم عن أموال رعيته ، محبوبا الى الكبير والصغير ، كريم الاخلاق .

كان سريع الانفعال للخير، بطيئا عن الشر، وكانت أيامه فى الموصل أيام رخاء وأطمئنان . لما أشتد به المرض أوصى بالملك لابنه الاكبر عماد الدين وكان مقيما عند عمه نور الدين زوج ابنته .

واما فخر الدين عبدالمسيح المدبر لامر دولته، فلم يكن يرغب بعماد الدين لعداوة كانت بين فخر الدين ونور الدين محمود ، فاتفق فخر الدين مع خاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن أيلغازين، على أن يكون الامر لابنها سيف الدين غازى بعد أبيه ـ فتم الامر له .

٤ ـ سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود
٥٦٥ ـ ٥٧٦هـ = ١١٦٩ ـ ١١٨٠م

كان ضعيفا ألهاه فخر الدين عبدالمسيح بملذاته، وأستبد هو بادارة البلاد، [٢] وكان فخر الدين ظالما غشوما ، فمقته الناس ومقتوا سيف الدين على اهماله امور البلاد ، وانهماكه بملذاته وشهواته ، حتى صار فخر الدين يتحكم به وبامور البلاد ، ولم يرض اهل الموصل بهذا ، فكاتبوا سنة ٥٦٦هـ عمه نور الدين محمود واعلموه بالامر ، فسار نور الدين الى الموصل واخذ

---

(١) الكامل (١١ : ١٤٣ ، ١٤٤)، وفيات الاعيان (٢ : ١٣٢ ، ١٣٤) البداية والنهاية (١٢ : ٢٦١) ، الروضتين (١ : ١٨٦ ، ١٨٧) النجوم الزاهرة (٥ : ٣٨٤) ، مرآة الزمان (٨ : ١٢٣ ، ١٧٥)

(٢) الكامل (١١ : ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩) الباهر (٢٧٨ـ٣٢٨) ، وفيات الاعيان (١ : ٤٠١ ـ ٤٠٢) الروضتين (٢ : ١٧ ، ١٨) ، النجوم الزاهرة (٥ : ٣٨٤)

سنجار ، وسلمها الى ابن اخيه عماد الدين بن قطب الدين مودود ، وعبر دجلة من قرب مدينة بلد ، وعسكر شرقى حصن نينوى ، واعلم فخر الدين عبدالمسيح بانه اولى بتدبير ملك اولاد اخيه منه ، واستنجد سيف الدين غازى باتابك شمس الدين ايلدكز - صاحب همدان وبلاد الجبل وأذربيجان وأصفهان والرى - وسير اليه عزالدين مسعود بن قطب مودود ، يستحثه على مساعدتهم ، فارسل هذا رسولا الى نور الدين يحذره من فتح الموصل ويقول له : ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها ، فلم يلتفت اليه وقال للرسول : « قل لصاحبك أنا أصلح لاولاد أخى منك ، فلم تدخل نفسك بيننا ؟ وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همدان . فانك قد ملكت هذه المملكة العظيمة، وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها، وقد بليت انا - ولى مثل ربع بلادك - بالفرنج وهم اشجع العالم ، فأخذت معظم بلادهم ، واسرت ملوكهم ، ولا يحل لى السكوت عنك . فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت ، وازالة الظلم عن المسلمين » .

وان الامراء من أهل الموصل تعاقدوا على تسليم البلد، وجاهروا فخر الدين بالعصيان، فاضطر فخر الدين الى مفاتحة نور الدين بالصلح . ودخل نور الدين القلعة من باب السر ، واطلق ما كان بها من المظالم والمكوس ، وبقى فى الموصل اربعة وعشرين يوما ، قرر خلالها شؤون البلاد ، واخذ فخر الدين معه الى الشام ، وترك فى القلعة نائبا له مملوكا اسمه سعد الدين كمشتكين .

ذكر المؤرخون عن سيف الدين غازى بأنه لم يكن محمود السيرة ، ضعيفا مغلوبا على امره ، عاكفا على ملذاته ، غير ملتفت الى امور البلاد ، وخاصة بعد موت عمه نور الدين محمود ، فيذكر الذهبى انه ادار الخمر والفواحش ببلاده بعد موت عمه فمقته المسلمون .

وفى سنة ٥٧٥ هـ حدث الغلاء العظيم ، وكان الناس قد خرجوا للاستسقاء ، ومر سيف الدين غازى بموكبه ولم يشاركهم بما هم عليه من الضر ، فثاروا به وقصدوه بالاستقامة ، وطلبوا اليه ان يأمر بمنع بيع الخمر فاجابهم ، ثم هجم الناس على محلات بيع الخمور وكسروا آنيتها

وحدث فى البلد هرج ومرج • وهكذا كانت أيامه غير مرضية لاهل الموصل•

٥ ـ عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود *
٥٧٦ ـ ٥٨٩هـ = ١١٨٠ ـ ١١٩٣م

كان مدبر دولته مجاهد الدين قيماز ، وهو من اعظم امراء عصره دهاء وسياسة ، وله الحل والعقد ، ونوابه فى البلاد ، واليه المرجع فى كل الامور ، وكان شديد الاخلاص للبيت الاتابكى ، ولم يبدر منه ما يضرهم •

جرت لنور الدين حروب مع صلاح الدين وغيره من اصحاب الاطراف ، ففى سنة ٥٨١ هـ حاصر صلاح الدين الموصل بجيوش كثيرة ، وهاله ما وجده من كثرة الجيوش التى كانت محتشدة فوق سور الموصل ، وما اعدوه من الآلات الحربية المختلفة ، وتطوع الناس فى الدفاع عن مدينتهم ، وخرج اليه اهلها وظهروا عليه ، وكان هذا بفضل تدبير مجاهد الدين قيماز ، فارتد عنها خائبا • وحاصرها بعد هذا مرتين فلم ينل منها شيئا •

وكان ينافس مجاهد الدين بعض امراء الدولة ، فأخذوا يوغرون صدر عز الدين مسعود ، وخوفوه من قوة سلطانه ، وتمكنه فى البلاد ، فقبض عليه سنة ٥٧٩ هـ واعتقله بقلعة الموصل ، وولى قلعة الموصل عز الدين محمود زلفندار ، وعين شرف الدين أحمد بن أبى الخير أميرا حاجباً ـ وهما اللذان حرضاه على اعتقال مجاهد الدين ـ فانتقض نواب مجاهد الدين على عز الدين مسعود ، كما خرجت من حكمه بعض البلاد ، فتبين له خطأه وسوء نية المفسدين ، فأعاد مجاهد الدين الى ما كان عليه ، وبقى هذا يتصرف بامور الدولة حتى قضى نحبه •

وكان عزالدين زاهدا عابدا ، خير الطبع كثير الاحسان ، يميل الى الشيوخ والمتصوفة ويتعهدهم بالبر والاحسان ويزورهم • حج الى بيت الله الحرام ،

* انظر عنه : الكامل (١١ : ١٩٦ ـ ٢١٠) (١٢: ٤٢ ، ٤٣) الروضتين (٢ : ١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧) ، مرآة الزمان (٨ : ٢٤٥) المحاسن اليوسفية (ص : ٤٦ ، ٥٤)

ولبس بمكة خرقة التصوف من الشيخ عمر النسائي ، وكان يلبس هـــذه الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد بناه في داره ، يصلي فيه نحو ثلث الليل ، كان محبوبا من رعيته لبره وشفقته .

ودفن في المدرسة التي انشأها مقابل دار المملكة .

٦ ـ نورالدين ارسلان شاه بن عزالدين مسعود *

٥٨٩ ـ ٦٠٧هـ = ١١٩٣ ـ ١٢١٠م

اوصى عزالدين بالملك لابنه نور الدين ارسلان شاه ، وكان يعارض في هذا الامر شرف الدين بن قطب الدين مودود اخو عز الدين مسعود ، وساعدته في الامر الخاتون والدته ، وبعد وفاة عز الدين توقف مجاهـــد الدين قيماز في الامر ، لانه وجد معارضة شديدة من شرف الدين وامه ، وخشي ان ينقسم البيت الاتابكي على نفسه ، ولكن مجد الدين بن الاثير جمع الامراء وارباب الشأن في الدولة وحلفهم لنور الدين فتم له الامر .

وكان يدبر دولته مجاهد الدين قيماز الرومي ومجد الدين بن الاثير ، الذي كان بمنزلة الوزير عـــده ، يركن اليـه في اموره ، ويستشيره في ملماته . ولما أصابه الفالج وانقطع في داره ، كان نورالدين يزوره في داره ويستشيره في اموره ايضا ، ولما توفي مجد الدين سنة ٦٠٦ هـ ـ ١٢٠٩ م حزن عليه كثيرا ومات بعده باشهر .

كان نور الدين شهما شجاعا شديدا على أصحابه ، فكانوا يخافونه خوفا شديدا . وكان قد الزم كلا منهم حده ، ويذكر ابن الاثير : بانـه اعاد هيبة الدولة الاتابكية ، بعد ان كانت قد تضعضعت فهابه الملوك واحبه الشعب كثيرا ، ولما مرض زاره الناس على اختلاف طبقـــاتهم حتى بطلت معايشهم .

---

* الكامل (١٢ : ١٢١) ، الباهر (٣٤٦ ـ ٣٦٥)

٧ - القاهر عزالدين مسعود بن نورالدين أرسلان شاه *

٦٠٧ - ٦١٥هـ = ١٢١٠ - ١٢١٨م

كان نور الدين قد عهد بالامر قبل موته لابنه القاهر وعمره عشر سنين . ولما اشتد به المرض جدد له العهد ، وحلف اعيان البلد والجند ، واعطى ولده الاصغر عماد الدين الدين زنكي قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وسيره الى العقر ، وامر ان يتولى تدبير امر القاهر بدر الدين لؤلؤ

وبدر الدين هذا مملوك نور الدين ارسلان شاه ، وصار له مكانة في الدولة بعد موت مجاهد الدين قيماز ومجد الدين بن الاثير ، ثم اخذ يطمع في الملك ، وصار يكيد لاولاد الاتابكين واحدا بعد واحد ، حتى قضى عليهم .

ومما يؤيد لنا هذا ما ذكره ابن كثير في حوادث سنة ٦١٥ هـ قال : وفيها جرت خطوب كثيرة في بلد الموصل بسبب موت ملوكها اولاد ارسلان شاه واحدا بعد واحد ، وتغلب مملوك ابيهم بدر الدين لؤلؤ على الامور[٢] .

وقال ايضا عند كلامه عن بدر الدين لؤلؤ : ولم يزل يعمل على اولاد استاذه ، حتى ابادهم وازال الدولة الاتابكية عن الموصل .[٣]

وان بدر الدين اشغل القاهر بملذاته وشهواته ، وحجر عليه في دار المملكة ولم يبق له سوى الاسم ، وتفرد هو بالحكم في الدولة ، وصار اليه المرجع في كل الامور ، قال ابن الاثير عند كلامه عن القاهر : « كان كريما حليما قليل الطمع في اموال الرعية ، كافا عن اذى يوصله اليهم ، مقبلا على لذاته ، كأنما ينهبها نهبا ويبادر بها الى الموت »[٤] وان القاهر نفسه لم يكن مرتاحا من وضعه ، يائسا من حاله ، يكثر من ذكر الموت ، وهو ما كان يتوقعه على يد بدر الدين. واذا دققنا ما ذكره ابن الاثير عن القاهر فاننا نجد في عباراته ما يستدل على الوضع الحرج الذي كان عليه القاهر ، وتسلط

---

(١) الكامل (١٢ : ١٢١ ، ١٢٢) ، (٢) ، (٣) البداية والنهاية (١٣ : ٧٩ ، ٨١) (٤) الكامل (١٢ : ١٣٧)

بدر الدين فى الامر ، ومحبة اهل الموصل للقاهر وتعلقهم به • قال ابن الاثير : « وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت ، حكى لى بعض من كان يلازمه قال : كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده ، فقال لى : قد وجدت ضجرا من القعود ، فقم بنا نتمشى الى الباب العمادى ، قال : فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادى ، فوصل التربة التى عملها لنفسه عند داره ، فوقف عندها مفكرا لا يتكلم • ثم قال لى : والله ما نحن فى شيء أليس مصيرنا الى هاهنا وندفن تحت الارض ؟ واطال الحديث فى هذا ونحوه ، ثم عاد الى الدار فقلت له : الا نمشى الى الباب العمادى ؟ فقال : ما بقى عندى نشاط الى هذا ولا الى غيره ، ودخل داره وتوفى بعد ايام ، واصيب اهل بلاده بموته ، وعظم عليهم فقده ، وكان محبوبا اليهم ، قريبا من قلوبهم ففى كل دار لاجله رنة وعويل » [1] وهكذا لم يزل بدر الدين يضيق على القاهر حتى سمه وقتله [2] •

٨ ـ نورالدين أرسلان شاه بن القاهر عزالدين مسعود

٦١٥هـ = ١٢١٨م

توفى القاهر وعهد بالملك لابنه نور الدين وهو صغير ، ولا شك ان بدر الدين حمله على هذا العهد ، او انه كتبه بنفسه ليدفع من يطمع بالملك من الاتابكيين ممن يخشى بأسهم ، وممن كان يطمع بالملك اخو القاهر ، وهو فى الموصل ، وعماد الدين زنكى بن ارسلان شاه صاحب العقر الحميدية • وليس من مصلحة بدر الدين ان يتولى الملك رجل حازم مدبر يتولى امور المملكة بنفسه • ولذا فانه ضرب على أيدى الطامعين ، وأخرج أخا القاهر من الموصل [3] وانعم بالخلع على الناس « فلم يخص بذلك شريفا دون مشروف ، ولا كبيرا دون صغير ، واحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات

---

(١) الكامل (١٢ : ١٣٧) (٢) شذرات الذهب (٥ : ٦٢) (٣) مرآة الزمان (٨ : ٣٩٥)

الناس وانصاف بعضهم من بعض »[1] وهكذا تم الملك لنورالدين ، والامر الحقيقى لبدر الدين • واتبع بدر الدين مع نور الدين نفس الطريقة التى اتبعها فى القضاء على والده فقد قتله قبل ان تمضى عليه سنة فى ملكه ، قال ابن كثير فى حوادث سنة ٦١٥ هـ « وفيها توفى القاهر صاحب الموصل فاقيم ابنه الصغير مكانه ، ثم قتل وتشتت شمل البيت الاتابكى ، وتغلب على الامور لؤلؤ غلام ابيه »[2] •

ولم يرض بهذا الامر عماد الدين زنكى صاحب العقر وشوش وساعده مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين – صاحب اربل – وخاصة بعد ان علما ان نور الدين مريضا من جروح كانت به وغيرها من الامراض ، وكان يبقى المدة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس ، وان المتسلط هو بدر الدين ، فجهز حملةكبيرة واحتل عماد الدين العمادية وبقية قلاع الهكارية والزوزان[3] •

ولما وجد بدر الدين لؤلؤ أن البلاد أوشكت أن تنقض عليه ، فاوض الملك الاشرف موسى بن الملك العادل صاحب ديار الجزيرة وخلاط يطلب منه أن يكون فى طاعته بشرط أن يعاضده على عماد الدين ومظفر الدين – فقبل الملك الاشرف بهذا – فجهز بدر الدين جيشا كبيرا ، وسار الى العقر وهزم عماد الدين الى اربل ، ثم وردت رسل الخليفة وتقرر بينهم الصلح[4] فهدأت الاحوال لبدر الدين ، ولم يبق له سوى القضاء على نور الدين فقتله فى نفس السنة •

لم يبق من اولاد القاهر غير ولده ناصر الدين محمود ، وله من العمر ثلاث سنين فلا يخشى له بأس ، فحلف بدر الدين له الجند ، وأعيان البلد ، وتفرد هو بالحكم •

ولم يكن الناس مطمئنين الى ما يفعله بدر الدين باولاد الاتابكين ، فقد قتل القاهر وابنه نور الدين ارسلان شاه ، وهم مترقبون قتل هذا

---

(١) الكامل (١٢ : ١٣٧) (٢) البداية والنهاية (١٣ : ٨١)
(٣) (٤) الكامل (١٢ : ١٣٨ – ١٤٣)

الصبى ، كما قتل اباه واخاه ، ولذا فان الشعب كان كثيرا ضده •

ولم يكن عماد الدين صاحب العقر يرضى بهذا ، وكان يعاضده بذلك مظفر الدين كوكبورى ، لصلته بالمصاهرة معه ـ كما قدمنا ـ وفى الموصل اولاد الاتابكين الذين يطمعون فى الملك ، ويريدون اقصاء بدرالدين عن الحكم ، ويتألمون مما يفعله مع الملوك الاتابكين ومن قتلهم واحدا بعد واحد •

أما بدر الدين فانه كان يستند على الملك الأشرف وينتمى اليه ويعده ويمينه ، كما كان يرسل الهدايا والوفود الى الخليفة لاقرار الملك الذى يريده لنفسه ، واراد ان يخفف من شغب أهل الموصل عليه ، فأركب ناصر الدين على فرس وسار فى ركابه ، وأظهره للناس ، مظهرا شفقته وحنوه عليه ، وانه يريد أبقاء الملك فى اولاد القاهر ملك الموصل • ويقول ابن الاثير «ان النفوس طابت لان نور الدين كان لايقدر على الركوب لمرضه ، فلما ركبوا هذا ، علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكى ، فأستقروا وأطمأنوا وسكن كثير من الشعب بسببه » • (١)

وكانت الحروب مستمرة بين بدرالدين ومنازعيه على الملك ، حتى أن مظفر الدين حاصر الموصل مرتين ، وحاول الاستيلاء عليها لكى ينقذ ناصر الدين ابن ابنته ، ويضرب على يد بدر الدين لؤلؤ فلم يتمكن • (١)

وفى سنة ٦٣٠هـ توفى مظفرالدين صاحب أربل وهو جد ناصرالدين لامه ، ولم يبق من يخشى منه بدر الدين ، ولذا فانه قتل ناصر الدين وقضى على الدولة الاتابكية ، قال ابن كثير عند كلامه عن ناصر الدين « كان مولده سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد اقامه بدر الدين صورة حتى تمكن أمره ، وقويت شوكته ، ثم حجر عليه ، فكان لايصل الى أحد من الجوارى ولا شيىء من السرارى ، حتى لايعقب وضيق عليه فى الطعام والشراب ، فلما توفى جده لأمه مظفر الدين كوكبورى صاحب أربل منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاثة عشر يوما حتى مات كمدا وجوعا وعطشا رحمه الله ، وكان

(١) الكامل (١٢ : ١٤٠)
(٢) الكامل (١٢ : ١٤٠ ـ ١٤٤ ، ١٧٤ ، ١٨٧)

من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من البيت الاتابكي» .[1]
وذكر ابن تغري بردي في حوادث سنة ٦٣١ هـ وفيها استولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل وأظهر ان الملك محمود بن القاهر قد توفي وكان قد أمر بخنقه .[2]

ويقول ابن الوردي: استقل بدرالدين لؤلؤ بملك الموصل، وتوفي الطفل الذي نصبه ـ وهو ناصر الدين محمود بن القاهر مسعود ـ وتسمى لؤلؤ بالملك الرحيم وعاضده الاشرف بن العادل ، وقلع لؤلؤ البيت الاتابكي بالكلية ، وملك الموصل نيفا وأربعين سنة سوى تحكمه أيام أستاذه أرسلان شاه وابنه القاهر .[3]

وهكذا تم الامر له فراسل الخليفة وقدم له الهدايا الوافرة فأقره الخليفة بالسلطنة سنة ٦٣١ هـ .

قال ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٣١ ـ وفيها نفذ الامير بدرالدين سنقر جاه الظاهري أمير آخور الخليفة المستنصر بالله الى الموصل ، ومعه خلعة السلطنة ، وتقليد لبدر الدين لؤلؤ الرومي الاتابكي صاحب الموصل ، فخلع عليه وأمطاه فرسا بمركب ذهبا ، وكنبوش أبريسما وسيف ركاب ، ومشدة في عنق الفرس ، ولقب الملك المسعود وأذن له أن يذكر اسمه على المنابر ببلده ونقشه على سكة العين والورق» .[4]
ولهذا فان بعض المؤرخين ـ ومنهم ابن الوردي ـ يرى ان تملك بدر الدين الفعلي كان من السنة التي قضى فيها على ناصر الدين ، وانه مازال يكيد ويدبر الحيل لأستئصال البيت الاتابكي ـ اولياء نعمته ـ حتى تم له الامر وتولى ملك الموصل .

---

(١) ـ (٣) ٢٤ البداية والنهاية (١٣ : ١٣٦) ، النجوم الزاهرة (٥ : ٢٥٧) تتمة المختصر (٢ : ٤٤)

(٤) الحوادث الجامعة (ص : ٥٢) والكنبوش : برذعة توضع تحت السرج .

الزراعة والتجارة

الزراعة :

تأخرت الزراعة فى الموصل على عهد السلاجقة ، وندر وجود الفواكه والاثمار فيها ، وصارت اقل بلاد الله فاكهة ، حتى كان الذى يبيع الفواكه يكون عنده مقراض يقص به العنب ـ لقلته ـ اذا أراد أن يزنه[1] ، وهجرت القرى الكثيرة فنزح اهلها الى البلاد الاخرى ، وهكذا فقد كانت الموصل فى قلة من الطعام والغذاء .

وبعد أن أسس عماد الدين دولته ، واستتب له الامر فى البلاد ، اراد القواد وارباب الحكم ان يكون لهم اقطاعات واسعة ـ كما لغيرهم فى البلاد الاخرى ـ لكى يستغلوها لحسابهم الخاص ، فأبى ان يقطعهم الأملاك لعلمه انها اذا صارت اليهم فانهم يظلمون الناس ، ويغصبون الأملاك والعقارات من اصحابها ـ كما فعل السلاجقة قبلهم ـ وهذا يؤدى الى تأخر الزراعة ، وكان يقول لاصحابه : مهما كانت البلاد لنا فاى حاجة لكم الى الأملاك ، فان الاقطاعات تغنى عنها ، واذا خرجت البلاد عن ايدينا فان الأملاك تذهب معها ، ومتى صارت الأملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم[2] . ولذا فانه ابقى الاراضى بايدى اصحابها ، يعملون بها بجد ونشاط ، ويدفعون الضرائب الى السلطان ، وهى ضرائب محدودة معينة فنشطت الزراعة لان الناس صاروا آمنين على اراضيهم ومستغلاتهم يعملون بها ، لا يخشون حاكما يسلبهم ، او قائدا يظلمهم ، او متنفذا يسطو عليهم ، او جنديا يغتصب ما بأيديهم .

قال ابن الاثير ـ فلما عمرت البلاد عملت البساتين بظاهرها وفى ولايتها ، فهى اليوم أكثر بلاد الله فاكهة ، فالرمان يبقى الى أن يدرك العتيق الجديد ، وكذلك الكمثرى ، وقريب منه العنب والتفاح ، فيجمع العتيق

---

(١) الباهر (ص : ١٣٩) ، (٢) الروضتين (١ : ٤٣)

والجديد[1] .

وعمرت القرى التى كانت مهجورة وزادت عما كانت عليه فزرعوا الحبوب والبقول والفواكه والاثمار ، وصارت الموصل تمير بغداد اربعة اشهر من كل سنة[2] . وبلغ عدد قراها العامرة (٦٠٠٠) قرية . فى الجهة الشرقية منها (٣٧٠٠) قرية وفى الجهة الغربية (٢٣٠٠) قرية [3] .

وكانت عدد بساتين الخضرة فى المدينة (٩٥) بستانا . وعدد بساتين الفواكه والاثمار (٣٦) بستانا[4] .

واشتهرت الموصل بزراعة القطن ، فزرعوا منه الحقول الواسعة لحاجتهم اليه فى الحياكة ، وزراعة القطن فى بلاد الجزيرة قديمة تعود الى عهد الآشوريين ، فانهم نقلوا بذوره وزرعوه في بلادهم .

وفى عهد الاسلام اهتم الحمدانيون فى زراعته ، حتى انهم قطعوا كثيرا من بساتين الفواكه والاثمار من بلاد الجزيرة وزرعوها قطنا[5] . ثم تأخرت زراعته على عهد السلاجقة ، ثم نشطت كثيرا فى العهد الاتابكى .

التجارة :

أما تجارتها : فكانت تصلها القوافل من العراق محملة ببضائع الهند ، وتصلها قوافل ايران ومعها بضائع الصين وفارس ، وتحط بها قوافل اذربيجان وترسو فيها مئات الاكلاك المحملة بحاصلات جزيرة ابن عمر وما يجاورها من بلاد الانضول .

ومن الموصل تخرج القوافل العديدة الى بلاد سورية محملة ببضائع الشرق وحاصلاته ، وتسير الى سواحل البحر الابيض المتوسط . ومن موانئ هذا البحر يأخذها التجار الجنويون والبنادقة وأهل مرسيليا

---

(١) ، (٢) الباهر (ص : ١٣٩) النجوم الزاهرة (١ : ٤٥)

(٣) ، (٤) منية الادباء (ص : ٦٧)

(٥) صورة الارض (١ : ٢١٣)

ويصدرونها الى بلاد اوربة ، وهكذا صارت الموصل من المـدن التجارية الكبيرة فى العالم .

قال عنها ياقوت : « هى محط الركبان ، ومنها يقصد الى جميـع البلدان ، فهى باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى اذربيجان ، وكثيرا ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور لانها باب الشرق ، ودمشق لانها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر الا بها »[١] . وهكذا فان تجارة الشرق والغرب كانت تلتقى فى أسواق مدينة الموصل .

وكانت دجلة غاصة بالسفن والاكلاك الكثيرة التى كانت تشتغـل فى نقل البضائع المختلفة .

وذكر سبط ابن الجوزى انه كان فيها سنة (٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م) - (٢٥٠) سفينة عدا الاكلاك ، وذكر ايضا ان عدد الدرجيات التى كانت تؤدى الى النهر ، والتى تستعمل لتحميل السفن والاكلاك بلـغ (١٨) درجية[٢] .

ويقول أيضا عنها ياقوت : « وما عدم شىء من الخيرات فى بلد من البلدان الا وجد فيها »[٣] وكان فيها عشرات الخانات الكبيرة ، والقيسريات والمحلات التجارية الواسعة المملوءة بما يصدره الشرق والغرب . وكان بها اربعة اسواق فاكثر - لكل صنف من البضاعة[٤] .

ويذكر سبط ابن الجوزى ان عدد اسواق الموصل الكبيرة كـان (٣٦) سـوقا وبلغ عدد الحوانيت فيها ٤٨٥١٥ حانوتا . وكان فى الموصل قيسرية خاصة لبيع الروائح العطرية وتسمى قيسرية المسك وفيها (١٢)

---

(١) ، (٣) معجم البلدان (٨ : ١٩٥ - ١٩٦)

(٢) منية الادباء (ص : ٦٧)

(٤) صورة الارض (١ : ٢٢٥)

دكانا[1] .

ومن القيسريات الكبيرة الشهيرة هي قيسرية الجامع النوري ،وكان فيها ٦٩٩ دكانا . والقيسرية التي بناها مجاهد الدين قيماز الرومي المتوفى سنة ٥٩٥هـ - ١١٩٨م قال ابن جبير : « وبنى ايضا داخل البلد ، وفي سوقه قيسرية للتجار كأنها الخان العظيم تنغلق عليها ابواب حديد ، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض ، قد جلي ذلك كله في اعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له ، فما أرى في البلاد قيسرية تعدلها »[2] .

ومما يؤيد لنا عظم الحركة التجارية في الموصل ان بلغت الدمغة اليومية التي كانت تجبى من اسواقها (١٠٫٠٠٠)[3] درهم في اليوم وهو مبلغ كبير يدلنا على سعة الحركة التجارية الواسعة في ام الربيعين .

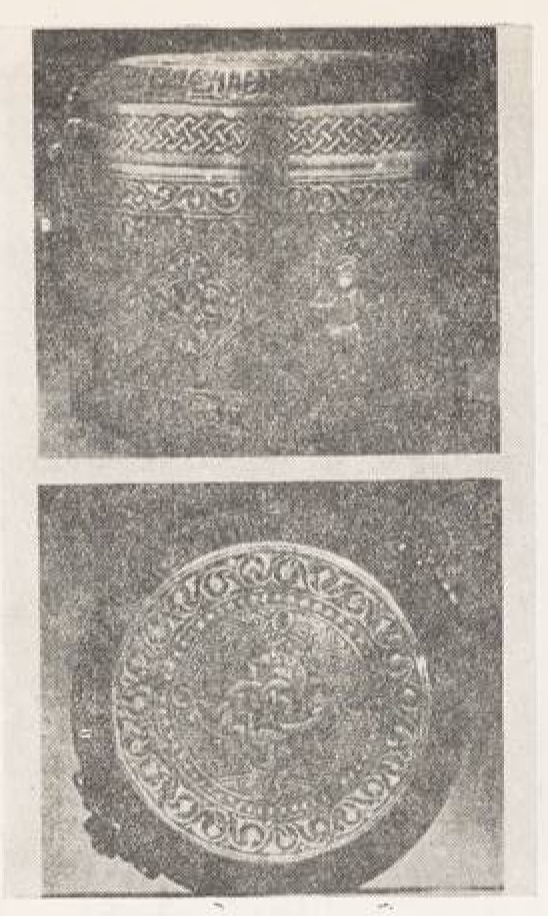


شكل (٤) سقف قبة المصلى الشمالي في كنيسة دير مار بهنام

(١) - (٣) منية الادباء (ص : ٦٦-٦٨) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨)

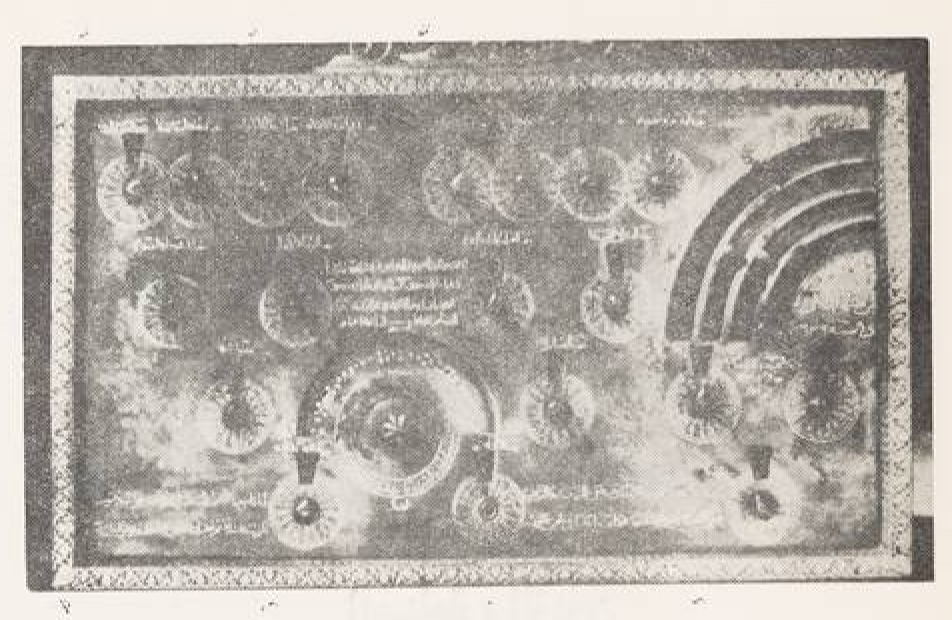


شكل (٥) منجرة من الفضة المطعمة
(فى المتحف البريطانى)

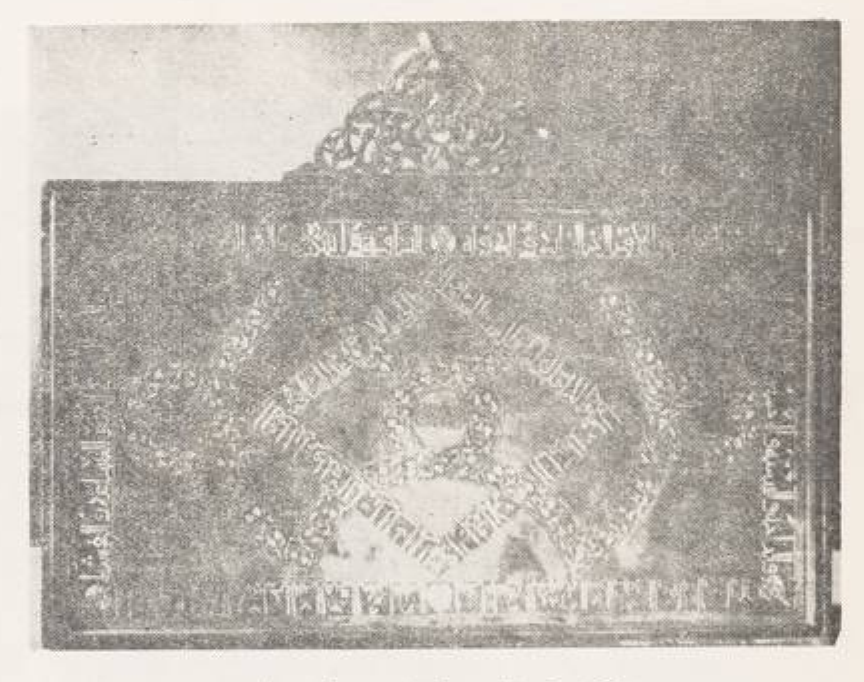


شكل (٦) ، (٧)
١ ــ علبة من النحاس المطعم صنعت لبدر الدين لؤلؤ
٢ ــ غطاء العلبة المذكورة

الصناعة والفنون



شكل (٨) جدول للحساب الفلكى عمل لبدر الدين لؤلؤ



شكل (٩) الوجه الثانى من الجدول
(فى المتحف البريطانى)

وتقدمت الصنائع فى الموصل وصارت المصنوعات الموصلية تصدر الى الهند شرقا والى أوربا غربا ، ومن هذه الصنائع النسيج الموصلى المعروف (بالموسلين) وصناعة التكفيت فى المعادن، وترصيع الخشب والرخام، وصناعة الخزف والزجاج والزخارف الجبسية وغير ذلك • ونبغ فى الموصل كثير من الفنانين الذين كان يرجع اليهم ، وكانت بعض تحفهم التى يبتكرونها مثالا لفنانى الشرق يعكفون على درسها وتقليدها • وكان اقبال اهل الموصل شديدا على هذه الصناعة حتى الامراء فان الامير مسعود بن آقسنقرالبرسقى (٥٢١ هـ ـ ١١٢٧ م) كان ذا فكر فى القص والتصوير والترويق ، لا يلحقه احد فى ذلك ، وكان احسن الناس نقوشا وتصاوير ، وربما عوض بصور اصطلح عليها بينه وبين امثاله[١] •

وفى أواخر القرن السادس للهجرة • هاجر من مصر الى الموصل كثير من الصناع واهل الحرف ، وذلك على اثر المجاعة التى حصلت فيها سنة ٥٩٥هـ = ١١٩٨م • فنشروا فنونهم وصنائعهم فيها ، وكانوا عاملا جديدا فى تنشيط الصناعة والفنون[٢] • كما هاجر بعض الصناع والبنائين من نصارى تكريت ، ونشروا فيها صناعة تزيين المبانى بزخارف وصور جبسية والحفر على الخشب فكانوا عاملا آخر فى تقدم فن البناء وزخرفته[٣] •

١ ـ النسيج الموصلى

كانت بلاد الجزيرة مشهورة بمنسوجاتها قبل الاسلام ، ومنها انتقلت هذه الصناعة الى غيرها من البلاد ، ففى عهد الآشوريين اشتهرت بلاد الجزيرة بنسج الكتان والقطن ، لان الآشوريين جلبوا بذر القطن من الهند وزرعوه وكانوا يسمونه (شجرة تحمل الصوف) ، واتخذوا منه ومن

(١) التصوير عند العرب (ص : ١١٣)
(٢) قصة عبداللطيف البغدادى فى مصر (ص : ٦٧)
(٣) التاريخ السرياني المجهول (ص : ٣٤٣) انباء الزمان (ص : ٣٣)

الكتان أجمل الثياب وأدقها[1] .

وذكر المسعودى ان سابور غزا بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ، ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد الفرس وتستر وغيرها من مدن كور الاهواز ، فتناسوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج التسترى وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بسوس[2] .

وبعد الاسلام بقيت بلاد الجزيرة محافظة على صناعة الحياكة ومنها حياكة القطيفة[3] فكان مما يجلب من آمد الى بغداد الطيالسة من الصوف والثياب الموشية والمناديل والمقارم (شراشف الفرش والكلل) وثياب الكتان والصوف ، ومن الموصل الى بغداد الستور والمسوح[4] . على أن صناعة الحياكة ما زالت فى تقدم وتوسع فى الموصل حتى صارت الموصل فى العصر الاتابكى من اعظم مراكز انتاج النسيج فى العالم ، وكانت تصدره الى اوربا وعرف بالموسلين Moslin نسبة الى الموصل . والنسيج الموصلى ثلاثة انواع :

النسيج الحريرى :

وكان ينسج من الحرير الخالص او من الحرير والقطن ، وكانوا يتخذون له الحواشى المقصبة ويطرزونه بالكتابات المختلفة وصور الاوراق وأغصان الاشجار المختلفة ، وذلك بخيوط الذهب والفضة ، وكانت هذه المنسوجات من اثمن ما ترتديه نساء الملوك والامراء واعيان الناس ، ويظهر ان هذا النوع من النسيج كان فى الموصل قبل العصر الاتابكى . جاء فى كتاب الف ليلة وليلة « فبينما هو فى السوق يوما من الايام متكئا على قفصه ، اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلى من حرير ، مزركش بالذهب ، وحاشيتاه من قصب »[5] .

---

(١) سومر (٣ : ٨٠-٨٥)
(٢) مروج الذهب (١ : ١٦)
(٣) تاريخ بغداد (٢ : ٨٠)
(٤) التبصر بالتجارة (ص : ٣٠ ، ٣٣) وأحسن التقاسيم (ص:١٤٥)
(٥) حكاية الحمال مع البنات

وشاهدهذا النسيج فيالموصلالسائح الاوربي مركو بولو.Marco-Polo عند مروره بها في القرن الثالث عشر للميلاد وذكر عنه : « ان التجار الذين يتاجرون بهذا النسيج يسمون به (موسليني)[1] كما انهم كانوا يتاجرون بالتوابل والمجوهرات واللآلى والاقمشة الحـريرية المطرزة بالـذهب • »

وبقيت هـذه الحرفة النفيسة في الموصـل الى القرن الثامن للهجرة • جاء أن « يوسف بن عبدالكريم بن هبيل الموصلي » نزيل اليمن عز الدين أبا الحسن قـدم اليمن في حدود الثمانين أي (٧٨٠هـ ـ ١٣٧٨م) وكـان ينسج الحرير الموشى[2] • وعزالدين أبو الفضـل الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلي النقاش (٦٤٢ ـ ٧١٠) وكان هذا من الفنانيين الـذين اشتهروا بنقش الثياب وخياطة الزركش • اتصل بخدمة الخاتون يلغـان زوجة السلطان محمود غازان بن ارغون ، وحصل له المال ، وكان شاعرا له أشعار ذوقية[3] •

النسيج الصوفي :

وكان اتقانهم لهذا النوع من النسيج لا يقل عن سابقه فقـد تفنن المواصلة في حياكته وتنويعه • وكان في الموصل قبل العصر الاتابكي • ذكر الجاحظ : مما يجلب الى بغداد من الموصـل (الستور والمسوح) والمسوح جمع مسح وهو عبارة عن كساء مخطط يكون في البيت ، يستتر بـه ويفترش[4] • وفي العصر الاتابكي توسعت هذه الصناعة عما كانت عليه •

ولا تزال هذه الصناعة موجودة في الموصل الى اليوم • يشتغل بهـا الماهرون من الحاكة ويسمون النسيـج (جاجيم) وجمعه (جواجيم) • وتمتاز الجواجيم الموصلية بالدقة والمتانة وتناسق الالوان •

---

(١) نسبة الى الموصل ـ Moslin

1- Travels of marco Polo (Vol. 1: 60)

(٢) الـدرر الـكامنة (٤ : ٤٦٢) ، (٣) الاستاذ (١١٥ ـ ١١٦)

(٤) التبصر بالتجارة (ص : ٣٣)

النسيج القطني :

وكانت الموصل تنتج منه كميات كبيرة وهو انواع : منه الشاش الموصلي وكان يتخذ منه سراة القوم واغنياؤهم عمائم يزينون بها رؤوسهم ، فـاذا ما وصفوا رجلا بحسن البزة فان على رأسه يكون الشاش الموصلي . جاء في كتاب الف ليلة وليلة يصف تاجرا : « ... فرأى في مقدم السفينة رجلا بيده مشعل من الذهب الاحمر وهو يشعل فيه العود القاقلي ، وعلى ذلك الرجل قباء من الاطلس الاحمر ، وعلى كتفه مزركش اصفر ، وعلى رأسه شاش موصلي ... »[1] .

ومنه النسيج الدقيق الابيض الذي يتخذون منه الغلائل والثياب الداخلية وكان مشهورا بدقته ومتانته . « ومن كمال ثياب الفتى أن يلبس وقت الظهر ثوبا موصليا أبيض »[2] . وأدرك آباؤنا هذا النسيج ولبسوه .

ومنه النسيج الملون الذي يتخذون منه الثياب المختلفة للرجال والنساء. وكانوا ينتجون منه كميات كبيرة ويصدرونها شرقا وغربا . وكانت هذه المنسوجات مما يتهاداه الملوك والامراء لنفاستها . ذكر أبو الفداء في حوادث سنة ٦٠٥هـ ــ ١٢٠٨م وفيها « توجه الملك الاشرف موسى بن الملك العادل من دمشق راجعا الى بلاد الشرقية . ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر ، وانزله بالقلعة ، وبالغ في اكرامه وكان يحمل اليه كل يوم خلعة . . . وفي كل واحدة منها خمسة اثواب عتابي وبغدادي وموصلي و ... »[3] .

ومما يدلنا على كثرة انتاج النسيج في الموصل ما نقله صاحب منية الادباء عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي انه كان في الموصل سنة (٦٦٠هـ ــ ١٢٦١م) وهو آخر عهد الدولة الاتابكية : (٩٠٨) خانات للحياكة و (٧٥٫٠٠٠ جومة)[4] فاذا كان معدل ما تنتجه الجومة الواحدة

---

(١) حكاية هرون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي (٣ : ١٤٦)

(٣) المختصر (٣ : ١١)   (٤) منية الادباء (ص : ٦٦ـ٦٨)

فى اليوم (٥) أمتار فيكون مجموع ما تنتجه الموصل اذ ذاك ٣٧٥٠٠٠ مترا مربعا فى اليوم • وهو مقدار كبير ان صحت رواية سبط ابن الجوزى •

واذا علمنا ان معظم اهل الموصل فى ذلك العهد كانوا يشتغلون فى النسيج ، وان الرحالة الذين زاروا الموصل بعد هذا التاريخ يذكرون تقدم هذه الصناعة فى الموصل ويؤيدون كثرة انتاجها •

فالاب لنزا الذى عاش فى الموصل بعد سبط ابن الجوزى بخمسة قرون يقول فى حوادث سنة (١١٧٠ هـ ـ ١٧٥٦ م) ـ الاقمشة القطنية يصدر منها كل سنة مقدار كبير الى سائر الجهات ، ويمكن القول ان البلد يستفيد كله فائدة عظيمة من هذا الصنف التجارى ، فان فى القرى التى يكثر فيها الماء ، يزرع القطن بكثرة ، ولكنه لا يكفى للانتاج المحلى ، ولذا فان كثيرا من الناس يذهبون الى بلاد الكرد ويجلبونه الى الموصل والقرى ، فتشتغل النساء بغزله ، ويشتغل اكثر الرجال بنسجه اشكالا مختلفة ، ويشتغل آخرون بقصره ، وغيرهم ببيعه ونقله ، فكأن الجميع مشتغلون به • وان الاتجار بهذه الانسجة والربح الذى يأتى منه للبلد عظيم جدا[١] •

ولا تزال كثير من محلات الموصل تشتغل بالحياكة ، وان السراديب الكثيرة فى البلد ، والتى كانت تستعمل للحياكة باقية الى اليوم تشهد بما للمدينة من مزيد العناية بهذا الشأن •

وكان النسيج بأنواعه يصدر الى سوريا ومصر غربا ، ويشتريه التجار البنادقة والجنويون ، ويصدرونه الى اوربا ، كما كان يصدر شمالا الى ارمينية والانضول، وشرقا الى الهند والصين• جاء فى التعليق على رحلة مركو بولو عند كلامه عن الموصل: «جاء فى رحلة (Ch'ang Ch'ins) الى الغرب سنة ٦١٨ هـ

---

(١) سومر (٧ : ٩٤ ، ٩٥)

١٢٢١م انه شاهد فى سمرقند رجال الطبقة العامة والقسس يلفون حول رؤوسهم قطعة من (mo'snye) فلعلها تعنى كلمة (moslin) فيكون المؤلفون الصينيون استعملوا هذه الكلمة مقابل استعمالنا كلمة (moslin) وبهذا يصح لنا القول ان النسيج الموصلى كان يصدر الى الصين ، ويتخذون منه العمائم الثمينة(١) • ونرى مما تقدم أن الموصل كانت فى العهد الاتابكى من اهم مراكز انتاج النسيج فى العالم وكانت تصدر منه كميات كبيرة الى كثير من الاقطار •

وتسربت هذه الصناعة من الموصل عن طريق فارس الى الهند فأختصت به بعض المدن الهندية « كمدراس » كما أن مدينة « دكة » كانت قد نالت شهرة فائقة فى صناعة النسيج القطنى الموصلى ، وتطريزه بخيوط الذهب والفضة ، وصبغه بالالوان الزاهية على ما كان يصنع فى الموصل ، وامتاز ما كان يصنع فيها بدقته • فالقطعة التى طولها ثلاث ياردات وعرضها يارد واحد كانت تزن « ⅕ الاونس » وبلغ سعرها اربعين دينارا انكليزيا • وكان النساء الاوربيات يرغبن فيه كثيرا ويفضلنه على سائر الاقمشة المستوردة من الشرق (٢)

ومن الهند تسربت هذه الصناعة الى انكلترا فى القرن السابع عشر واختصت به بعض المدن الانكليزية كمنشستر وغيرها (٣)

على ان المنسوجات الموصلية أخذت بالتقلص والانحطاط حتى اقتصرت على المنسوجات القطنية والصوفية • والسبب الرئيسى هو تحول الطريق التجارية عنها بحفر قناة السويس الى البحر الاحمر فأثر كثيرا على تجارتها واقتصرت على بعض البلاد المجاورة لها وتأخر عمرانها وحضارتها• وهكذا انحطت هذه الصناعة فى الموصل •

---

(1) Travels of marco-Polo (1 : 6g)
(2) Incyclopaedia Britannica (vol: XIX: P. 93
(3) Chamber's Encyclopaedia (P. 302)

٢ ـ التحف المعدنية

ومن الصنائع التى تفوقت فيها الموصل فى العهد الاتابكى ، هى صناعة التحف المعدنية ، وتكفيتها بالذهب والفضة •

وصناعة التكفيت قديمة كانت معروفة فى بلاد ما بين النهرين ، فكان السومريون ومن بعدهم الآشوريون يزينون قصورهم ومعابدهم بالرخام المكفت كما عثر المنقبون على أوانى كثيرة مطعمة بمادة ثمينة •

فصناعة التحف المعدنية فى الموصل من الصناعات القديمة التى كانت معروفة فى هذه الديار ، ونشطت فى الموصل فى القرنين السادس والسابع للهجرة • فان الصناع المواصلة جمعوا بين ما ورثوه من العناصر المحلية القديمة فى الزخرفة والنقش ، الى ما تأثروا به من الصناعات المجاورة لها ، وابتكروا عناصر جديدة فى الزخرفة والنقوش وتنويع التكفيت، وكان الطابع الموصلى هو الغالب عليها •

ان تراث كل امة لا يكون خالصا لامة دون اخرى ، بل ان الامم تقتبس بعضها من بعض ، ولكن تفوق الامة فى صناعتها يكون بحذقها وبراعتها لتلك الصناعة ، وذلك بما تجرى عليها من التفنن والابداع فى عمليات الحذف والتنقيح والتصحيح والاضافة والتهذيب ، ثم الاختراع والابتكار ، فتكون بذلك قد طبعت الفن بطابعها الخاص ، وخلقت لنفسها فنا يوافق ذوقها ، ويتمشى مع طبعها ، ويلائم عاداتها واخلاقها ، وهذا ما فعلته مدرسة الموصل • فان صناعة التحف المعدنية فيها تأثرت بما كان يصنع فى ايران

انظر عن صنائع الموصل

تاريخ بغداد (٢ : ٨٠) ، البداية والنهاية (١٣ : ٢١٤) خطط المقريزى (٣ : ١٧٠ ، ١٧١) ، السلوك ــ للمقريزى) ص : ٧٥٨ (دائرة المعارف الاسلامية (٨ : ٢٩٩) تراث الاسلام (٢ : ٢٧ ، ٣٢ ، ١١٧) ، الفنون الاسلامية (٨٥ ــ ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٤٦ ، ١٥٢) الفنون الايرانية (٢٤٣،٢٤٤،٢٤٧) التصوير لاحمد تيمور باشا (ص : ٤٨،٩٨،١١١،١١٣)

وارمينية ، كما تأثرت بالصناعات المحلية التى كانت معروفة فى هذه البلاد ـ قبل الاسلام وبعده ـ ولكن فضل صناع الموصل على هذه الصناعة انهم لم يكونوا مقلدين فحسب ، بل انهم طبعوها بطابع خاص ، وتفننوا فى تنويعها وتهذيبها ، حتى صارت مدرسة الموصل قبلة مدارس العالم فى هذه الصناعة ، وكانت مصنوعاتها من التحف المعدنية الثمينة التى يتسابق الملوك والامراء وارباب الثروة فى اقتنائها ، وتزيين دورهم وموائد طعامهم وشرابهم بها ، وظلت الموصل متولية زمام هذه الصناعة مدة القرنين السادس والسابع للهجرة (الثانى عشر والثالث عشر للميلاد) ثم دهمتها المصائب والغزوات ، فمزقت شمل اهلها ، فهاجر الفنانون الى كثير من البلاد ، ونشروا معهم هذه الصناعة النفيسة .

والطرق التى كانت متبعة فى انتاج التحف هى :

أ ـ الطريقة الاولى (طريقة الترصيع) : وهى انهم كانوا يحفرون النحاس ويرصعونه بالفضة ثم يطلون غير المرصع منه بالقير ، فتظهر عليه النقوش الفضية بوضوح ، وهذه الطريقة كانت منتشرة فى الشمال الغربى من ايران وبلاد ارمينية وذلك فى القرن الثانى عشر للميلاد .

ب ـ الطريقة الثانية (طريقة الضغط) : ذلك انهم كانوا ينقشون النقوش ويصورون الصور على ظاهر الاناء ، ثم يضغطون على الصور والنقوش من الداخل ، فتظهر على سطح الاناء بارزة ، وهذه الطريقة كانت معروفة عند الساسانيين ، ثم تفوقت الموصل بها .

حـ ـ الطريقة الثالثة : وهى انهم جمعوا بين الطريقتين فكانوا يرصعون بعض أقسام التحفة على الطريقة الاولى ويزينون بعضها الآخر بصور بارزة

اعلام المهندسين (ص:٨١) خان مرجان (ص:٣٧ ، ٣٨) آنباء الزمان (ص:٣٣) التاريخ الكنسى لابن العبرى (١ : ٧١٩) التاريخ السريانى المجهول (ص : ٣٤٣) مجلة سومر (٧ : ٩٢ ـ ٩٨)

Islam metal works In British museum

بالطريقة الثانية وصارت بعد ذلك من الطرق التى كادت ان تكون محصورة بها ٠

د ـ الطريقة الرابعة : وهى الترصيع أو التكفيت بالذهب والفضة فقط٠ وهذه الطريقة كانت مختصة بمدينة الموصل ، أى انهامما أبدعته قريحة الفنان الموصلى ، وفاقت مدرسة الموصل غيرها فى هذه الطريقة وتفننت فى اخراج اجمل الاوانى ، وصار ما يصنع فى هذه المدرسة مثالا تحتذيه بقية المدارس التى اقتفت اثرها واخذت عنها ، وفى متاحف الشرق والغرب تحف معدنية تعد من اجمل التحف التى صنعت فى القرون الوسطى وعليها اسماء صانعيها المبدعين من اهل الموصل ٠

اما الطابع الموصلى فكان يجمع بين الكتابة والصور الحية الناطقة ، فكانوا يصورون حياة القصور على تحفهم المعدنية ، يبدو فيها الملك وهو يحتسى الخمر يحف به خدمه وموسيقيوه ، أو هو منصرف الى الصيد او اللعب بالكرة او القتال وغير ذلك[١] ٠

وهكذا كانت هذه الصناعة فى تقدم طورا وطورا فى ركود ، حتى أوائل القرن السادس للهجرة حيث تفوقت مدينة الموصل فيها ، وصار لها مدرسة خاصة باتناجها ، واشتهرت المدرسة الموصلية فى العالم حتى نسب اليها كل ما يصنع من تحف البرنز والنحاس الاصفر المكفتة بالفضة والذهب والنحاس الاحمر ٠

وكانوا يجعلون هذه الصور داخل جامات تحف حول الاناء ، كما كانوا يكتبون حوله كتابات مختلفة ، وتكون الكتابة اما داخل جامات تفصل كل واحدة منها بين جامتين مصورتين ، او تكون بشكل شريط يحف بالاناء ٠

---

(١) تراث الاسلام (٢ : ٢٧ ، ٣٢) ودائرة المعارف الاسلامية (٢ : ٢٩٩)

وكانت الكتابات بالخط الكوفي المشجر ، وكثيرا ما كان يكتب على التحف اسم الصانع والسنة التى صنع فيها التحفة . وكانوا يصورون على الاناء صورا فلكية كالبروج الاثنى عشر والكواكب والشمس والقمر وغيرها .

بقيت هذه الصناعة مزدهرة فى الموصل مدة قرنين ولكن الصدمات التى لاقتها هذه البلاد من التتر والمغول شتت شمل الصناع فتفرقوا فى البلاد .

وبعد غزو تيمورلنك الموصل سنة ٧٩٦هـ اخذت هذه الصناعة بالانحطاط والتدهور . ولم يمض وقت طويل حتى لانجد لها ذكرا . اللهم الا صورا ممسوخة عن الاصل لا نزال نرى آثارها ، وذلك انهم يحفرون على الاوانى النحاسية زخارف وصورا غير متقنة ، ويملأون الحفر بالقير او يتركونها خالية . وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ من اكثر الملوك المشجعين لهذه الصناعة فقد كان يجزل العطايا لاصحابها .

ويروى المؤرخون ان بدر الدين لؤلؤ كان يبعث فى كل سنة الى مرقد الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه ـ قنديلا كبيرا مطعما بالفضة بالذهب زنته الف دينار[١] وشمعدانا مطعما بالذهب والفضة وعليه اسمه . ووصلنا من التحف المختلفة التى صنعت باسمه :

(١) طست بمكتبة الدولة فى مدينة مونيخ وعليه اسم بدر الدين لؤلؤ[٢] .

(٢) صندوق صغير اسطوانى الشكل مزين بصور اسماك واشخاص جالسين وحول رؤوسهم هالات وهم يمسكون الكؤوس بأيديهم[٣] . محفوظة

(١) البداية والنهاية (١٣ : ٢١٤)

(٢) ، (٣) الفنون الاسلامية (١٥٢ ، ١٥٣)

فى المتحف البريطانى ٠

(٣) قاعدة شمعدان جميلة للغاية وتتكون زخارفهـا من أربع جامات كبيرة تحكى صورا من حياة السلطان ، واثنتى عشرة جامة صـغيرة اخرى بها رسوم فلكية ورموز ، ومجموعة من الرسوم الآدمية الممتلئة بالحيـاة ، تشتمل على رجال ونساء يحتسون النبيذ من الكؤوس والاقداح ، وعـلى آخرين يعزفون على القيثارات والاعواد والصنوج التى ترقص الفتيات على نغماتها ٠ وبين الشفة البارزة التى تدور حول قاعدة الشمعدان من أعـلى ومن اسفل نرى شريطين من الزخارف الجديرة بالاهتمام ، فقد صور الفنان بحذق واتقان جميع انواع الحيوانات والطيور المائية الغريبة والعقبان وسط التفريعات النباتية ، ولا يوجد على تلك التحفة ما يدل على اسم صاحبها او المكان الذى صنعت به ، على انه يوجد بها ستة عشر جامة صغيرة مستديرة بها رسوم تمثل القمر ، وهى عبارة عن شكل رجل جالس وبيده هـــلال يضعه حول وجهه ، ويحتمل ان يكون هذا الرسم رنكا او شعارا لاحد افراد اسرة زنكى ، اذ رأيناه أخيرا على بضع قطع من النقود التى ترجع الى عصر السلطان بدرالدين لؤلؤ ٠ كما رأيناه على باب سنجار بالموصل ، واذن فمن المحتمل أن تكون قاعـــدة الشمعدان الذى يشير اسمه « بدر » الى ما على التحفة من رسوم تمثل القمر ٠ وفى كثير من التحف المعدنية المصنوعة فى سوريا وايران ومصر نرى أن ذلك الشخص يمثل القمر فعلا [(١)] ٠

ومن الصناع الذين وصلتنا أسماؤهم وتحفهم :

(١) داود بن ســلامة ـ وله شمعدان فى متحف باريس صـــنعه سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وهو جميل جدا وعليه نقوش وصور مسيحية ٠

(٢) محمد بن الزين ـ صنع حوض الملك لويس وهو من التحف المعدودة فى هذا الباب وقد كتب اسمه فى ثلاثة مواضع على الاناء (محمد بن الزين غفر الله له) ٠

والاناء مكفت بالفضة والذهب ويعرف باسم معمدانة ســان لويس ،

---

(١) الفنون الاسلامية (ص : ١٥٢ ، ١٥٣)

وقوام زخرفته فى سطحيه الداخلى والخارجى مناظر مختلفة للقتال والبلاط والحياة اليومية ، موضوعة فى اشرطة وجامات متعددة الاشكال ، وموزعة فى تراصف وتماثل واتزان ، وتحبسها أشرطة ضيقة تضم رسوم حيوانات وهذه الرسوم جميعا على مهاد من الفروع النباتية والوريقات الدقيقة •

(٣) أبو الفرج عيسى ـ وله مزولة صغيرة صنعها سنة ٥٥٤هـ (١١٥٩ م) للملك نور الدين وهى محفوظة فى متحف المكتبة الوطنية بباريس •

(٤) محمد بن الحسن الموصلى ـ وله بدار الآثار المصرية منارة صفر (نحاس) محلاة بالذهب والفضة وعليها كتابات بالقلم الكوفى وصور آدميين وصنوف من الحيوانات صنعها سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) وكتب عليها اسمه •

(٥) شجاع بن منعة ـ وله تحفة فريدة وهى ابريق من النحاس الاصفر محفوظ بالمتحف البريطانى صنعه فى شهر رجب سنة (٦٢٩ هـ ـ ١٢٣٢م) • ويمثل هذا الابريق غاية ما أصابته مدرسة الموصل من تقدم • وهو مغطى كله باشكال هندسية مكفتة بالفضة ـ وجسم الابريق وعنقه مضلعان لهما عشرة اوجه وفيهما مناطق افقية عديدة ومساحات محجوزة مختلفة الاشكال ، وسطحه مزدحم كله بالزخارف الآدمية والهندسية والنباتية والكتابية ، وعلى مقربة من القاعدة يرى الناظر الى الاناء ذيلابه رسوم عقد كثيرة تنتهى باقراط على شكل ازرار وبهذا الذيل تكمل زخرفة الاناء • وعلى سطح الاجزاء الدقيقة التى كفتت بالفضة ، رسمت الصور بدقة بالغة ، فظهرت عليها تفاصيل عدة من تقاطيع وجه الى شكل كف الى طيات اردية منقوشة كلها بعناية فائقة وحول عنق الابريق ترى كتابة هى اسم صانعه وتاريخ صنعه •

(٦) محمود بن سنقر البغدادى ـ وله مقلمة من النحاس المكفت بالفضة والذهب وعليها اسم صانعها ومؤرخة سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) وهذه المقلمة تحفة فنية جميلة للغاية ، وقد لا تقل عن الابريق السابق الذكر

فى ابداع الزخرفة والصناعة • والزخرفة الرئيسية التى ترى على غطاء المقلمة هى الابراج الاثنى عشر ، مرسومة فى ثلاث جامات ، كل جامة منها تحتوى على اربعة ابراج ، وفى داخل الغطاء زخرفة مؤلفة من صف من الدوائر ، فيها بعض مصطلحات فلكية ، فالدائرة الوسطى تمثل شمسا على شكل وجه آدمى ، وتنبعث منها الاشعة فى كل ناحية ، وفى الدوائر التى تحف بها ترى اشكالا تمثل القمر وعطارد ممسكا بقلم وقرطاس ، والزهرة تحمل عودا ، ثم المريخ قابضا على سيف ورأسه مقطوع ، ثم المشترى جالسا جلسة قاض ، ثم زحل وبيده صولجان وعصا ، وكل هذه الرسوم على ارضية غنية بالزخرفة ويحيط بها أشرطة (كنارات) من رسوم متداخلة ، وهذه المقلمة مثال بديع لكثير من قطع تشبهها • كانت فيها قديما عيون لوضع المداد والرمل وتجاويف (نقر) مستطيلة لوضع اقلام البوص (القصب) مرتبة •

(٧) وفى متحف الآثار العربية ـ خان مرجان ـ ببغداد محبرة جميلة من صنع الموصل طولها ٣٠ سم وعرضها ٧½ سم وارتفاعها ٦½ سم وهى من النحاس المكفت بالفضة خالية من التصاوير • وقد استعاض صانعها عنها بكتابة أبيات عليها تناسب عمل المحبرة • ففى داخل الغطاء :

اذا فتحت دواة العز والنعم ... فاجعل مدادك من جود ومن كرم

وعلى الوجه :

تصرف ووقع بما بى ... ففى امان من حيل الزمان
ففى ذى الدواة سرور الصديق ... وكيد العدو ونيل الامانى

وفى الدائرة ـ المقر العالى المولوى الاميرى المالكى الملكى •

(٨) وفى المتحف البريطانى جدول للحساب الفلكى مطعم بالفضة والذهب فيه قطعة فنية رائعة من النحاس الاصفر المطعم قد نقش عليها اشارات فلكية وهى غنية بالكتابات فى داخلها وظاهرها • ومما هو مكتوب عليها الابيات التالية :

انا ذو البلاغة والمحدث صامتا ... وبمنطقى الترغيب والترهيب
يخفى اللبيب ضميره فابينه ... فكأن اعضائى خلقن قلوب

انا كاشف الاسرار فيّ بدائع | من حكمة وغرائب وغيوب
لكن بسطت اديم خدي صاغرا | وجعلته عوض التراب ينوب

صنعها محمد بن خاتلج الموصلى فى سنة ٦٣٩ هـ للملك بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل ـ

وتسربت هذه الصناعة من الموصل الى البلاد المجاورة . فهاجر قسم من الصناع الى ايران ، ونشروا صناعتهم فيها .

وبعد موجة التتر هاجر قسم كبير منهم الى سورية ، ومنها الى مصر واليمن . ولاقى الصناع المواصلة اقبالا حسنا فى سورية ومصر ، فنشروا صناعتهم فيها ، وكان اقبال المماليك ـ فى مصر ـ عليها كبيرا . وخاصة الملك قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ) فانه من اكثر ملوك مصر تشجيعا لها . فاستقدم الصناع المختصين بها ، ورغبهم واجزل لهم العطايا ، فانتجوا له تحفا كثيرة متنوعة ، كان يزين بها قصره ، ثم أعقبه بعد ذلك خلفاؤه . فتأسست محلات فى القاهرة يعمل بها صناع مواصلة . وانتجوا تحفا عليها اسماء صانعيها المواصلة ، واسماء الملوك الذين عملت لهم ، كان ذلك فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد . وصار فى مصر سوق خاص لصناعة التطبيق فى النحاس والخشب عرفت بسوق « الكفتيين » وأنتجوا مقدارا كبيرا من التحف[1] . وقد تكلم « المقريزى » المؤرخ المصرى المشهور عنها فى كتابه المواعظ والاعتبار فقال « سوق الكفتيين ويشمل على عدة حوانيت لعمل الكفت : وهو ما تطعم به اوانى النحاس من الذهب والفضة ، وكان لهذا الصنف بديار مصر رواج عظيم ، وللناس فى النحاس المكفت رغبة عظيمة أدركنا من ذلك شيئا لا يبلغ وصفه واصف لكثرته ، فلا تكاد تخلو دار بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفتة » .

وان المماليك لم يرغبوا بالصور التى كان ينقشها الفنانون المواصلة ، فانهم استبدلوها بكتابات مختلفة ، فكانوا يكتبون على التحف أسماء السلطان

(١) خطط المقريزى (٣ : ١٧٠ ، ١٧١) والسلوك (٧٥٨)

وألقابه ، ويتفننون بطريقة كتابتها بخطوط مختلفة .

ويرى بعضهم ان هذه الصناعة انتشرت من مصر الى مدن البحر الابيض المتوسط فى اوربة وغيرها ، فكان يعمل بها صناع من الموصل منهم محمود الكردى الذى كان يشتغل فى البندقية .

وكانوا يصنعون الهاونات من البرونز الاصفر ، ويجعلون لها قاعدة أوسع من الهاون . ويحيط بها عنق تكون واسعة أيضا ، ويزينون أعلى العنق برؤوس تماثيل لاسود او كباش او غير ذلك ، ويصورون حول الهاون صورا مختلفة لحيوانات ونباتات ، ويكتبون حولها كتابات بخطوط مختلفة .

وفى متحف الموصل هاون عثر عليه فى قرية الشاروق بسنجار واهداه الى المتحف السيد اسماعيل حقى رسول[1] . وهو هاون جميل جدا وبحالة مرضية . حول عنقه اربعة رؤوس لاسود ، وفى وسطه حلقة ربما كان بها زنجيل يشد بطرفه الثانى المدقة . والهاون غنى بزخارفه وكتاباته .

وفى متحف أمستردام هاون آخر من صنع الموصل مكفت بالفضة والنحاس الاحمر وهو من صناعة القرن الثالث عشر للميلاد .

وفى دار الآثار العربية هاون من النحاس المطعم ، وفيها أربعة مقابض على شكل رؤوس حيوانات ، ومزخرف برسوم نباتية محفورة ، وشريط من حروف كوفية ونسخية مكررة . وهو قريب الشبه بالهاون الموجود فى متحف الموصل

وكانوا يصنعون من البرونز او الحديد مدقات تثبت فوق الابواب

---

(١) كان فى سنة ١٩٥٢ قائمقام قضاء سنجار وأما اليوم فهو متصرف لواء الكوت

وتكون على أشكال مختلفة فمنها ما يكون على شكل رأس كبش أو رأس أسد أو طير • ومنها ما تكون على شكل زخارف هندسية ، أو نباتية متشابكة•

٣ ـ الزخارف الجبسية

ونزح الى الموصل قسم من أهل تكريت في القرن السادس للهجرة ، واتخذوا المدينة وما يجاورها من القرى المسيحية دار اقامة لهم[١] • وكان هؤلاء التكارتة يتقنون صناعة النقش على الجبس فنشروها في الموصل وما يجاورها من القرى والقصبات ، وصارت من عناصر الزخرفة الرئيسية في المباني ، زينوا بها داخل البنايات وواجهات الاواوين والدهاليز وحول الشبابيك والابواب، وخلفوا ألواحا فنيةدقيقة تشهد بما كان لهم من التفوق• وهذه الزخارف كانت مزيجا من الزخارف العربية المعروفة بسامراء ، والزخارف الحيوانية والنباتية التي كان قد نشرها السلاجقة في الموصل ، فظهر في الزخارف الجبسية عناصر طريفة من الزخارف فيها صور اشخاص وطيور وحيوانات ، ونلاحظ صور الطيور والحيوانات تتداخل في بعضها مع الزخارف النباتية تداخلا تاما ، وتكون بصورة متناظرة ، بحيث تكون مكملة للزخارف النباتية والهندسية •

وخير مثال على هذا هو محراب جامع مجاهد الدين قيماز ، فان الزخارف الجبسية التي تعلو المحراب مؤلفة من زخارف نباتية يتخللها صور حيوانات وطيور كالغزال والاسد والحمام ، وهي متداخلة تداخلا كليا مع غيرها من الزخارف بصورة دقيقة ، والزخارف كلها بارزة ويكاد يكون ارتفاعها في مستوى واحد •

ونجد في بعض الكنائس والاديرة تماثيل من الجبس للقديسين الذين بنيت الكنائس تخليدا لذكراهم ، ففي دير الجب (دير مار بهنام) تمثال من الجبس لمار بهنام في داخل الكنيسة ، يقابله على الجدار الثاني تمثال آخر من الجبس لاخته سارا • والتمثالان من صناعة التكارتة الذين نزحوا

---

(١) انظر (ص : ٤٥)

الى قرية قرهقوش فى القرن السادس للهجرة ، وهما من أجمل ما وصلنا من التماثيل الجبسية ، ومما يؤسف له ان ايدى الجهال عبثت بهما فشوهت كثيرا من معالمهما .

وفى الرواق الشمالى من بقايا قصر بدرالدين لؤلؤ وعلى ارتفاع أربعة أمتار افريز داخله صور جبسية وكل صورة داخل دائرة صغيرة قطرها ٥سم وهى تحيط بالرواق. وربما كانت هذه الصور تمثل أزياء الجنود الذين كانوا فى العهد الاتابكى، وقد زال القسم الكبير منها ، ولم يبق منها سوى عدد قليل وهى بحالة غير مرضية . ويظهر أن الرواق المذكور كان غنيا بالزخارف الجبسية فنلاحظ فيه بقايا زخارف كتابية وهندسية وهى متداخلة كانت تحيط بالرواق المذكور تحت الصور .

وكان فوق محراب الجامع النورى ـ قبل تجديده ـ قطعة زخرف من الجبس جميلة للغاية تتداخل فيها الكتابات والزخارف بصورة دقيقة جدا ويظهر فيها أشكال فنية دقيقة . وهى من القطع الفنية الرائعة فى هذا الباب . وقد أحسنت مديرية الآثار القديمة العامة بنقلها الى بغداد وحفظها فى القصر العباسى .

وفى مبانى الموصل زخارف كثيرة متنوعة من الجبس وهى مختلفة فى أصولها وحجومها . وأحسن مابقى منها سالما ماهو موجود فى دير الجب ومقام ابن الحسن ومقام يحى بن القسم ومقام الست زينب فى سنجار وغيرها .

٤ ـ الزخارف الخشبية

أما الزخارف الخشبية فان المواصلة طبقوا الصناديق الخشبية بالصدف وباخشاب ذات ألوان مغايرة للخشب المطبق . ولم يصلنا الا القليل من آثار هذه الصناعة . أما الحشوات الخشبية فنلاحظ على بعضها زخارف غائرة وبعضها نافرة ، تحيط باللوح ، ويكون داخل اللوح زخارف دقيقة للغاية ، كما فى الباب الخشبى لجامع النبى جرجيس .

ونجد على صناديق الاضرحة كتابات كبيرة بالخط الكوفى المشجر وتكون الكتابة نافرة على مهاد مورقة مغطاة بتفريعات نباتية • ولم يزل فى الموصل نماذج جميلة وبحالة جيدة من هذا النوع ، مثل الصندوق الذى فوق مشهد ابن الحسن والصندوق الذى فوق مشهد يحى بن القسم •

ووصلنا نماذج من الالواح الهندسية التى كانت تزين الابواب الخشبية والمنابر وعليها كتابات تشير الى سنة عملها ، وأسم الصانع الذى قام فى العمل، كالباب الخشبى الذى كان فى حضرة الامام الباهر ، والباب الذى كان فى مصلى جامع العمادية ، والمنبر الذى كان فى نفس المصلى ـ وهى كلها محفوظة فى القصر العباسى ببغداد •

وفى مدخل حضرة ابن الحسن باب من الخشب مغطى بصفائح من النحاس مزينة بأشرطة حديدية موضوعة بصورة أشكال هندسية متناظرة وعلى الباب مكتوب اسم صانعه (عمل عمر بن الحصرولى آل محمد) والسنة التى صنع فيها سنة ٦٤٠هـ = (١٢٤٢م) •

وفوق الباب المذكور لوح من خشب التوت مزين بتخريمات دقيقة، ولكن قد تلف قسم لا يستهان به من هذه الزخارف •

٥ ـ الرخام

أما الرخام فقد تنوعت زخارفه، ووصلنا قسم كبير من الآثار المهمة التى أنتجها الفنانون ، فكانوا يطبقون الرخام الازرق بالرخام الابيض او بالصدف ويكون ذلك أما بالكتابة بأحرف كبيرة ، أو تكون على شكل ألواح هندسية جميلة ، وزينوا بها المحاريب والابواب والجدران التى تحيط بأسفل الغرف • ومن أجمل ما وصلنا من الرخام المطعم هو محراب بنات الحسن ، فانه قطعة فنية خالدة يدلنا على مدى ما وصلت اليه صناعة زخرفة الرخام بالموصل • وفى مقامى يحى بن القسم والامام عون الدين بن الحق ـ ابن الحسن ـ كتابات بأحرف كبيرة تحيط بداخل الحضرة ، وهى تكون على ارتفاع متر واحد، فيها نسب كل منهما وألقاب السلطان بدرالدين لؤلؤ ، الذى قام بتشييدهما •

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣)

وقبر الامام على الهادى لايقل فى الاهمية عن محراب بنات الحسن ، فانه من المرمر الازرق الجميل ، مطعم بالمرمر الابيض وعليه كتابات مختلفة وأفاريز عليها نقوش واشكال هندسية مختلفة .

ويظهر لنا مما وقفنا عليه من البنايات الاتابكية ان أكثرها كان لايخلو من مرمر مطعم بالصدف او بالمرمر الابيض ، فقد وجدنا الواحا كثيرة فى بقايا البنايات الاتابكية بعضها مطبق بالزخارف الهندسية . وبعض عليها كتابات . وكلها جميلة للغاية . كما ان الابنية الاتابكية التى لم تزل باقية الى اليوم ، لا تخلو من رخام مطعم بهذه الطريقة .

أما الابواب والشبابيك والمحاريب الرخامية فكانوا يزينونها بزخارف هندسية ونباتية وكتابات مختلفة وتكون هذه محفورة بصورة نافرة وغائرة . وخير تحفة فنية تمثل مدى ما وصل اليه من حفر الرخام هو المحراب الذى كان فى الجامع النورى ، فان زخارفه نافرة متشابكة . قد حفر ما حولها ، وقد تفنن الصانع بجعل الزخارف بعضها أكثر غورا من التى تليها ، وهكذا حتى يصل الحفر الى عمق ٤ سم فتؤلف هذه الزخارف المحفورة بعضها فوق بعض قطعة فنية رائعة . ونجد آثار تقليد هذا المحراب واضحا فى المحاريب التى بنيت بعده . ولكن الفنانين لم يتمكنوا ان يحاكوا هذا المحراب تماما ، ففى ديرالجب فى صدر الاروقة التى أمام الكنيسة ما يشبه المحراب وقد حاول الفنان ان يقلد مافى محراب الجامع النورى من زخارف ، ولكنه لم يتمكن من تقليدها فهو دونه فى الفن (١) .

ومحرابا ابن الحسن ويحى بن القاسم هما أيضا صنعا بعد محراب الجامع النورى . وتظهر عليهما آثار تقليد زخارفه . وهما يمتازان بوجود أزهار بارزة فوق المحراب .

وكانوا يكتبون على الرخام بأحرف نافرة يحفرون ما حولها فتظهر الكلمات . وتكون مهاد الكتابة أما مورقة أو خالية من التوريق .

وكثيرا ماكانوا يجعلون الكتابات حول الابواب والمحاريب والاروقة والشبابيك .

---

(١) انظر (ص : ١٤) من الكتاب

كما كان حول محراب الجامع النورى •

وكانوا يجعلون حول الابواب الرخامية جامات كبيرة داخل كل جامة زخارف هندسية دقيقة • أما فى الكنائس والاديرة فكانوا يجعلون داخل كل جامة منها (صورة قديس) كما فى دير الجب •

ونجد فى الزخارف الحجرية صور اسود وحيوانات مفترسة ضخمة كالجاموس والافاعى والطواويس والحمام وحيوانات خرافية • وهى كثيرة ما تكون فوق الابواب كما هو موجود فوق باب الموصل فى العمادية • وفى دير الجب • وكنيسة مار احوذ ايمى • وكانوا يجعلون فوق الابواب الكبيرة وفى بعض الكنائس صورة أنسان يطعن التنين بالرمح • وهى من الصور التى كانت منتشرة فى ذلك العهد ، كما نجد فوق بعض الابواب صورة ثعبانين تحيطان بالباب وينتهى رأساهما الى انسان متربع فوق أعلى الباب ، كما هو فوق باب الخان قرب سنجار • ويظهر لنا أن السلاجقة كانوا لا يتورعون من حفر الصور الرخامية حتى على أبواب بعض الاماكن المقدسة للمسلمين ، كما هو موجود فوق باب حضرة الامام الباهر فى الموصل ، حيث يحيط بالباب حيتان تتشابكان فى اعلى الباب • فالسلاجقة هم الذين كانوا يرغبون بنشر الصور فعممها الصناع على التحف والازياء والنقود والمبانى وغيرها • وصارت على عهدهم من أسس الزخرفة فى الموصل •

٦ ـ الخزف

وأشتهرت الموصل بعمل الخزف المشهور بالبربوتين • وهو الخزف الذى يتخذ منه الخوابى والحباب والزمزميات والجرار • واعتنى الصناع بزخرفته بأشكال هندسية جميلة ، كما كانوا يضعون حول الاناء صور حيوانات وطيور مختلفة كالاسد والكبش والطاووس والحمام ، ونجد على بعضها حيوانات خرافية كبيرة ، وهذه الصور تكون قريبا من فوهة الاناء متقاربة الى بعضها ، كما كانت توضع على ظاهر الاناء بعد صنعه وتكون بارزة أيضا • ولاحظنا فى بعض القطع التى عثر عليها فى مدينة الموصل أنهم كانوا يصورون على الاوانى الخزفية النصف الاعلى لامرأة ويكون وجهها كاملا •

وعلى صدرها ورأسها حلى مختلفة . ونلاحظ مثل هذه الصور على النقود الاتابكية ، وكانت الصور المذكورة تثبت على الاناء بعد الانتهاء من صنعه . وفي متحف الموصل حباب ماء مختلفة أحدها عثر عليه في قرية المحلبية.[1] وهو دقيق الصنع ، يحيط بأعلاه حيوانات خرافية كبيرة . وتستمر الزخارف الى ظاهر فوهة الحب . ويحيط بالحب زخارف مختومة على شكل دائرة فهي تشبه الازرار وتكون متقاربة بعضها الى بعض . وتشبه في مظهرها خلية النحل .

وفي المتحف أيضا حباب غير هذا أهداها السيد اسماعيل حقي رسول قائمقام قضاء سنجار عثر عليها في سنجار وهي غنية بالصور البارزة التي تكون في الثلث الاعلى من الحب وتنتهي الى الفوهة . والصور كما قدمنا هي رأس أسد او كبش او طاووس كامل . اما ماتبقى من الحب فهو خال من النقوش .

وكانوا يكتبون على ظاهر الزمزميات والجرار عبارات تناسب الاناء. وتكون الكتابة نافرة على شكل زخرف . كما ان بعض الصناع كان يكتب أسمه على الاناء . فقد عثرنا على قطعة خزف هي جزء من حب او زمزمية مكتوب عليها (عبد المنعم) وهي محفوظة في متحف الموصل .

٧ ـ الآجر المزجج

وكان يصنع في الموصل الآجر المزجج ويكون لونه أزرق فاتحا يزينون به خارج القباب ، ويظهران القبتين الخارجيتين للامام يحيى بن القاسم والامام عون الدين كانتا مبنيتين من هذا الآجر . وان تأثير العوامل الطبيعية وترميم القبتين عدة مرات أسقط الكثير منها . ولم نزل نرى عددا لايستهان به من هذه القطع الآجرية بين الانقاض وبعضها أعيد بناؤها في القبتين المذكورتين .

---

(١) المحلبية : قرية كبيرة تقع غربي الموصل على بعد ٢٥ كيلومترا منها . ذكر ياقوت في معجم البلدان (٧ : ٣٩٦) انها قصبة كورة الفرج من تلعفر وجميعها املاك لاهلها .

وكانوا يتخذون صورا نائتة لحيوانات مختلفة في هذا النوع من الآجر. ففي دير الجب لوحة جميلة مثبتة في الرواق الذى أمام الكنيسة . فيه صور غزلان بارزة ملونة باللون الابيض تحيط بها أرضية زرقاء وهي من الآجر المزجج .

ونعتقد ان هذه الصناعة وصلت الموصل مع التكارتة الذين هاجروا اليها في القرن السادس للهجرة[1] فالصناعة المذكورة ليست موضعية ولو كانت كذلك لوجدنا لها آثارا كثيرة على مختلف العمارات كالمنائر والقبب والمحاريب وتزيين الغرف وغير ذلك .

والذى نراه ان سهولة النحت في المرمر، ومهارة الصناع المواصلة فيه ، وتوفر الرخام (المرمر) في الموصل ، جعل الصناع يميلون الى صناعة الرخام أكثر من صناعة الآجر . لان مادة الرخام تغني عنها ، كما ان صناعة تطبيق الرخام واظهاره بأشكال متنوعة حسب رغبة الناس، ومطاوعته للعمل أغناهم عن استعمال الآجر الذى هو أكثر تعقيدا في العمل . ويتطلب نفقات أكثر. وعلى هذا فان صناعة الآجر لم يقدر لها الاستمرار في الموصل .

٨ ـ تزويق الكتب

وترك الخطاطون نفائس المخطوطات الثمينة، لم يزل قسم منها في خزائن الكتب بالموصل ، وهي تمتاز بجودة الخط والتزويق ، وفي بعضها صور وزخارف متنوعة ذات ألوان زاهية متناسقة .

كما نجد عددا من الكتب المجلدة بجلود مختلفة الالوان والانواع، وعليها الكتابات الجميلة والنقوش والزخارف المتنوعة ، وكلها تدل على مدى اتقان هذه الصناعة في أم الربيعين .

وفي كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي الموصلي بحث مستفيض عن خزائن الكتب في الموصل والتي لم تزل باقية الى اليوم . وما فيها من نفائس المخطوطات التي تمتاز بجمال خطها وتجليدها وزخارفها .

---

(١) انظر ص : ٦٨ ، ٨٢ من هذا الكتاب .

ونجد في المدارس والجوامع مصاحف هي آية في الفن والابداع والتزويق، وهي كثيرة في الموصل .

على ان بعض المصاحف والكتب الثمينة كانت تطعم أغلفتها بالذهب والفضة والالوان الزاهية . وقد كان في بيت قاضي الموصل سنة ٦٦٠ هـ مصحف شريف بخط الخليفة عثمان بن عفان (رض) وقد طبقوا جلده بالذهب وزوق بعناية فائقة . وفي سنة ٦٦٠ فتح التتر مدينة الموصل وانتهبوا خزائنها ، وانتهب المصحف المذكور ، وأخذ ما كان طبق على جلده من الذهب والقي هو ، فتلف من أوله ثمانية قوائم . ثم نقل الى دمشق وتلف من وسطه قدر أربع قوائم بحريق حدث سنة ٧٢٠ هـ فاكمل مانقص منه .[١]

وهكذا فان الحروب والمصائب التي حلت بالموصل أتلفت الكثير من كنوزها الخطية . ومع هذا لم يزل في خزائنها مايشهد ببراعة أهلها في الكتابة وحسن التجليد والتزويق . ومن ذلك أنجيل كان في كنيسة قره قوش حمله السيد جرجس دلال مطران الموصل الى رومة وأهداه الى البابا بيوس الحادي عشر وحفظ في مكتبة الفاتيكان .

كتب الانجيل المذكور الراهب مبارك بن داود البرطلي بحروف سطرنجيلية مستبدعة وزينه بأربع وخمسين صورة ملونة في غاية التأنق والاتقان . وأفتتح فصول الانجيل بحروف مذهبة . وانتهى منه سنة ١٢٢٠م وأوقفه في دير مار متى[٢] .

وفي المكتبة البطريكية الكلدانية بالموصل مخطوطات منسوخة على ورق اسمانيخوني من صناعة القرن الحادي عشر للميلاد تترصع فيها الآيات الانجيلية بمحلول الذهب .[٣]

---

(١) المخطوطات المصورة (ص : ٢ ، ٣)
(٢) ، (٣) عصر السريان الذهبي ص (٨٦ – ٩١)

٩ ـ مطاحن الحبوب

وكانوا يستعملون ثلاثة انواع من المطاحن فى طحن الحبوب وهى :

١ ـ العروب

وأحدها عربة ، وتجمع عربات وعرب ـ وجمعت الاخيرة على عروب ، وهي[١] السفينة تعمل فيها رحى يديرها شدة جرى الماء ، فكانت تقوم على سفن متجاورة يتخللها مضايق ، ينحبس فيها ماء النهر ، قد انصبت فيها دواليب ذات عنفات[٢] تدور بتأثير الماء الشديد الجرية ، وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب اخرى متصلة بالضرائر ـ اى احجار الطواحين ـ .

كانت العروب معروفة في بلاد الجزيرة خاصة فى بلدة الموصل والحديثة وتكريت ، وممن ذكرها من الرحالة هو ابن حوقل فقال عنها : « وكان بالموصل فى وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقل نظيرها فى كثير من الارض ، لانها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موثقة بالسلاسل الحديدية ، فى كل عربة منها اربعة احجار ، ويطحن كل حجر فى اليوم والليلة خمسين وقرا[٣] ، وهذه العروب من الخشب والحديد ، وربما دخل فيها شيء من الساج » .

كانت العروب مورد رزق طيب لاهل البلاد التى تكون فيها ، فقد ذكر ابن حوقل أن ارتفاعها بمدينة الحديثة نحو خمسين الف دينار وهو مبلغ كبير .

وبقيت العروب معروفة بالموصل وينتفع بها السكان انتفاعا كبيرا فى العصر الاتابكى ، وتطرق القزوينى اليها فقال : « وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعا كثيرا : مثل شق القناة منها ونصب النواعير على الماء ، يديرها الماء بنفسه ، ونصب العربات وهى الطواحين التى يديرها الماء فى وسط

---

(١) الرسلة (٨ : ٨٩٤ ـ ٨٩٦ ـ) العروب فى العراق لميخائيل عواد

(٢) جمع عنفه : وهى اجنحة دواليب العربة

(٣) الوقر ـ الحمل الثقيل .

دجلة في سفينة وتنقل من موضع الى موضع » •

وكانت العروب تقع تحت الدير الاعلى وهو موقع باشطابية في الوقت الحاضر •

٢ ـ الرحى

وهي طاحونة تدور بتأثير تيار الماء واكثر ما تكون في القرى فيستفيدون من جداول العيون ، فينحصر ماؤها في ساقية ويوجهونه الى حفرة واسعة خارج الرحى يسمونها بئر الرحى • ويصب ماء البئر على دولاب خشبي دونه فيدوره ، ويدور هذا حجر الرحى التي تكون فوقه • وهكذا تدور الرحى فتطحن الحبوب •

وقد يكون في الرحى حجر أو حجران أو ثلاث للطحن • وهذا يتوقف على مقدار ماء العين التي تكون في القرية •

وكانوا يستفيدون من مياه النهر فيأخذون منه جدولا ويسلطونه على رحى يبنونها على ساحل النهر • وان شاطىء دجلة المجاور لمدرسة زين الدين لم يزل يسمى (شط الرحى) لوجود رحى كانت عليه قبل قرن من الزمن •

ويذكر سبط ابن الجوزي انه كان في الموصل ثمان وستون رحى على الماء ـ اى على دجلة •

واما الضرائر ـ احجار الطواحين ـ فهي غير موجودة في الموصل • فكانوا يستوردونها من جزيرة ابن عمر • تنقل اليها بواسطة الاكلاك •

٣ ـ المدارات

وهي رحى يديرها بغل او كديش وتكون داخل البيوت في المدينة • وكانوا يطحنون بها الحبوب وتسمى (مدارا) ـ من الدوران ـ ويجمعونها على مدارات •

وذكر سبط ابن الجوزي انه كان في الموصل سنة ٦٦٠ هـ (٤٠٢٠) مدارا وهو عدد ليس بالكبير لان مقدار ما تطحنه الحجر في المدار لا يتجاوز الطغارين في اليوم والليلة •

وأدركنا هذه المدارات وهي كثيرة في الموصل ولم تخل محلة من مدارات متعددة ، حتى اننا كنا نجد عدة مدارات في زقاق واحد ، وبعض الازقة كانت تسمى (زقاق المدغ) اي زقاق المدارات ـ جمع مدار ـ في العامية الموصلية •

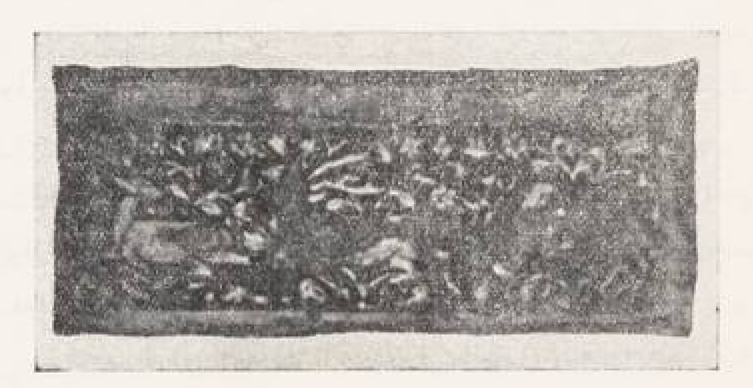
وقد قضت عليها الطواحين الحديدية التي تدور بواسطة النفط والتي تطحن اضعاف ما تطحنه المدارات في اليوم •

١٠ ـ معاصر الزيوت

المعصرة : حجر مستدير الشكل يدور على آخر مثله فتعصر ما يلقى بينهما من الحبوب الدهنية ، ويسيل الزيت الى حوض يكون في جانب المعصرة ، وكانت المعاصر في الموصل كثيرة ، ولا يزال بعض الازقة يسمى « شارع المعصرة » او « شارع المعاصر » لكثرة المعاصر التي كانت فيه •

وكانت الحبوب التي تعصر فيها هي السمسم وحب القطن والزيتون ، فيستخرجون منها الزيت ويستعمل هذا للادام والاضاءة حيث تصنع منه الشموع ويستعمل للوقود ايضا •

وهناك صنائع اخرى : كصناعة الشموع ، وصبغ الثياب وطبعها وقصر الاقمشة ودقها ، والحدادة والنجارة والبناء وغيرها •



قطعة من الآجر المزجج ، فيها ثلاث صور لغزلان بارزة ـ وهي في دير الجب ـ

الجيش والبريد

الجيش

أول من أهتم بالجيوش الاتابكية هو عماد الدين زنكى مؤسس الدولة، فكـــان يعنى بثيابهم وطعامهم وعددهم وتدريبهم ، وكـــانت جيوشـــه من أنشط جيوش الشرق بحركاتها وعددها . وقلما انكسر له جيش ـ كما مر بنـا ـ

ثم خلفه ابنه سيف الدين غازى ، وكان قد تربى فى بلاط السلطان محمد السلجوقى ، مطلعا على رسوم الملك ، فقلد السلاطين فى أظهار عظمة ملكـه، وقوة جيشه ، فأمر الجيش بأن يظهروا بمظهر لائق فى سفرهم وحضرهم، فكانت ثياب ابدانهم يلبسون الاقبية[1] التترية ، والكلاوات[2] فوقهـــا . ثم القباء الاسلامى فوق ذلك . وأمرهم ان يشدوا عليه السيف من جهـة اليسار ، والصولق والكزلك[3] من جهة اليمين . والدبابيس تحت ركبهم ، وان يكون هذا لباسهم فى السفر والحضر لكى يكون لهم وقع فى أعين الناس[4]

وكان الجندى يحمل وقت الحرب ـ فوق هذه العدد ـ مايحتاجه فى سفره من الادوات : وهى سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك[5] وغير ذلك[6] . فكانت جيوش الموصل من أقوى الجيوش التى دافعت عن بلاد الشرق وصدت هجمات الصليبين وارجعتهم الى سواحل البحر الابيض المتوسط ، بعد ان كانوا قد توغلوا فى سوريا ووصلوا اسوار حلب ودمشق .

وكان فى الجيوش الاتابكية فصائل مدربة على هدم الاسوار ـ وهـم

---

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل يلبس فوق الثيـــاب ويتمنطق به والجمع اقبية .

(٢) غطاء يوضع فوق الرأس

(٣) الصولق : جراب او كيس من الجلد يوضع على الجانب الايمن من الحياصة توضع بهحاجات السفر من الزاد ، والكزلك ، فارسى الاصل معناها خنجر او سكين .

(٤) صبح الاعشى (٤ : ٤٠)

(٥) درفش = العلم . المسلة = الابرة . دسترك = منشار

(٦) الباهر (ص : ٢٤٣)

الحجارون او النقابون ـ يعاونهم فى مهمتهم هذه فصائل أخرى ـ وهم النفاطون الذين يحسنون استعمال رمى النار العربية وكانوا من أشدما يخشاهم الصليبيون .

ولما حاصر السلطان صلاح الدين الايوبى مدينة القدس سنة ٥٨٤ هـ ليستردها من الصليبين ، وضاق به الامر ، استنجد بملك الموصل عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى ، فأرسل اليه فصائل الحجارين مع فصائل من رماة النفط ومعهم أحمال من النفط الابيض ، (١) فكانوا من اكبر المساعدين له على فتح بيت المقدس ، كما كان بينهم من يحسن بناء الاسوار ، وحفر الخنادق ، وتحصين المدن .

وفى سنة ٥٨٧ أراد السلطان صلاح الدين ان يحصن بيت المقدس فيحكم سور المدينة ويعمق خندقها ـ فأرسل الى عز الدين مسعود يطلب منه من يعينه فى هذا الامر من جيش الموصل فأرسل اليه عز الدين الجصاصين المختصين بحفر الخنادق وتعمير السور فقاموا بالامر خير قيام . (٢)

وهكذا كانت الجيوش الاتابكية من أقوى جيوش الشرق فى القرن السادس الهجرى . ولها فضل كبير فى تخليص مدن سوريا والجزيرة من ايدى الصليبين بعد ان توغلوا فيها .

البريد

وأهتم الاتابكيون بالبريد اهتماما كبيرا وكان هذا منذ تولى عمادالدين امور البلاد ، فانه كان شديد الشغف بالاطلاع على أخبار البلاد المجاورة له واحوال بلاده ، وكان يصله البريد يوميا يحمل اليه أخبار جدهم ولهوهم فى سرهم وعلانيتهم ، وكان ينفق الاموال الطائلة فى سبيل ذلك .

فأعدلذلك الخيول والنجب فى البلاد . والرجال العدائين والحمام الزاجل التى تنقل البريد ، يقول القلقشندى (٣) عن البريد فلما جاءت الدولة الزنكية أقامت لذلك النجابة وأعدت لها النجب المنتخبة ودام ذلك مدة زمانها ، ثم

---

(١) ، (٢) الفتح القسى (ص : ١٨٦ ، ٣٢٤)
(٣) صبح الاعشى (١٤ : ٣٧)

زمان بنى أيوب الى انقراض دولتهم) .

واشتهرت الموصل بتربية حمام الزاجل الذى ينقل البريد المستعجل واستفاد الاتابكيون من هذا الطائر وبذلوا عناية خاصة فى تربيته وتدريبه والاعتناء بفراخه وأبراجه .

يقول القلقشندى عن الحمام «اول ما نشأ بالديار المصرية والبلاد الشامية من الموصل . وان اول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل الشهيد نور الدين زنكى صاحب الشام سنة ٥٦٥هـ وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون »[١]

وكانت تصلهم أخبار البلاد البعيدة فيقفون على مايجرى فى مملكتهم الواسعة وأحوال ملوك الأطراف المجاورين لهم ، ولذا نراهم أجروا الجرايات الواسعة على المرتبين لحفظ الحمام وأقامتها ، فحصل منها الراحة العظيمة والنفع الكبير للبلاد [٢] . وكانت ابراج الحمام منتشرة فى مؤسسات الدولة وقلما تخلو دار منها وللحمام من يتعهدها ويتولى أمرها وتدبيرها والاعتناء بها وبما تأتى به من الرسائل او يرسل معها من الاخبار .

وقد أدركنا الموصل فى اوائل القرن العشرين ومعظم بيوتها لاتخلو من الحمام . ففى كل منها شخيم أو أكثر يأوى اليه هذا الطائر . وأهل البيت يعنون بأمر طعامه وشرابه . وكان فى الموصل دكاكين كثيرة لبيع الحمام ــ ولم تزل بقاياها موجودة فى المدينة الى اليوم .



« توضيح لبعض التصاوير التى تزين ظاهر الابريق المنشور فى شكل ١ »

---

(١) صبح الاعشى (١٤ : ٣٩٠) ، (٢) الكامل (١١ : ٢٥١)

الحياة الاجتماعية

وأهل الموصل ميالون الى البر، يتسابقون الى عمل الخير ، ولهم معاملة حسنة مع الغرباء ، يعطفون عليهم ويحسنون اليهم ولا يشتطون فى معاملاتهم ، يرضون منهم بالربح القليل وقد لا يربحون منهم • ووصفهم ابن جبير أصدق وصف فقال «وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة ، يستعملون أعمال البر فلا تلقى منهم الاذا وجه طلق وكلمة لينة ، ولهم كرامة للغرباء ، وأقبال عليهم، وعندهم أعتدال فى جميع معاملاتهم •» (١)

ويقول القزوينى عنهم عند كلامه عن الموصل «وأهلها أهل الخير والمروءة والطباع اللطيفة فى المعاشرة والظرافة (٢) وهم متمسكون فى دينهم ، يحافظون على تقاليدهم وعاداتهم الحسنة ، ولا يتساهلون فى شيىء منها » • واذا رؤا منكرا او ما ينافى الدين والعرف فانهم يأنفون منه ويستنكرونه (٣) ومما يدل على شدة تمسكهم بدينهم ما كان عندهم من المساجد والجوامع والخوانق الكثيرة •

المذاهب

وكانوا يتبعون المذهبين الشافعى والحنفى فى معاملاتهم وأمور دينهم ، ونشر هذين المذهبين فى الجزيرة السلاجقة والاتابكيون من بعدهم ، وفتحوا المدارس الكثيرة التى كان يدرس فيها الفقة على المذهبين المذكورين • ولكن المذهب الشافعى كان اكثر انتشارا من المذهب الحنفى ، فاكثر مدارسهم كان يدرس بها الفقة الشافعى • وبعضها كان يدرس بها الفقة على المذهبين الشافعى والحنفى • والقليل منها كان يدرس فيها الفقه الحنفى فقط • وكان فيها من يتبع المذهب الحنبلى وهم قلة

أما بدر الدين لؤلؤ فانه كان يميل الى المذهب الشيعى ، وحاول نشره بين السكان ، وذلك لانه كان يريد مقاومة الحركة الاموية التى كان يدعو اليها الشيخ حسن شمس الدين بن عدى بن صخر الاموى ـ فكان هذا قد استغل

---

(١) رحلة ابن جبيل ص : ١٩٠)
(٢) آثار البلاد واخبار العباد (ص : ٣٠٩)
(٣) الكامل (١١ : ١٨٩) ، الباهر (٣٢٨)

الطريقة العدوية التى أسسها عدى بن مسافر الاموى ، وقلبها الى حركة سياسية تهدف الى تأسيس دولة أموية تحت ستار من الطريقة العدوية ، ولاقت الحركة أقبالا عظيما فى الجزيرة وسورية وبلاد الاكراد ، وصارت تهدد بدر الدين لؤلؤ الذى قضى على البيت الاتابكى ، فمال بدر الدين الى المذهب الشيعى ، وأقام فى كثير من مدارس الموصل مشاهد لابناء الامام على ، واعتنى بزخرفتها وتزويقها وجعل لها سدنة ، وكان هو نفسه يتردد الى زيارتها ، كما انه قضى على الشيخ حسن بان صلبه هو ومائة من اتباعه[1] وسير حملة الى بلاد لالش سنة ٦٥٢ هـ فهدم قبة الشيخ عدى وأخرج عظامه وأحرقها وبدد أتباع الطريقة فكاد يقضى عليها[2] ورغب العلماء بقراءة سيرة الامام علي ، ومقتل الحسين فى المشاهد ، لكى يستمع اليها الناس • ومن العلماء الذين رغبهم بهذا هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي المتوفى سنة (٦٥٨ هـ ــ ١٢٥٩ م) فانه جمع كتاب « كفاية الطالب فى مناقب الامام على بن أبى طالب» قال فى مقدمة الكتاب المذكور : لما جلست يوم الخميس لست ليال بقين من جمادى الاخرة سنة سبع وأربعين وستمائة بالمشهد الشريف بالحصباء فى مدينة الموصل ــ ودار الحديث المهاجرية • حضر المجلس صدور البلد من النقباء والمدرسين والفقهاء وأرباب الحديث فذكرت بعد الدرس أحاديث وختمت المجلس بفصل من مناقب أهل البيت عليهم السلام • فطعن بعض الحاضرين ــ لعدم معرفته بعلم النقل فى حديث زيد بن أرقم فى غدير خم ، وفى حديث عمار فى قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أحبك وصدق فيك » •فدعتنى الحمية لمحبتهم على أملاء كتاب يشتمل على بعض مارويناه عن مشائخنا فى البلدان من أحاديث صحيحة من كتب الائمة والحفاظ فى مناقب أمير المؤمنين ــ عليه السلام الذى لم ينل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة فى آبائه ، وطهارة فى مولده الا وهو

---

(١) فوات الوفيات (١: ١٢٣ ، ١٢٤) شذرات الذهب (٥: ٢٢٩)
(٢) الحوادث الجامعة (ص : ٢٧١)

قسيم فيها » . [1]

والزم بدر الدين لؤلؤ الشيخ عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر الحنبلي الرسعني (٥٨٩ - ٦٦١) و (١١٩٣ - ١٢٦٢م) . بجمع كتاب عن مصرع الحسين فجمع فيه ما صح من المقتل ونشره بين الناس . وولاه دار الحديث المهاجرية بالموصل وصارت له حرمة وافرة عند بدر الدين لؤلؤ. [2]

على ان هذه الحركة التي قام بها بدر الدين لؤلؤ لم تلاق أقبالا من أهل الموصل ، كما يتضح لنا من مقدمة كتاب كفاية الطالب في مناقب الامام على بن أبي طالب . وخاصة بعد ان قضى على البيت الاتابكي وحاول ان يطمس كافة معالمهم وآثارهم الخالدة . فكانوا يعارضونه في أعماله هذه .

ومن أشد المعارضين له هو (موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الكواشي الزاهد والمفسر المشهور . فانه كان من أكبر المنكرين على بدر الدين لؤلؤ وما يقوم به من الاعمال . [3]

دار العدل

وكان لهم في الموصل «دار عدل» يجلس فيها الملك ومعه الفقهاء ، وتفتح ابوابها ، ويتقدم فيها المظلومون بظلاماتهم . فيؤخذ حق الضعيف من القوي . ومن ذلك : ان القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه ، جلس يوما فيها . فتقدمت اليه أمرأة عمياء وادعت ان بعض اولاد عمه ضربها ببندقة جلاهق فاعماها . فامر القاهر باحضاره الى الحاكم الذي كان معه بدار العدل فحضر ، وساوى بينه وبينها ، وخيره بين الدية او القصاص فأختار الدية ، وارضى العجوز بما بذله اليها . فرضيت وخرجت شاكرة. [4]

---

(١) مقدمة كتاب كفاية الطالب

(٢) التكميل (ص : ١٥٤ ، ١٥٦)

(٣) نكت الهميان (ص: ١١٧) ، شذرات الذهب (٥: ٣٦٦)

(٤) الباهر (ص : ٣٧٢)

الطرق الصوفية

وكان للطرق الصوفية تأثير حسن فى تهذيب شبان الموصل وتنشئتهم على الفضائل والمكارم ونكران الذات وخدمة المجتمع • وظهر فى الموصل عدة شيوخ كمل قصدهم الناس من مختلف البلاد الاسلامية فانتسبوا اليهم واخذوا عنهم • ومن هؤلاء المشائخ : الشيخ عدى بن مسافر الاموى (٤٦٥ ـ ٥٥٥) وابناء أخيه • [١] وقضيب البان الموصلى (٤٧١ ـ ٥٧٣) وعبدالملك بن حماد بن دباس الكنانى (ـ ٥٧١) وعمر بن محمد الملا (٤٧١ ـ ٥٧٣) ومحمد الغزلانى (ـ ٦٠٥ هـ) وابنه احمد الغزلانى (ـ ٦٢٠) وكان لهم شيخ يرجعون اليه بطرقهم يسمى شيخ الشيوخ • وممن تولى هذا المنصب هو الشيخ عمر النسائى • وكانت أكثر الطرق انتشارا هى ـ العدوية والرفاعية •

واهل الموصل اشد الناس تعلقا بالحكام والملوك الذين يحسنون سياستهم ويبذلون كل ما لديهم فى الذود عنهم • فقد كانوا ينوحون على جكرمش عندما اخذه عنده قليج ، ارسلان فى محاصرته مدينة الموصل[٢] •

وان حبهم للبيت الاتابكى كان عظيما لان عماد الدين واحفاده كانوا من أعدل الملوك الذين حكموا الموصل وكانت سياستهم الرشيدة التى سلكوها مع الرعية ومعاملاتهم الحسنة وشفقتهم على اهل البلاد مما زاد تعلق السكان بهم •

وكانوا يعطلون يوم الجمعة من كل اسبوع • ويحتفلون بعيدى الفطر والاضحى أحتفالا عظيما ـ وهى من أجمل الاحتفالات التى كان يقيمها أهل المدينة • وكانوا يخرجون الى ظاهر المدينة ويقيمون المهرجانات المختلفة من الفروسية والالعاب والمساخرة وخيال الظل •

احتفالهم بولادة الرسول

أما احتفالهم بيوم ولادة الرسول الاعظم ـ ص ـ فكان لايقل عن

---

(١) صخر بن صخر بن مسافر الاموى (ابو البركات) وابنه عدى بن صخر وحفيده شمس الدين حسن بن عدى (٥٩١ـ٦٥٢ هـ)

(٢) ابن العبرى (ص : ٣٤٤) ، الكامل (١٠ : ١٧٩)

احتفالهم بهذين العيدين ، فيزينون الدور والاسواق ، ويجتمعون فى الجوامع يستمعون الى تلاوة المنقبة النبوية ، ويشارك فى هذا كافة الطبقات حتى الملوك انفسهم فانهم كانوا يحضرون المجالس التى تقام فى المدينة ، ويستمعون الى ما يتلى فيها من سيرة النبى - ص - •

وأكبر أحتفال بهذا اليوم كان يقيمه «عمر بن محمد الملا» فكان يستعد ليوم ولادة الرسول استعدادا كبيرا • ويقيم فيه أحتفالا مهيبا يحضره الملوك والوزراء والامراء والعلماء والفقهاء والناس على أختلاف طبقاتهم ، ويعد فيه الاطعمة المختلفة ، فيكون حفلا مشهودا فى أم الربيعين يشترك فيه الشعب كله (١)

زيارة النبى يونس

ومن المحلات التى كان يجتمع بها أهل المدينة هو مشهد النبى يونس ، فكان الناس يخرجون الى نينوى فى ليالى الجمع والاعياد يزورون مشهد النبى يونس وينشدون التراتيل الدينية والتواشيح المختلفة • وكان بعضهم يقضى ليله فى الرباط المجاور له ، وبعد ان يؤدوا صلاة الجمعة يعودون الى الموصل • وشاهد هذا الرحالة ابن جبير وخرج معهم الى نينوى ليلة الجمعة السادس عشر لصفر سنة ٥٨٠ هـ وبات فى الرباط المذكور وتطهر بعين يونس - العين المباركة • وشرب من مائها ، ثم صلى فى المسجد المتصل بها(٣) •

وأدركنا هذا عند أهل الموصل، فكان يخرج بعض سكانها الى نينوى فى ليالى الجمع ، وخاصة فى فصلى الربيع والصيف ، ويقيمون حلقات الذكر فى جامع النبى يونس بعد صلاة العشاء ، ويبيتون فى الغرف التى تحيط بفناء الجامع، ثم يعودون الى الموصل بعد ظهر يوم الجمعة بعد أن يؤدوا الصلاة فيه•

---

(١) الكامل (١١ : ١٤٧) ، الروضتين(١ : ١٨٩) (٣٥ م • تكميل)
(٢) هى التى تسمى عين (الدملجاجه) انظر سومر (١٠ : ٢٥٩)
(٣) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩)

استقبال الحجاج :

وكانوا يخرجون لاستقبال الحجاج العائدين من بيت الله الحرام ، ويشترك فى هذا سائر الطبقات ويلبسون أحسن الثياب ، ويزينون مطاياهم وخيولهم بالحرير والوشى ، ويعلقون عليها قلائد الذهب والفضة ، وربما اشترك الملك نفسه فى استقبال الحاج •

وقد شاهد ابن جبير هذا الاستقبال فى اليوم الثانى من وصوله الموصل، وكان استقبالا مهيبا لقدوم أم الملك معهم فقال « ومن احفل المشاهد الدنيوية المرئية ، بروز شاهدناه يوم الاربعاء ثانى يوم وصولنا الموصل ــ للخاتون أم معز الدين صاحب الموصل [١] وبنت الامير مسعود المتقدم ذكرها ، فخرج الناس عن بكرة ابيهم ركبانا ومشاة ، وخرج النساء كذلك واكثرهن راكبات ، وقد أجتمع منهن عسكر جرار ، وخرج أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته ، فدخل الحاج المواصلة صحبة خاتونهم على أحتفال وأبهة ، قد جللوا أعناق ابلهم بالحرير الملون وقلدوها القلائد المزوقة ، ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جواريها ، وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها ، وقد جللت قبتها كلها سبائك ذهب مصوغة أهلة ودنانير ، سعة الاكف وسلاسل وتماثيل بديعة الصفات ، فلا تكاد تبين من القبة موضعا • ومطيتاها تزحفان بها زحفا ، وصخب ذلك الحلى يسد المسامع • ومطاياها مجللة الاعناق بالذهب • ومراكب جواريها كذلك ، ومجموع ذلك الذهب لايحصى تقديره • وكان مشهدا أبهت الابصار وأحدث الاعتبار • » [٢]

وأدركنا أهل البلد يحتفلون بأستقبال الحاج فيخرجون لاستقباله بالدفوف والصنوج والاعلام • يتقدمهم أهل الطرق الصوفية • ويعودون بهم الى البلد بالتكبيرات والتهاليل • فيكون يوما مشهودا فى المدينة •

---

(١) هو عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود (انظر ص : ٣٤)

(٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٩٠) • وصل ابن جبير الموصل فى يوم الثلاثاء ٢٣ ــ صفر ــ سنة ٥٨٠ • فى اليوم الخامس من يوليو سنة ١١٨٤م وبقى فيها اربعة ايام

الخيام فى الربيع :

الربيع من أجمل الفصول فى الموصل • تأخذ الارض حللها وتكتسى السهول والروابى بالازهار الجميلة المختلفة ، وتنساب المياه العذبة فى وديانها بين الحقول والاعشاب ، ويفيض نهر دجلة بمياهه الكثيرة •

يخرج أهل البلد بعد صلاة العصر من كل يوم الى ظاهر المدينة، وينتشرون فى سهولها ووهادها • يتمتعون بمناظرها الخلابة ، ويقيمون العابا مختلفة من الفروسية والمصارعة والطفر والزحف وغيرها •

على ان بعضهم كانوا يضربون الخيام خارج المدينة فى فصل الربيع يرتادونها بعد العصر من كل يوم ويقضون ليلهم فيها يتمتعون بالمناظر الخلابة والنسيم العليل • ولايزال أهل الموصل يخرجون فى أماسى الربيع الى ظاهر المدينة ينتشرون فى السهول المحيطة بها • ولم يزل بعضهم يضرب الخيام خارج المدينة •

الشواريق فى الصيف :

وكانوا فى الصيف يخرجون الى شاطىء دجلة يزرعون البطيخ والخيار واللوبيا ويسمى الحقل (شاروق) ويقيمون فى كل شاروق عريشا واسعا تكون أمامه الازهار والرياحين • فيخرج السكان فى الاماسى الى الشواريق فيقيمون فى العريش وينامون فوقه فى الليل وهم يتمتعون بالهواء العليل والمناظر الجميلة •

وقد ذكر هذا القزوينى فقال عند كلامه عن الموصل «وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعا كثيرا مثل شق القناة منها ونصب العربات وهى الطواحين التى يديرها الماء فى وسط دجلة فى سفينة وتنقل من موضع الى موضع • وفى الجانب الشرقى عند انتقاص الماء يبقى على طرف دجلة ضحضاح على أرض ذات حصباء • يتخذ الناس عليها سررا وقبابا من القصب فى وسط الماء يسمونها الشواريق ويبيتون فيها ليالى الصيف ، ويكون هواؤها فى غاية الطيب • وأذا نقص الماء وظهرت الارض زرعوا بها القثاء والخيار • فتكون

حول القباب مقتاة ويبقى ذلك الى اول الشتاء[1] ولايزال أهل الموصل يخرجون الى الشواريق فى فصلى الصيف والخريف ويقضون بعض ليلهم أو يبيتون فيه •

الاديره :

كانت الاديرة من الاماكن التى يرتادها أهل الموصل للنزهة والترويح عن النفس لان الاديرة تقع فى مواضع نزهة مشرفة على الحقول والبساتين • وتمتاز بهدوئها وجودة خمرها ورياحينها • وأكثر من كان يرتادها هم الشعراء والادباء وارباب البطالة، فيقيمون فى الدير أياما كما يقضون وقتهم فى القصف والشرب والمساجلات الادبية • وفى الشعر الموصلى قصائد كثيرة فى وصف الديارات وخمرها ومجالسها ورهبانها • ومن ذلك ما قاله ابن الحكاك الموصلى المتوفى سنة ٦٠٤ هـ وكان شيخا ظريفا شيعى المذهب • فانه زار دير سعيد وبات فيه وقال ـ [2]

رهبان دير سعيد بت عندهم ... فى ليلة نجمها حيران مرتبك
فجاء راهبهم يسعى ، وفى يده ... مدامة ، ما على شرابها درك
كالشمس مشرقها كأس ، ومغربها ... فم النديم ، وكف الساقى الفلك
مازلت أشربها حتى زوت نشبى ... عنى كما زويت عن فاطم فدك
من كف أغيد تحكى الشمس طلعته ... فى خده الورد والنسرين مندعك

وكان المسلمون يشاركون المسيحين فى الخروج الى الاديرة أيام أعيادهم • ولا يزال المسلمون الى هذا اليوم يخرجون الى ديرى ـ مار كوركيس ومار ميخائيل ـ يوم خروج النصارى الى كل منهما • ويقضون يومهم فى الدير وحوله ، يتمتعون بمنظر الربيع الجميل • ويشاركون النصارى فى أفراحهم •

---

(١) آثار البلاد ـ للقزوينى (ص : ٣٠٩)
(٢) الجامع المختصر (٩ : ٢٥٦ ، ٢٥٧)
ودير سعيد هو دير ايليا : يقع جنوب معسكر الغزلانى ويسمى فى الوقت الحاضر ـ الدير الخربان .

حمام العليل

وحمام العليل ـ حمام علي ـ من المحلات التي يرتادها أهل الموصل في فصلي الربيع والصيف ، وخاصة أصحاب الأمراض الجلدية ، فكانوا يستشفون بمائها المعدني الحار • وتكون حمام العليل في الصيف مزدحمة بالسكان ، فيبنون لهم عرائش على شاطيء دجلة يسكنونها • ويجتمع فيها أصحاب الملاهي والمغنون • ولهم من غاباتها الكثيرة الواقعة على جانبي دجلة خير منتزه ومأوى • ولم تزل حمام العليل على ما ذكرنا في هذا العصر •

الالعاب :

كان الميدان أرضا واسعة منبسطة تمتد من دار الملك الى باب سنجار وهو لتدريب الجيش وعرضه وألعابه • ويجتمع فيه أهل البلد في اوقات فراغهم يشاهدون ما يعرض من الالعاب المختلفة ، وكان الملوك أنفسهم يشاركون في الالعاب ويتبارون مع المتفوقين •

وأكثر الالعاب انتشارا عندهم هو اللعب بالكرة والصولجان فكان الملوك والامراء يلعبونها مع كافة افراد الجيش فينزلون بعد صلاة العصر ـ من كل يوم ـ الى الميدان ويجتمع الناس لمشاهدتهم •

كان عماد الدين زنكي مغرما بها ، وكان يلعب بها مع السلطان محمود السلجوقي • [1] وسار أولاده على نهجه فكانوا يلعبون مع أمراء دولتهم وقوادهم وأفراد الجيش •

كان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي من أحسن الناس لعبا بالكرة واقدرهم عليها ، لم ير جوكانه يعلو رأسه ، وكان ربما ضرب الكرة فتعلو فيجري الفرس ويتناولها بيده من الهواء ويرميها الى آخر الميدان ، وكانت يده لاترى والجوكان بها بل تكون في كم قبائه ، استهانة باللعب • [2]

ويذكر ابن شداد عن نور الدين : انه كان شديد الركض ولعا بلعب الكرة بحيث من رآه يقول : مايموت الا من وقوعه عن ظهر الفرس • [3]

---

(١) (٢) الباهر (ص : ٥١ ، ٢٠٧)

(٣) المحاسن اليوسفية (ص : ٣٦)

وكان يأمر كافة قواده ان يلعبوا بالكرة مع أفراد الجيش كل يوم بعد العصر خشية ان يركن الجيش الى الكسل •

وكان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود يشدد على اللعب بها ويشوق القواد والامراء على ممارستها ـ حتى الطاعنين فى السن ـ وكان فى دولته الامير بهاء الدين على بن الشكرى وكان رجلا كبيرا ، له خدمة سابقة فكان عزالدين يبالغ فى احترامه ، الى حد انه كان اذا لعب معه بالكرة ، يعطيه من دوابه الخاص ما يركبه ويلعب عليه (١) •

وانتشرت العاب الفتوة فى الموصل • ومن العاب الفتوة التى انتشرت فيها هى : الرمى بالبندق واللعب بالحمام •

والبندق هى كرات تصنع من الطين وتسمى (جلاهق) وترمى بواسطة القوس وبالسبطانة • وهذه تتخذ من خشبة مستطيلة مجوفة الداخل ، وكانوا يرمون بها طيور الواجب وتفتخر الرماة بأصابته وصرعه • (٢)

وكانوا ينتسبون فى رمى هذه الطيور بالبندق الى أحد الرؤساء البارزين • وان الخليفة الناصر لدين الله العباسى أمر الملوك ان تنتسب اليه فى رمى البندق • ثم عمم هذا على كافة الطبقات ، ومنع الرمى بالبندق الا من انتسب الى الخليفة • (٣)

وكان الرامى المنتسب اذا ما اصاب طيرا ، فانه يرسل الطير الى «بغداد» او يحمله بنفسه الى الخليفة ومعه الشهود من الفتيان الذين يشهدون بان الرامى رمى الطير باسم الخليفة ، فيأمر الخليفة بالطير فيعلق « بباب البدرية » ويذكر عليه اسم راميه ، وانه رماه باسم الخليفة • كما كان الخليفة يأمر بأعطاء الجوائز لحامله ، وينثر الدنانير على الطير تكريما للمنتسب • وبعد وفاة الناصر أخذ الناس ينتسبون بهذا الى الخليفة او الى أرباب الدولة تقربا منهم وأملا ان ينالوا لديهم حظوة • وكان المنتسب اليه يفعل مع المنتسب ما يفعله الخليفة نفسه ، من أعطاء الجوائز ونثر الدنانير على الطير • الا انه

---

(١) الباهر (ص : ٣٤٠)

(٢) ، (٣) الفتوة فى الاسلام (ص : ٦٨ ـ ٧٥)

كان يعلق تجاه باب البدرية .

وفى سنة (٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م) انتسب الامير ابراهيم بن بدر الدين لؤلؤ فى رميه الى الخليفة - وأصاب طيرا فحمله الى الخليفة ببغداد رسول من ابيه بدرالدين ومعه جماعة من رماة البندق ، وشهدوا ان الامير ابراهيم ولد بدر الدين لؤلؤ رماه بالبندق وانتسب فى ذلك الى الخليفة . فقبل وعلق بباب البدرية ونثر عليه الف دينار . وخلع على الواصلين معه . (١)

وفى سنة(٦٣٤هـ - ١٢٣٦ م)انتسب الامير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى شرف الدين اقبال الشرابى فى رميه،فصرع طيرا فحمله بشر خادم الامير ركن الدين اسماعيل مع اثنين من رماة البندق الى الشرابى وأمر بتعليقه تجاه باب البدرية ونثر عليه الف دينار . ثم خلع على الخادم والواصلين صحبته . وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار . (٢)

وأهتم سكان الموصل فى تربية الحمام فكانوا يستعملونه فى نقل بطائق البريد وكانت الموصل فى طليعة المدن التى اهتمت به - وقد تقدم الكلام على هذا - واستعملوه فى سباق الغاية فكانوا يسابقون بين الحمام . وقد يصل سعر الفائز منها الى عشرات الدنانير . فأهتم الناس بتربيته والاعتناء به . فكانوا يبنون فى الدار شخيما اواكثر يكون بيتا للحمام وقلما كانت تخلو دار من محل له(٣) .

وكان للعدو أهمية خاصة عندهم لان السعاة وأصحاب البريد كثيرا مايحتاجون الى توصيل ما يعهد اليهم من الامور بأسرع وقت .

واشتهر فى القرون الوسطى طبقة من الناس عرفوا بالسعاة ،وصار لهم منزلة مرموقة عند كافة طبقات الشعب ، فكانوا يقيمون بينهم مباريات يشهدها الناس على أختلاف طبقاتهم حتى الخليفة وحاشيته . وينثر على الفائز منهم الدنانير . وتقدم له الهدايا المختلفة .

ومن السعاة المشهورين فى القرن السادس هو معتوق الموصلى المعروف بالكوثر . فانه كان فى طليعة سعاة زمانه . ففى سنة (٦٢٥ هـ - ١٢٢٧ م) جرى

---

(١) ، (٢) الحوادث الجامعة (ص : ١٤٣ ، ٩٥ ، ٩٦)
(٣) الفتوة فى الاسلام (ص : ٨٥ - ٨٨)

معتوق الموصلي من واسط الى بغداد في يوم وليلة سوى ساعة ، واعطى خلعا عدة وأموالا من الدولة والتجار ، فحصل له عشرون فرسا ، وخمسة آلاف وأربعمائة دينار ، وخلع قومت بألف وسبعمائة دينار • (٢)

وفي سنة (٦٤٣هـ – ١٢٤٥ م) جرى أيضا من دقوقا ساعيا على قدميه الى بغداد واتجه الى كشك الملكية ودخله ، وكان فيه الخليفة ومعه الشرابي وهو أستاذه – فقبل الارض بين يدي الخليفة ، فتقدم له بخمسمائة دينار ، وأعطاه الشرابي ثلاثمائة دينار ، وحصل له من أرباب الدولة شيىء كثير • (٢)

ومن السعاة الذين كانوا ينافسون الكوثر الموصلي هو علي بن الاربلي • ففي سنة (٦٤٦ هـ – ١٢٤٨ م) سعى من دقوقا الى بغداد فوصل بعد العصر • وفضل على الكوثر الموصلي بنصف ساعة • ولما وصل بغداد خرج الخليفة المستعصم بالله وأولاده وجلسوا في الكشك الى حين وصوله • فدار علي بن الاربلي حول الكشك فأمر له الخليفة بفرس من مراكبه وخلعة وذهبا ، ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات ، فحصل له شيىء كثير • (٣)

والموصل من البلاد العربية التي تهتم بتربية الخيول ويتباهى سكانها بما لديهم من الخيول العربية الجيدة • ونبغ فيها بمختلف العصور فرسان عديدون كان لهم شأن في الفروسية والعاب الخيل • وكانوا يخرجون الى الاراضي المجاورة للمدينة ويقيمون الحلبات يشهدها الناس وصار هذا مما يتفاخر به الشبان والفرسان •

وادركنا الحلبات التي كانت تقام بين الفرسان في ميدان الاخضر وفي ظاهر البيض وقرب الغزلاني وفي الاراضي المنبسطة المجاورة لنينوى وغيرها • ولم تزل الاسر العريقة في الموصل تحافظ على ماورثته من الخيول العربية الجيدة وتعنى بها عناية فائقة •

خيال الظل :

وكان لخيال الظل شأن يذكر في الموصل ومنهـــا نقله ابن دانيال

---

(١) اللمعات البرقية في النكات التاريخية (ص : ٢٥)

(٢) ، (٣) الحوادث الجامعة (ص : ٢٩١ ، ٢٣٦)

(٦٤٦ - ٧١٠ هـ) الى مصر في القرن السابع الهجري . (١)

وخيال الظل اسم كان يطلق على الروايات الهزلية التي كانت تمثل مختلف النواحي السياسية والاجتماعية ويراد بها النقد اللاذع وتضحيك النظارة . ومصدر هذا الفن هو بلاد الهند ثم أخذه عنهم الصينيون وانتقل بعد هذا الى بلادنا . فكان خيال الظل من وسائل التسلية التي تمثل الاشخاص بأسلوب هزلي لاذع . وكان أهل خيال الظل يكثرون في المتنزهات والمجتمعات وأيام الاعياد والمواسم . فيجتمع عليهم الناس ويشاهدون ما يقومون بتمثيله .

كما كانوا يقيمون أحتفالات خاصة في دور الملوك والامراء والمتمولين وغيرهم . وأبن دانيال كان من ابرز الممثلين في هذا وله الفضل في نقل هـــذا الفن من الموصل الى القاهرة وذلك قبل ثمانية قرون واشتهرت به القاهرة فيما بعد وبقي معروفا بها الى زمن قريب . وكان يعرف هذا الفن « بقره كوز » وعرف بالموصل باسم « حسن باشا » وأدرك آباؤنا هذا النوع من التمثيـــل وشاهدوه .

ومما كانوا يتخذونه من وسائل التسلية والتضحيك انهم كانوا يعملون تماثيل تشبه بعض الغلمان ورجال حاشية الملك ويدربون صقور الصيد على الانقضاض عليها حتى اذا خرج الملك الى الميدان يرسلونها على الشخص الذي دربوها على تمثاله فتنقض عليه . ويكون هذا في الموصل كثيرا[٢] .



« توضيح لبعض التصاوير التي تزين ظاهر الابريق المنشور فـي شكل ١ »

---

(١) مجلة الكتاب (٦ : ٦١١ - ٦١٧) لنا بحث عن ابن دانيال

(٢) التصوير عند العرب (ص : ٩٨)

الحالة الصحية

لا نجد ذكرا للاوبئة والامراض السارية فى الموصل ـ فى هـذا العصر ـ الا قليلا ، وهو يدلنا على اهتمام القوم بصحتهم ، وعنايتهم الفائقة فى اجسادهم . فقد كان بها ٢٠٠ حمام زوج اى ٢٠٠ حمـام للرجال تجاورها ٢٠٠ حمام للنساء ، و١٠ حمامات خاصة بالبنات فقط[١] . كما كانوا يعنون بنظافة كافة مرافق المدينة.ومما يدلنا على اهتمام القوم بصحتهم ومعالجة ابدانهم ، انه كان فى المدينة مارستانان : احدهما داخل المدينـة ، والثانى فى الربض الاسفل منها ، بناه مجاهد الدين قيماز تجاه جامعه الذى بناه على دجلة ، والذى لم يزل باقيا الى اليوم ويعرف بالجامع الاحمر[٢] وهذا المارستان جميل جدا ، وفيه كل ما يحتاجه المريض من اسباب المعالجة والنزهة والترويح عن النفس والتخفيف عن المريض .

وكان فى المدينة مارستان خاص بمعالجة المجانين[٣] فبهذا كان بها ثلاثة مارستانات . وكانت المعالجة فى المارستان بلا ثمن . يدخله المريض فتجرى عليه الفحوص اللازمة ، ثم يوصف له الدواء ، ويعطى اليه من صيدليـة المارستان ، واذا احتاج المريض ان يكون تحت اشراف طبيب ، فانـه كان ينام فى المارستان ويجرى عليه الطعام والشراب والدواء ، وكل ما يحتاجه مما يخفف مرضه ، ويكون هذا بلا عوض ايضا . وفى المستشفى يكون الاطباء : فيهم الكحالون والفصادون والمجبرون وغيرهم ، وفيه الخـدم والفراشون ، وفيه كل وسائل الراحة التى يحتاجها المريض .

ولذا فان نفوس الموصل كانت تزيد على ثلاثمائة الف نسمة . وان عدد النصارى فيها كان ٤٣٥٠٠ نسمة وعدد اليهود ٣٦٠٠ نسمة[٤] .

كان هذا فى ام الربيعين قبل ثمانية قرون ، ونبغ فيها كثير من الاطباء الذين عملوا فيها وخدموا الانسانية اجل خدمة .

---

(١) منية الادباء (ص : ٦٦)

(٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩)

(٣) ، (٤) مصارع العشاق (ص : ١٠٤) منية الادباء (ص : ٦٧)

العلم والادب

لم يكن الاتابكيون من العرب ، ولكنهم نشأوا في بلاد عربية اسلامية، فأعتنقوا دين أهلها وتأدبوا بادابهم وتثقفوا بثقافتهم . فكانوا عربا مسلمين في الثقافة والدين ، يشجعون العلماء والادباء وأهل الفنون - حتى مماليكهم الذين تربوا على أيديهم فان بعضهم كان من العلم والادب بمكان .

كان جدهم عماد الدين مؤسس الدولة الاتابكية يسمع الشعر العربي ويهتز له ، ويجزل العطاء للشعراء والمغنين ، غناه مغن وهو على قلعة جعبر :

ويلي من المعرض الغضبان ان نقل الـ   واشي اليه حديثا كلـه زور
سلمت فازور يزوى قوس حاجبه   كأنني كأس خمر وهـو مخمور

فأستحسنها زنكي وطرب لها طربا شديدا وقال لمن هذه ؟ فقيل: لابن منير الطرابلسي - وهو بحلب - فكتب الى والى حلب ليسيره اليه سريعا.(١) وذكروا انه كان عنده مبدأ أمره ظلم ، فسمع ليلة وهو نازل بحماة شخصا يغني على شط العاصي :

اعـدلـوا ما دام أمركـم   نافـذا في النفع والضـرر
وأحفظـوا ايـام دولتكـم   انكـم منها عـلى خطـر

فبكى وتبدلت نيته في الظلم ، وأخذ نفسه من حينئذ بالعدل .(٢) وكان نور الدين محمود بن عمـاد الدين زنكي يجل الفقهاء والعلماء ، ويناقشهم في كثير من المباحث ، وله توقيعات في غاية البلاغة والايجاز . قدم اليه عمر الملاء دفاتر الحساب الذى صرفه على عمارة الجامع النوري في الموصل ،وكان نور الدين جالسا على دجلة . فأخذ الدفاتر ورماها في دجلة وقال له : دع الحساب ليوم الحساب .(٣)

وكان نور الدين محمود قد دخل مسجد سرير بحلب عندما كان يريد الحج ، ثم دخله بعد سنة (٥٥٧ هـ - ١١٦١ م) وكتب على حائطه :(٤)

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٥٠) ، (٢) مفرج الكروب (١ : ١٠١)
(٣) شذرات الذهب (٤ : ٢٣٠)
(٤) الباهر (ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨)

لك الحمد يا مولاى كم لك منة علي وفضل لايحيط بها شكرى

نزلت بهذا المسجد العام قافلا من الغزو موفور النصيب من الاجر

ومنه رحلت العيس فيعامى الذى مضى نحو بيتاللهوالركن والحجر

فاديت مفروضى ، وأسقطت ثقل ما تحملت من وزر المسيئة عن ظهرى

وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبى حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه طلبا للأجر . [١]

وكان يحضر دار العدل بنفسه ، وينظر فى المظالم التى تقدم اليه ، وهو اول من بنى دار عدل فى الاسلام . [٢] وكان كاتبه عماد الدين الاصفهانى الكاتب المشهور وله فيه مدائح كثيرة .

وكان سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى (٥٤١ - ٥٤٤) يجزل العطاء للشعراء ، وله ذوق جميل فى نقد الشعر . مدحه الشاعر الحيص بيص بقصيدة اولها :

الام يراك المجد فى زى شاعر وقد نحلت شوقا فروع المنابر

فوصله بألف دينار سوى الخلع . [٣]

وكان الامير زين الدين كوجك المتوفى سنة (٥٦٣ هـ) يحفظ الكثير من الشعر العربى ويستشهد به ، جاءه جندى يحمل ذيل فرس قد مات فأعطاه مبلغا من المال ، فأخذه وخرج ، وأعطى ذيل الفرس الى جندى آخر وأدعى ان فرسه قد مات ، ودخل على زين الدين وعرضه عليه ، وهكذا حتىدخلعليه عدةجنود وهويعلم انهميحتالون فيهذا ، فلمااعجزوهأنشد :

ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى [٤]

وأبو الفداء اسماعيل بن يرنقش السنجارى - مولى عماد الدين - كان جنديا موصوفا بالسخاء والادب والفضل . وله نظم حسن ، فمن ذلك ماكتبه الى الملك الاشرف أبى الفتح موسى بن العادل يعزيه فى أخ له كان

---

(١) الباهر (ص : ٣٠١)

(٢) ، (٣) مفرج الكروب (١ : ٢١٨ ، ١١٧)

(٤) النجوم الزاهرة (٥ : ٣٧٨) ، وفيات الاعيان (١ : ٤٢٥)

اسمه يوسف :

دموع المعالى والمكارم ذرف ... وربع العلى قاع لفقدك صفصف
غدا الجود والمعروف فى اللحد ثاويا ... غداة ثوى فى ذلك اللحد يوسف
فتى خطفت كف المنية روحه ... وقد كان للارواح بالبيض يخطف
سقته ليالى الدهر كأس حمامه ... وكان بسقى الموت فى الحرب يعرف
فوا حسرتى لو ينفع الموت حسرة ... ووا أسفا لو كان يجدى التأسف
وكانت على الارزاء نفسي قوية ... ولكنها عن حمل ذا الرزء تضعف

مع العلم بان اسماعيل توفى شابا فى الموصل سنة (٦٠١هـ – ١٢٠٤م)[٢].

وكان مجاهد الدين قيماز الرومى المتوفى سنة ٥٩٥ هـ يعرف الفقه ويحفظ من الشواهد والاشعار والحكايات شيئا كثيرا . وكان كثيرا ما ينشد (وهى لاسامة بن منقذ) :

اذا أدمت قوارضكم فؤادى ... صبرت على أذاكم وانطويت
وجئت اليكم طلق المحيا ... كأنى ما سمعت وما رأيت

وكان يحفظ الشعر ويميز حسنه من غثه ، فاقبل عليه الشعراء ومدحوه بقصائد كثيرة ونالوا منه جوائز سنية . فممن مدحه سبط ابن التعاويذى بقصيدة اولها :

عليل الشوق منك متى يصح ... وسكران بحبك كيف يصحو
وبين القلب والسلوان حرب ... وبين الجفن والعبرات صلح

وسيرها اليه من بغداد فأجازه بألف دينار وجائزة سنية .

ومدحه بهاء الدين أسعد بن يحى السنجارى بقصيدته التى يتغنى فيها :

يا قلب تبا لك من صاحب ... كان البلا منك ومن ناظرى
لله أيامى على رامة ... وطيب أوقاتى على حاجر
تكاد بالسرعة فى مرها ... اولها يعثر بالآخر

(٢) الجامع المختصر (٩ : ١٦٤)

وعمل له أبو المعالى سعيد بن على الحظيرى «كتاب الاعجاز فى حل الاحاجى والالغاز برسم الامير مجاهد الدين قيماز» فأجزل له العطاء • وكان ابو السعادات ابن الاثير كاتبا بين يديه ومنشئا الى الملوك • (١)

وذكر ابن الطقطقى عن بدر الدين لؤلؤ ـ وهو أرمنى من مماليك الاتابكيين ـ ما يأتى: «وكان بدر الدين لؤلؤ ـ صاحب الموصل ـ رحمه الله أكثر ما يجرى فى مجلس أنسه ايراد الاشعار المطربة والحكايات الملهية ، فاذا دخل شهر رمضان احضرت له كتب التواريخ والسير ، وجلس الزين الكاتب وعز الدين المحدث يقرآن عليه احوال العالم • » (٢)

وكان بدر الدين لؤلؤ يتفقد العلماء والادباء والشعراء ، ويجزل لهم العطايا والهبات لينوهوا بشأنه ويمدحوه ، فصار فى بلاطه عدة شعراء منهم كمال الدين حيدر بن عبيد الله الحسينى الموصلى ، وكان شيخ أهله ومقدمهم سناً وزهدا وفضلا وورعا ، استماله صاحب الموصل بدر الدين بما أسداه اليه من الانعام حتى مدحه وانخرط فى زمرة شعرائه ، فمن شعره فيه : (٣)

هنيئا بجد ساعدتك سعوده	وتم له يوم التفاخر عيده
وبشرى بأقبال أهل بشيره	كما وفدت عند الهناء وفوده
وانى لبدر الدين ذى الفخر والعلا	نديد ، وكلا ان يصاب نديده

ومن الشعراء الذين مدحوه هو ابن الحلاوى الموصلى (٤) ومحمد بن على بن المقرب الاحسائى وغيرهما (٥)

وأهتم الاتابكيون بتشييد المعاهد العلمية المختلفة ـ من كتاتيب ومدارس ودور حديث وخانقاهات وغيرها وقلما نجد ملكا منهم لم يؤسس معهدا علميا فى الموصل أو فى غيرها من البلاد التى حكموها •

وسار على هذا رجال الدولة منهم فأسسوا كثيرا من المعاهد العلمية

---

(١) (٣) سومر (١١ : ١٧٨) الفخرى (ص : ٨٣ ، ٤٩)

(٤) ، (٥) فوات الوفيات (١ : ٦٩ ، ٧١) ديوان ابى المقرب (ص : ٧٠ ، ١٠٢)

المختلفة • فكان فى الموصل عشرات المعاهد يدرس فيها مختلف العلــوم والفنون • [1]

وان الاتابكين عززوا هذه النهضة العلمية بما أغدقوه على العلمــاء من الهبات الوافرة والعطايا الكثيرة وبما كانوا يقدمونه من التسهيلات لطلاب العلم الذين يدرسون فى مدارسهم•فلكل مدرسة اوقاف مختلفة تصرف على أدامتها وخزانة كتبها والنفقة التامة على من يدرس ويدرس فيها من الطلاب ـ فلهم المسكن والطعام والكسوة والكتب وكل مايحتاجون اليه حتى يتخرجوا منهــا •

وصارت الموصل قبلة العلماء والادباء والشعراء والكتاب والقــراء والمحدثين وأصحاب الفنون • يهاجرون اليها فيجدون سوقا رائجة لبضاعتهم، وأقبالا حسنا من أهلها ، وتشجيعا من ملوكها وأصحاب الشأن فى الحكم • كما أقبل اليها طلاب العلم من مختلف الاقطار للاخذ عن علمائها • وتلقى العلم فى معاهدها المختلفة التى كانت مفتوحة أمام كل قاصد ، فنبغ فيها كثير من أعلام الفكر الاسلامى بمختلف العلوم والفنون والآداب ، وصارت الموصل على عهدهم من أشهر الحواضر العلمية فى الاسلام •

ونبغ فيها كثير من الأسر العلمية التى تولت زمام العلم والادب فــى الهلال الخصيب • ولو أردنا ان نبسط القول على من نبغ فيها فى مختلف العلوم والآداب والمعارف لاحتاج الامر الى بحث طويل ، ولكن نكتفى بذكر الاعلام البارزين منهم • الذين لم تزل آثارهم باقية الى اليوم تشهد بما كانوا عليه من العلم الغزير • وأشهر الاسر العلمية :

١ ـ أبناء الاثير

نزح الاثير أبوهم من جزيرة ابن عمر وسكن الموصل فى أوائل تشكيل الدولة الاتابكية وكان الاثير عالما كاتبا • تقلد دواوين الانشاء • وأنجب ثلاثة اولاد ، يقول عنهم ياقوت « كل منهم امام » وهم ـ مجد الدين أبو السعادات

---

(١) كان فى الموصل • اذ ذاك ـ (٢٨) مدرسة ، و (١٨) دارا للحديث ، (٢٧) خانقاها ، وغيرها من الكتاتيب (منية الادباء : ٦٦)

(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الفقية المحدث صاحب التصانيف الكثيرة فى التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث ومنها : جامع الاصول فى احاديث الرسول ، والنهاية فى غريب الحديث ، والانصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف . وكتاب البديع فى النحو ، والمرصع فى الاباء والامهات والبنين وغيرها .(١)

المؤرخ عز الدين بن الاثير - (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) صاحب التصانيف المشهورة فى التاريخ ومنها : الكامل فى التاريخ، وهو من أعظم الكتب العربية فى تاريخ العرب والمسلمين ، يمتاز بدقته وأمانته . وأسد الغابة فى أخبار الصحابة . واللباب فى الانساب ، أختصر به الانساب للسمعانى وزاد عليه زيادات معتبرة . والباهر فى تاريخ الدولة الاتابكية .(٢)

الوزير ضياء الدين بن الاثير (٥٥٨ - ٦٣٧ هـ) الكاتب المشهور وهو صاحب المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، والوشى المرقوم فى حل المنظوم . وكتاب المعانى المخترعة فى صناعة الانشاء وغيرها .(٣)

محمد بن ضياء الدين (٥٨٥ - ٦٢٢ هـ) له نظم ونثر حسن ، وله عدة تصانيف من مجاميع وغيرها . منها - نزهة الابصار فى نعت الفواكه والثمار .(٤)

٢ - ابناء يونس بن منعة

أصلهم من أربل واول من سكن الموصل منهم هو جدهم يونس بن محمد بن منعة بن مالك - رضى الدين الاربلى - (٥٠٨ - ٥٧٦) . درس بمدرسة زين الدين (الزينية) وكان شاعرا فقيها .(٥)

وخرج من بيته جماعة من الفضلاء ، انتفع بهم أهل البلاد ، وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها ، وبقيت أسرتهم مشهورة بالعلم الى القرن الثامن للهجرة ، وهم من علماء المذهب الشافعى أشهرهم :

---

(١) - (٤) وفيات الاعيان (١ : ٣٤٧ ، ٣٤٨) (١ : ٤٤٧) (٢ : ١٥٨-١٦١) مطالع البدور (١: ١٢٧)

(٥) انظر عنهم: وفيات الاعيان (٢ : ٤١٩ ، ٤٢٠) ، (١ :٤٧٦، ٤٧٧) (٢ : ٤٣٢ ، ٤٣٣) (١ : ٣٢) التكميل (٢٦٣ ، ٢٦٤)

عماد الدين بن يونس (٥٣٥ ـ ٦٠٨ هـ) • درس فى عدة مدارس فى الموصل ، وتولى قضاء الموصل ، وله عدة تأليف منها : الفتاوى الواسطية ، وله أيضا المسائل الموصلية • والمحيط فى الجمع المهذب والوسيط ، وشرح الوجيز • وقصده الفقهاء من مختلف الاقطار •

كمال الدين بن يونس (٥٥١-٦٣٩) درس بعدة مدارس بالموصل، وكان متضلعا بعدة علوم : فى اللغة والنحو والادب والفلسفة والرياضيات والطب• وكان مرجعا لاهل الموصل وما والاها فى الفتاوى ، تخرج به خلق كثير • وله آراء فى الطبيعيات والموسيقى والرياضيات • وهو أحد أعلام زمانه المعدودين • تشد اليه الرحال ويؤخذ عنه مختلف العلوم والمعارف •

شرف الدين بن كمال الدين بن يونس (٥٧٥ ـ ٦٢٢) درس فى المدرسة القاهرية وله عدة تآليف فى الفقه منها ـ كتاب التنبيه فى الفقه الشافعى • كان غزير المادة متفننا بالعلوم تخرج به خلق كثير •

تاج الدين بن رضى الدين بن عماد الدين بن يونس (٥٩٨ ـ٦٧١هـ)• له مؤلفات فى الفقه وعين قاضيا فى الجانب الغربى من بغداد ، وله التعجيز فى الفقه الشافعى• (١)

٣ ـ ابناء بلدجى

كان جدهم بلد جى من كبار أمراء الدولة السلجوقية ، وهو ترى(٢)

واول من اشتهر منهم بالعلم هو ـ ابو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجى الموصلى (٥٤٣ ـ ٦٢٣) كان عالما وله مدرسة فى الموصل تعرف به، درس فيها وتخرج على يده اولاده وغيرهم كثير ، وصار من مشايخ العلماء ، وله شعر جيد • أما اولاده فكانوا من فقهاء المذهب الحنفى وهم بيت الحديث

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٧) ، السبكى (٥ : ٧٢) ، الحوادث الجامعة (ص : ٣٧٤)

(٢) اخبار الدولة السلجوقية (ص : ٣١)

والرياسة . [1] أشهرهم :

عبد الله بن محمود البلدجي أبو الفضل مجد الدين (**٥٩٩ ـ ٦٨٣هـ**) درس بمشهد الامام أبي حنيفة وهو صاحب المختار للفتوى، وكتاب الاختيار لتعليل المختار . كان من كبار فقهاء الحنفيه عالما فاضلا عارفا بالمذهب وعلم الخلاف ورجال الحديث .

عبدالدائم بن محمود البلدجي (**٦٠٤ ـ ٦٨٠ هـ**) اسمعه والده الكثير مع أخوته ، وكان من علماء الحنفية البارزين ، فاضلا مدرسا مفتيا ، دفن في مقبرة قضيب البان .

ابو الفضل عبدالكريم بن محمود البلدجي (**٦٢٣ ـ**) درس ايضا بمدرسة مشهد أبي حنيفة كان فقيها فرضيا عالما بالتفسير .

عبد العزيز بن محمود البلدجي ـ تقلد القضاء وكان فقيها بارعا .

٤ ـ بيت الشهرزوري

أصل هذا البيت من شهرزور ، كان جدهم القاسم بن المظفر بن علي بن قاسم الشهرزوري (ـ **٤٨٩**) حاكما بمدينة أربل ، أنجب أسرة علمية خدمت الهلال الخصيب مدة قرنين . وقام منها عشرات الفضلاء الذين أشتهروا بمختلف العلوم والآداب وكانوا من فقهاء الشافعية . قال عنهم ابن خلكان : وكان من اولاده وحفدته علماء نجباء كرماء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك وتحكموا وقضوا ونفقت أسواقهم وتقلدوا القضاء في مدن الجزيرة والشام والى الآن من نسله جماعة من الاعيان والقضاة بالموصل » [2] واشهرهم :ـ

أحمد بن القاسم الشهرزوري قاضي الخافقين (**٤٥٣ ـ ٥٣٨**) ولي القضاء بعدة مدن من بلاد الجزيرة ، ولذا قيل له ـ قاضي الخافقين ـ وكان من فضلاء زمانه . [3]

---

(١) انظر عنهم الجواهر المضية (٢ : ١٦٢) (١:٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٢١، ٣٢٧) البداية والنهاية (١٣ : ١١٦) الحوادث الجامعة ص : ٤٤٥) الدرر الكامنة (٣ : ٤٤)

(١) ـ (٢) وفيات الاعيان (١ : ٤٢١ ـ ٤٢٢ السبكي (٤ : ٩٥، ٩٦)

المرتضى عبدالله بن القاسم الشـهرزورى (٤٦٥ - ٥١١) تولى القضاء بالموصل وكان مشهورا فى الفضل والدين مليح الوعظ ، وله شعر رائق وهو صاحب القصيدة الموصلية التى على طريقة الصوفية ، وأولها :

لمعت نارهـم وقـد عسعس الليل ومل الحـادى وحـار الدليـل
فتأملتها وفكرى مـن البـين عليل، ولحـظ عينـى كليـل

وأكثر شعره رائق يغلب عليه التصوف • ودفن فى التربة المعروفة بهم • (١)

كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر بن على الشهرزورى قاضى القضاة (٤٩٢ - ٥٧٢) ولاه نور الدين محمود قضاء الديار الشامية والنظر فى أوقافها ، كان فقيها أصوليا أديبا شاعرا ظريفا ذا أفضال ، وقف اوقافا كثيرة منها مدرسة بالموصل ، ومدرسة بنصيبين ، ورباط بالمدينة المنورة، وعظمت منزلته عند السلطان صلاح الدين الايوبى ، وكان السلطان يزوره ويحبه كثيرا • (٢)

محمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن المظفر بن عـلى قاضى القضاة محى الدين الشهرزورى (٥٢٤ - ٥٨٦) ولى قضـاء الموصل ودرس بمدرسة أبيه كمال الدين وبالمدرسة النظامية وكان مقربا عنـد الملك عزالدين مسعود بن زنكى ، كان جوادا كريما أنعم فى بعض رسائله الى بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية على الفقهاء والادباء والشعراء • (٣)

القاسم بن يحيى بن عبدالله بن القاسم أبو الفضائـل الشهرزورى (٥٣٤ - ٥٩٩) اتصل بصلاح الدين وانفذه مرارا رسولا الى الخليفـة ببغداد ، ولى قضاء الشام ، ثم أنتقل الى الموصل وولى قضاءهـا ، ثم ورد مرسوم الخليفة من بغداد يطلبه ، وقلد قضاء القضاة شرقا وغربا ، وفوض اليه النظر على اوقاف الشافعية والحنفية ، وقرىء عهده بجامـع مدينة السلام • وكان فقيها عابدا فاضلا مهيبا ذا ثروة ، وله النثر والنظم •

---

(١) ، (٢) وفيات الاعيان (٢ : ٢٥٣ ، ٢٥٤) (١ : ٤٧٢ ، ٤٧٣)
(٣) انظر عنهم : السبكى (٤ : ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٢٨٠)

على بن القاسم بن المظفر بن على الشهرزورى (ـ ٥٣٢) ولى قضاء واسط ، ثم قضاء الموصل والبلاد الجزرية والشامية ، وكان من فضلاء زمانه.

واخبارهم مستفيضة فى كتب التراجم والطبقات مثل وفيات الاعيان ، وطبقات الشافعية ـ للسبكى ، وشذرات الذهب ـ وغيرها .

٥ ـ ابناء مهاجر

من الاسر العلمية فى الموصل هم ابناء مهاجر ، كان هذا يشتغل بالتجارة فنشأ اولاده علماء وتجارا ، وبنوا لهم دار حديث فى الموصل ، وبنوا فوقها مدرسة عرفتا بهم . وممن اشتهر منهم بالعلم هو : ابو القاسم على بن مهاجر ، وهو الذى أسس دار الحديث المهاجرية بسكة أبى نجيح فى الموصل[١] .

ومحمد بن مهاجر ـ التاجر الشاعر غرق بدجلة فى بغداد سنة ٦٠١ هـ [٢] . وعلوان بن مهاجر بن على بن مهاجر وهو الذى بنى المدرسة المهاجرية فوق دار الحديث المهاجرية[٣] .

ومحمد بن علوان بن مهاجر بن على بن مهاجر شرف الدين ابو المظفر الموصلى (٥٤٢ ـ ٦١٥ هـ) . درس فى النظامية ببغداد وسمع بها الحديث ثم عاد الى بلده ، ودرس بالمدرسة التى انشأها أبوه علوان بالموصل، وبالمدرسة البدرية وعدة مدارس اخرى . وساد اهل زمانه وكان صالحا كثير الخير والدين سليم القلب[٤] .

٦ ـ ابناء هبل

أصل هذه الاسرة من بغداد ثم استوطنت الموصل واشهرهم : مهذب الدين على بن احمد بن على بن هبل (٥١٥ ـ ٦١٠) وهو اول من سكن الموصل وافاد فيها فكان يدرس الحديث والادب والطب . فكان الناس يترددون اليه بداره فى سكة ابى نجيح . وله كتاب فى الطب سماه

---

(١) ـ (٤) الاستاذ (ص : ١٢٠) الجامع المختصر (٩ : ١٥٢ ، ١٥٣) السبكى (٥ : ٣٢) البداية والنهاية (١٣ : ٨٢) المختصر المحتاج (ص: ١٠٥)

« المختار » يقع فى اربعة مجلدات [1] .

شمس الدين بن هبل (– ٥٤٨) وهو من فضلاء الموصل ، وله ولدان من اعيان الفضلاء واكابرهم

٧ – اســرة النقيب

وهى من الاسر العريقة فى الموصل قام‌منها رجال اعلام فى‌العلم‌والدين والادب والسياسة وممن اشتهر منهم بالادب :

الشريف ضياء الدين ابو عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبدالله الحسينى نقيب العلويين بالموصل (– ٥٦٣) كان رئيسا جوادا كثير الاحسان ، جم الافضال ، وله شعر حسن [2] .

ابو القاسم المرتضى بن محمد بن زيد (– ٦٠١) نقيب العلويين وكان اديبا فاضلا ، وله مدائح فى جلال الدين الاصفهانى وزير صاحب الموصل [3] .

وكمال الدين حيدره بن عبدالله الحسينى نقيب العلويين ايضا ، وقد تقدم الكلام عنه .

وكان فيها جماعة من المؤرخين والبلدانيين . من اهل الموصل او من الذين نزحوا اليها واتخذوها دار اقامة لهم وكتبوا عنها . اشهرهم: ابن الاثير – وقد تقدم الكلام عنه – وابن باطيش (٥٧٥ – ٦٥٥) وله كتاب فى طبقات فقهاء الشافعية وكتاب الفيصل فى مشتبه اسماء البلدان أشتمل على ضبط الاسماء [4] .

ابن شداد الموصلى (٥٣٩ – ٦٣٢) وله كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية فى سيرة صلاح الدين الايوبى . وكتاب تاريخ حلب ، وهو من علماء عصره المعدودين ، كان اماما بالدنيا والدين وكان يشبه

---

(١) (٢) عيون الانباء (١ : ٣٠٤–٣٠٦) التكميل (١٥٧ ، ١٥٨)
(٣) وفيات الاعيان (١ : ٢٥٧) ، (٤) الجامع المختصر (٩ : ١٦٦)
(٤) السبكى (٥ : ٥١)

القاضي ابا يوسف في عصره وله : ملجأ الحكام عند التباس الاحكام • والموجز في الفقه وغيرهما[١] •

المبارك بن الشعار الموصلي (- ٦٥٤) صاحب عقود الجمان في اثني عشر مجلدا[٢] •

ابو الحسن الهروي الرحالة الشهير (- ٦١١) وله كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات • ومنازل الارض ذات الطول والعرض • كتب به ما قدر عليه ووصل اليه في سياحته •والتذكرة الهروية في الحيل الحربية من كتب السياسة والحرب[٣] •

ومن الاعلام الذين سكنوا الموصل وكتبوا عنها وعن رجالها ابن المستوفي الاربلي المتوفي(- ٦٣٧) وياقوت الحموي الرومي (٥٧٥ - ٦٢٢) وعبداللطيف البغدادي والسمعاني صاحب الانساب •

واشتهر جماعة بقراءات القرآن وعلومه وتجويده منهم :

يحيى بن سعدون القرطبي (- ٥٦٧) احد الائمة في القراءات[٤] •

والفخر الموصلي - (٥٣٩ - ٦٢١) كان بصيرا بعلل القراءات وله كتاب في مخارج الحروف[٥] وابو عبدالله محمد بن الحنبلي الموصلي المعروف بشعلة (٦٢٣ - ٦٥٦) كان شيخ القراء في الموصل ، متضلعا بالعربية والنظم والنحو وقد نظم « الشمعة في القراءات السبعة » وله كتاب « كنز المعاني في حرز الاماني »[٦] •

وعبدالمجير بن محمد بن عشائر القبيصي الموصلي الخطيب (٥٣٧ - ٦٣١) • كان من القراء المجودين ومن اعيان الفقهاء[٧] •

---

(١) - (٣) التكميل (١٧ - م ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) وفيات الاعيان (٢ : ٣٩٥ ، ٣٩٦) ، (١ : ٣٤٦ ، ٣٤٧) ، كشف الظنون (٢ : ١١٥٤) مرآة الجنان (٤ : ١٣٦)

(٤) - (٥) وفيات الاعيان (٢ : ٢٢٦) ، البداية والنهاية (١٣: ١٠٥)

(٦) - (٧) طبقات القراء (٢ : ٨٠ ، ٨١) ، (١ : ٤٦٧)

وعماد الدين على بن ابى زهرون الموصلى (٦٢٢ - ٦٨٢) وكـــان شيخ القراء فى الموصل[١] .

ابو العباس النصيبى الخرقى (- ٦٦٤) كان بارعا فى الفقه الشافعى والقراءات وهو مؤدب المظفر والصالح ولدى بدر الدين لؤلؤ ، ولـــه عدة مؤلفات بعلوم مختلفة[٢] .

عمر بن محمد المعروف بابن الشحنة[٣] (- ٦٠٦) كان مشهورا بالقراءات وشواذها .

واشتهر من الاطباء ابو الحسن على بن ابى الفتح بن يحيى كمال الدين الكبارى الموصلى (- ٦٣٤) عاش ما يقـــارب مائة ســـنة . وكان من اطباء زمانه[٤] .

المهذب على بن احمد بن مقيل الموصلى (- ٦١٠) كان اعلم اهل زمانه بالطب له تصنيف حسن[٥] .

واشتهر من المفسرين - الشيخ موفق الدين الشيبانى الكواشى الصوفى المفسر (٥٩١ - ٦٨٠) وله التفسير الكبير والتفسير الصغير[٦] .

المعافى بن اسماعيل بن الحسين بن ابى سفيان الموصلى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ وله : البيان فى تفسير القرآن [٧] .

امـــا المحـــدثـــون فكـــان اكثـــر الفقهـــاء يشـــــتغلون بالحـــديث فكانوا محدثين وقراء . ومن الذين عنوا فى الحديث واشتهروا به فـــى الموصل هم : -

أبو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادى الموصلى الحنبلى . حدث بالموصل وتوفى بها سنة ٦٠٨هـ ودفن بمقبرة الجامع العتيق [٨] .

الحافظ زين الدين عمر بن زيد بن بدر بن سعيد الحنفى الموصلى[٩]

---

(١) ، (٣) دول الاسلام (٢ : ١٤٣) بغية الوعاة (ص : ١٥٤ ، ٣٦٢)

(٤) ، (٥) معجم الاطباء (ص : ٢٩٨ ، ٢٩٩)

(٦) ، (٩) السبكى (٥ : ١٨) ، كشف الظنـــون (١ : ٢٦٣) (٢ : ١٧٥١)

له كتاب المغني في علم الحديث رتبه على الابواب وحذف الاسانيد وقرىء عليه سنة ٦١٩ هـ .

ابو اسحاق البرني شيخ دار الحديث المهاجرية بالموصل توفي سنة ٦٢٢ هـ (١) .

ابو عبدالله الحسين بن عمر المحدث الموصلي . ولي بالموصل مشيخة دار الحديث التي بناها زين الدين صاحب اربل وتوفي سنة ٦٢٢ هـ (٢) .

علي بن محمد بن علي الموصلي (ابو الحسن) (ـ ٦١٤ هـ)(٣) .

ابو الحسن السراج الجهني (ـ ٥٢٩) كان اماما ورعا عاملا بعلمه(٤) .

ابن ودعان (ـ ٥٩٤) كان اماما ورعا عاملا له كتاب في الحديث يعرف باربعين ابن ودعان جمع فيه اربعين خطبة للنبي (ص)(٥) .

وكان المذهب الشافعي اكثر المذاهب انتشارا واكثر العلماء الذين نبغوا في ذلك العصر كانوا يتبعون هذا المذهب . ولذا فان فقهاء الشافعية كانوا يعدون بالعشرات وبعضهم كان حجة فيما يقوله ، يرجع اليهم باقوالهم وآرائهم ، ودونوا كتبا لا تزال من الكتب المعول عليها في الفقه الشافعي منهم : ـ

ابناء يونس بن منعة . وابناء الأثير . وابناء مهاجر . وبيت الشهرزوري . وابن شداد الموصلي (٥٣٩ ـ٦٣٢) . وقد تقدم الكلام عنهم .

وابن ابي عصرون التميمي الموصلي (٤٩٢ ـ ٥٨٥) درس في اكثر بلاد الجزيرة والشام وهو امام اصحاب الشافعي في عصره ، وصاحب الفتاوى المشهورة .(٦)

وابن عبد السلام (عز الدين بن عبد العزيز الشافعي) المتوفى سنة (٧)

---

(١) ـ (٣) شذرات الذهب (٥ : ٣٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، و ٦)
(٤) ـ (٥) السبكي (٤ : ٢٧٨) ، كشف الظنون (١ : ٧١٥)
(٦) ـ (٧) التكميل (١٠١ ـ ١٠٣) ، السبكي (٤ : ٢٣٧ ـ ٢٣٩)

٦٦٠هـ وله كتاب الفتاوى الموصلية ويسمى ـ فتاوى ابن عبدالسلام في الفقه الشافعي [١] .

ابن الصلاح الشرخاني الشهرزوري الملقب (تقي الدين) (٥٧٧ ـ ٦٤٣) كان احد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه واسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث واللغة وله مشاركة في فنون كثيرة وهو من فقهاء الشافعية في عصره [٢] .

واما فقهاء الحنابلة فمنهم :

ابو المحاسن المجمعي الموصلي الحنبلي (محمد بن عبدالباقي بن هبةالله بن حسين بن شريف) (ـ ٥٧١هـ) احد فقهاء الحنابلة المواصلة جمع كتابا اشتمل على طبقات الفقهاء من اصحاب الامام احمد [٣] .

وابو جعفر بن السمين المقرىء المحدث الزاهد (ـ ٥٨٨) [٤] .

واحمد بن علي بن احمد الحنبلي الموصلي المعروف بابن الوندة (ـ ٦٢٢) [٥] .

وابو الذخر خلف بن محمد اللنري الحنبلي (ـ ٦٢٧) [٦] .

واحمد بن علي الحنبلي الزاهد المعروف بابن الوتارة [٧] .

اما فقهاء الحنفية فاشهرهم : هم اولاد بلدجي وقد تقدم ذكرهم .

واشتهر من النحويين : ـ

ابن الدهان النحوي الموصلي (٥٨٩ ـ ٦٣٩) صنف شرحا للايضاح والتكملة في ثلاثة واربعين مجلدا [٨] .

علي بن خليفة النحوي المعروف بابن المنقي الموصلي (ـ ٥٦٢) كان اماما فاضلا تأدب عليه اكثر اهل بلده ـ وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي (ص) بالموصل . وصنف مقدمة في النحو سماها المعونة

---

(١) ـ (٢) كشف الظنون (٢ : ١٢١٩) ، وفيات الاعيان (١ :٣١٢، ٣١٣)

(٣) ـ (٨) شذرات الذهب (٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١) ، (٤ : ٢٩٣) ، (٥ : ٩٩) ، (٥ : ١٢٣) ، (٥ : ٩٩ ، ١٠٠) ، وفيات الاعيان (١ : ٢٠٩ ، ٢١٠)

وله شعر حسن [1] .

الحسين بن هبة الله الموصلى المعروف (بدهن الخصا) (ـ ٦٠٨) وهو احد نحاة عصره تصدر لاقراء العربية فى الموصل . [2]

سعيد بن المبارك النحوى (٤٩٤ ـ ٥٦٩) من اعيان النحاة وافاضل اللغويين ، وله تصانيف مختلفة منها تفسير القرآن فى اربع مجلدات وشرح الايضاح لابى على الفارس فى اربعين مجلدة والغرة فى شرح اللمع لابن جنى [3] .

شمس الدين بن الخباز الاربلى الموصلى الضرير (ـ ٦٣٠) علامة زمانه فى النحو واللغة والفقه والعروض والظرائف . وله النهاية فى النحو وشرح الفية ابن معط [4] .

ابو الحزم صائن الدين مكى الضرير النحوى (ـ ٦٠٣) والغالب عليه النحو والقراءات [5] .

على بن عدلان النحوى الموصلى (٥٨٣ ـ ٦٦٦) كان علامة بالادب والنحو [6] .

ابو البقاء يعيش بن على بن يعيش بن الصائغ الموصلى (٥٦٦ ـ ٦٤٣) وهو من علماء زمانه المبرزين [7] .

ونبغ فى الموصل كثير من الشعراء كما هاجر اليها عدد من شعراء البلاد الاخرى واتخذوها دار اقامة لهم واشهر شعراء هذا العصر هم : ـ

محمد بن شقاقا الموصلى (ـ ٥٣٣)[8] .وعلى بن ابى الوفاء الموصلى (ـ ٥٤٣)[9] .

---

(١) ـ (٣) معجم الادباء (١٣ : ٢١٥ ـ ٢١٧) ، (١٠ : ١٧٨ ـ ١٨٠) ، (١١ : ٢١٩ ـ ٢٢٣)

(٤) ـ (٧) بغية الوعاة (ص : ١٣١) ، معجم الادباء (١٣ : ١٧١ـ ١٧٣) ، (التكميل (ص : ٢٦٤)

(٨) ـ (٩) وفيات الاعيان (٢ : ٣٤١ ـ ٣٤٣) ، (١ : ١١٥) الدر المكتون (مخطوط)

ابن درة الموصلى (– ٥٤٥) . وله شعر حسن[١] .

شميم الحلى (– ٦٠١) النحوى اللغوى الاديب صاحب التصانيف الكثيرة فى الادب[٢] .

ابن الحلاوى الموصلى (٦٠٣ – ٦٥٦) وهو من شعراء بدر الدين لؤلؤ[٣] .

الخباز الموصلى المعروف بابن طبية (– ٦٠٦)[٤] .

أبو زكريا يحى بن سعيد بن الدهان الموصلى (٥٦٩ – ٦٥٦)[٥] .

ابن الاردخل (٥٧٧ – ٦٢٨)[٦] .

ابن مسهر الموصلى (– ٥٤٣) وله ديوان كبير يقع فى مجلدين كان رئيسا شاعرا[٧] .

ابن زبلاق (– ٦٦٠) كان من الفضلاء وله رسائل وأشعار[٨] .

وأشتهر من الخطاطين –

أبو الدرياقوت بن عبد الله الموصلى (أمين الدين الملكى) (– ٦١٨) ولم يكن فى آخر زمانه من يقاربه فى حسن الخط ولا يؤدى طريقة ابن البواب فى النسخ مثله . قصده الناس من البلاد للاخذ عنه[٩] .

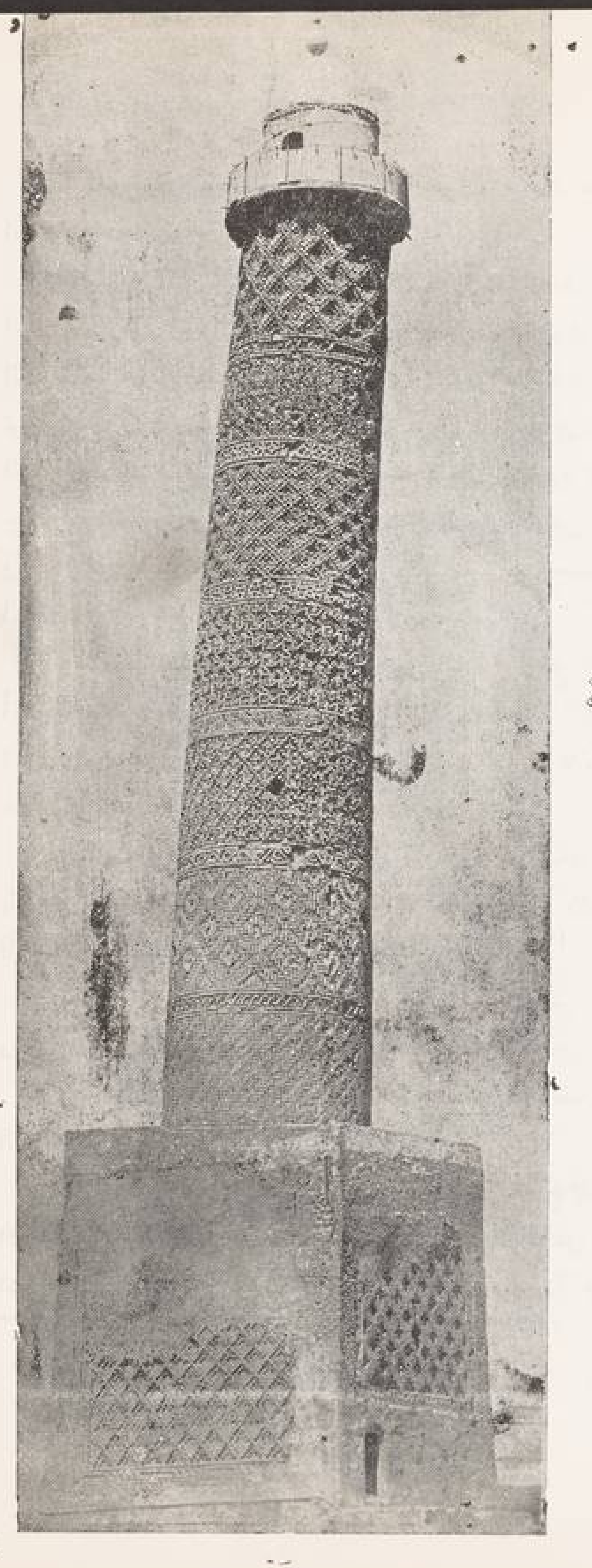
ابن الفقيه الموصلى (٥٦١ – ٦٣٦) كتب الخط المليح وحدث وقال الشعر[١٠] .

---

(١) – (٤) وفيات الاعيان (٢: ٤١١) ، (١: ٣٤٥) ، فوات الوفيات (١: ٦٩) الجامع المختصر (٩: ٣٠٥)

(٥) – (٨) وفيات الاعيان (١ : ٢٠٩) ، فوات الوفيات (٢:١٧٨)، وفيات الاعيان (١: ٣٦١ ، ٣٦٢) ، الحوادث الجامعة (ص: ٣٤٨) ، تاريخ دمشق (٤ : ٢٨١ ، ٢٨٢)

(٩) – (١٠) وفيات الاعيان (٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨) ، فوات الوفيات (٢ : ١٩)



عمران المدينة

استلم عماد الدين الموصل وأكثرها خراب • وقد هجر السكان الكثير من محلاتهم •

نقل ابن الاثير عن والده أنه قال : « رأيت الموصل ـ التي هي أم البلاد ـ في أول أيام الشهيد ـ عماد الدين زنكي ـ وأكثرها خراب ، وكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة • والى دور السلطنة ، وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركماني ـ وهو قريب من الطبالين ـ وكان الجامع العتيق أيضا بلا عمارة البتة • وكانت جميع المحال المجاورة للسور من ساير جهاته غير معمورة • وكان أدنى العمارة من السور ما يكفي رمية حجر • وكان الناس لايقدرون على المشي الى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن العمارة • » (١)

ولما ملكها عماد الدين زنكي : حمى البلاد ، ومنع المفسدين وكف أيدي الاقوياء ، ونشر العدل والامان بين السكان ، فقصده الناس من مختلف الجهات وأتخذوا الموصل دارا لهم ، فلم تزل العمارة تكثر بالموصل • حتى لقد ذهبت كثير من المقابر وبنيت دورا • (٢)

فصارت الموصل أحدى قواعد بلاد الاسلام كما وصفها ياقوت الحموي بقوله « الموصل المدينة المشهورة العظيمة ، أحدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة • » (٣)

ثم ان المدينة ضاقت بالسكان فخرجوا الى الارباض المجاورة لها وعمروها • وصار في بعض أرباضها مايضاهي المدينة الكبيرة •

وكان لها عدة أرباض تحيط بها • أشهرها ربضان : ـ الربض الاعلى والربض الاسفل •

أما الربض الاعلى فانه كان يقع شمال المدينة خارج السور الذي بناه الاتابكيون • ويمتد من باب سنجار الى الارض التي تطل على النهر وهي التي انشيء عليها المستشفى الملكي في الوقت الحاضر • ويمتاز هذا الموقع برقة

---

(١) (٢) الباهر (: ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩)

(٣) معجم البلدان (٨ : ١٩٥)

هوائه ، وجمال موقعه الذى يشرف على دجلة وما يحيط بها من الغابات والبساتين .

وكان فى هذا الربض قصور الامراء والولاة وأرباب الحكم . وفيه مشهد الطرح ـ بنجة علي ـ الذى كان يقابل الباب العمادى . ومن مساجده المشهورة مسجد الوزير (١) ومسجد أمين الدين ياقوت البدرى (٢) وهو يقع فى المكان الذى بنى عليه قصر الحاج توفيق أفندى الفخرى .

وفتح عماد الدين زنكى الباب العمادى الذى كان يصل بين المدينة وهذا الربض . لكى يسهل الاتصال بينهما . (٣)

أما الربض الاسفل : فكان يقع خارج السور على الارض الممتدة من ساحل نهر دجلة الى قرب جامع النبى شيت فى الوقت الحاضر ـ وهو أكبر أرباض المدينة ـ وفيه المساجد والمدارس والاسواق والحمامات والفنادق ماجعله يضاهى المدينة . وكان به جسر يصل بينه وبين الساحل الايسر من دجلة . بناه مجاهد الدين قيماز وبنى به أيضا جامعا كبيرا ومدرسة وخانقاها وتربة له ومكتبا للايتام وبيمارستانا . (٤)

ولما زار الموصل ابن جبير نزل فى أحدى الفنادق التى كانت فى الربض الأسفل من الموصل .

وأمتازت الموصل بفخامة أبنيتها وجمال هندستها وزخرفتها . وتنسيق شوارعها وحدائقها ، حتى ان بعض محلاتها صارت مضرب المثل فى الشرق.

ومن هذه المحلات « محلة سوق التركمان » محلة الخاتونية فىالوقت الحاضر ـ وكانت تطل على الميدان قريبة من دور المملكة .

ذكر ابن الفوطى فى حوادث سنة ٦٤٦ عند كلامه عن غرق بغداد : «وغرق فى الجانب الشرقى ماكان ظاهر السور من مساكن كانت أستحدثت

---

(١) الباهر (ص: ١٣٩)

(٢) مجموع الكتابات (ص : ٢٠٦)

(٣) (٤) الباهر (ص : ١٣٩) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩)

منذ أيام الخليفة المستنصر بالله وبولغ في عمارتها ، وكان بها أسواق عامرة وحمامات وبساتين مثمرة ، حتى كادت تشبه حاضر حلب أو سوق التركمان في الموصل • » (١)

ومن محلات الموصل المشهورة التي كانت تقع في وسط المدينة محلة « درب درّاج » وهي ليست بشارع ـ كما توهم البعض ـ •

ذكر عنها ياقوت فقال : « محلة كبيرة في وسط الموصل ، يسكنها الخالديان الشاعران ، قال فيه أحدهما ويصف دير معبد • » (٢)

وقولتي والتقاني عند منصرفي والشوق يزعج قلبي أي أزعاج
يا دير ياليت داري في فنائك ذا أوليت أنك لي في درب دراج

وظلت الى القرن السابع الهجري تعرف بهذا الاسم ، وكان بها رباط « أبي السعادات مجد الدين بن الاثير » • (٣)

والمربعة ـ جهار سوك ـ ويفصلها عن درب دراج شارع واسع ، وهي من المحلات القديمة في الموصل ، ذكرها أبو زكريا الازدي في حوادث سنة ١٢٩ هـ عند كلامه «نفيل بن جابر بن جبلة» فقال : «أما نفيل فمنزله بالموصل في السكة الكبيرة التي بين المربعة المعروفة بابن عطا ، ودرب دراج ، وله هناك زقاق يعرف بنفيل الآن » ـ القرن الرابع للهجرة ـ وفي سنة ٣١٧ هـ وقعت فتنة بين أصحاب الطعام وبين أهل المربعة والبزازين فانضم الاساكفة الى أهل المربعة والبزازين وقهروهم وحرقوا أسواقهم • (٤)

ثم صارت تعرف بجهار سوك ـ محلة شهر سوق الحالية ـ ولاندري متى غلب عليها هذا الاسم •

ذكر ياقوت ان الشهار سوج فارسي معناه بالعربية أربع جهات • • •

---

(١) الحوادث الجامعة (ص : ٢٣٠ ، ٢٣١) (٢) معجم البلدان (٤ : ٤٨)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٤١) (٤) الكامل (٨: ٧٣)

والناس يقولون جهار سوج » . [1] وفي سنة ٤٢٠ غزا الغز مدينة الموصل وسلم عدة محال منها : سكة أبي نجيح والجصاصة وجهار سوك . [2]

وفي محلة شهر سوق مسجد قديم يسمى مسجد الملا عبد الحميد يقابل جامع عمر الاسود يفصل بينهما شارع عرضه لايزيد عن المترين وهو من المساجد القديمة التي بنيت في العهد الاتابكي . كان قد جددت عمارته سنة ٥٤٢ هـ كما هو مكتوب على محرابه . [3] والمأثور عند أهل الموصل أنه أحد مساجد الصوفية السبعة التي هي أقدم مساجد الموصل . وعلى هـذا فاننا نرجح بانه أنشيء في القرن الاول الهجري أنشأه أبناء نفيل الذين جاؤا الى الموصل مع جيش ابراهيم بن الاشتر النخعي بعد ان قضى على عبيد الله بن زياد .

وسوق الاربعاء ـ وتسمى أيضا المربعة ـ وهو غير ـ المربعة ـ جهار سوك . فسوق الاربعاء كانت تقع على الارض التي يطلق عليها «سوق الميدان» في الوقت الحاضر . والتي تمتد الى قرب باب الجسر بما فيها القسم المجاور لها وتقع على النهر .

وسوق الاربعاء من الاسواق القديمة في الموصل ورد ذكرها في اوائل القرن الثاني للهجرة . [4]

وفي سنة ٣٣٢ فاضت دجلة فركب الماء الربض الاسفل وشاطيء نهر سوق الاربعاء . [5]

وورد اسم سوق الاربعاء في القرن الرابع للهجرة . ذكر البشاري المقدسي عند كلامه على الموصل فقال : « والبلد شبه الطيلسان مثل البصرة ليس بالكبير ، في ثلثه شبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة ويعـــرف

---

(١) معجم البلدان (٥ : ٣١١) (٢) الكامل (٩ : ١٤٥ ، ١٤٦)
(٣) مجموع الكتابات (ص : ٩٤ ، ٩٥)
(٤) تاريخ الموصل في حوادث سنة ١٢٩ هـ وعند كلامه ايضا عن المنقوشـــة .
(٥) الكامل (٧ : ٢٣ ، ٢٤)

بسوق الاربعاء • داخله فضاء واسع به يجتمع الاكرة والحواصيد • على كل ركن فندق • [١]

وبقيت سوق الاربعاء الى القرن السابع للهجرة تعرف بهذا الاسم • وذكر ابن الاثير عند كلامه عن قصر المنقوشة : « انها خراب تجاور سوق الاربعاء » • [٢] ثم بعد هذا تنقطع عنا أخبارها •

حي الحديثين ولم يزل هذا الحي يعرف بهذا الاسم وهو يقع في جنوب غربي محلة باب المسجد ومن مساجده القديمة هو « مسجد منصور الحلاج » •

والحديثيون هم الذين نقلهم عماد الدين زنكي من حديثة الموصل الى الموصل ، وأسكنهم في هذا الموقع من المدينة وكان يعتمد عليهم • [٣]

حي خزرج وهو من أحيائها القديمة وفيه مسجد قديم يعرف ـ في الوقت الحاضر ـ بمسجد خزرج وهو المسجد الذي جدد بناءه الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦٧ والذي صار يعرف بمسجد بني ساباط فيما بعد •

ومسجد خزرج من أقدم مساجد الموصل أسس في القرن الاول للهجرة وسكنت خزرج حوله بعد تمصير الموصل فنسب اليها •

وليس هو اول مسجد أسس في الموصل كما توهم البعض ، فأول مسجد أسس هو المسجد الجامع سنة ١٧ هـ • ثم أسست مساجد كثيرة بعده ومنها هذا المسجد ولم تزل محلة خزرج تسمى بهذا الاسم ويسكنها بعض البيوت من قبيلة خزرج • [٤]

التغالبة وكانوا يسكنون في المحلة التي تسمى اليوم بمحلة البارودجية ـ شرقي باب العراق ـ ولا ندري متى سكنت تغلب في هذا المكان • والارجح أنها سكنت في القرن الاول للهجرة • • • • • • [٥]

---

(١) احسن التقاسيم (ص : ١٣٨)
(٢) ، (٣) (الكامل (٢ : ٥٣) (١٠ : ٣٦)
(٤) سومر (٤ : ٢٢٧ ، ٢٣١)
(٥) سومر (٧ : ٢٢٦)

حي الجصاصة وهم الذين يشتغلون بعمل الجص • ومن الاماكن التي تكثر فيها مقالع الحجارة التي يصنع منها الجص هي غربي المدينة وجنوب غربيها وشمالها •

أما شرقي المدينة فمحاط بالنهر • وأما جنوبها فأراضي رملية رسوبية لاتبطن حجارة داخلها •

والذي نراه ان الجصاصة كانت تجاور شهر سوق « جارسوك » من الجنوب الغربي لان ذكرها يرد كثيرا في كتب التاريخ مقرونا مع «جارسوك»(٢) كما ان القسم الشمالي للمدينة كان يطل على الميدان • ويستبعد ان تكون أكوار الجص قرب دور المملكة والقلعة وميدان الجيش وهي من الاماكن التي لايسمح بالعمارة فيها •

وعلى هذا فاننا نرى بان الجصاصة هي محلة مياسة والمحموديين وهما قريبتان من جارسوك •

وكان في الحي المذكور شارعان هما درب الجصاصة ودرب الجصاصين والذي نرجحه أنهما يؤديان الى باب الجصاصة الذي كان يصل المدينة بأكوار الجص التي كانت تقع خارجها •

احياء التكارتة وهم المسيحيون الذين هاجروا من تكريت الى الموصل في القرنين الرابع والسادس للهجرة وسكنوا قرب محلة شـــهرسوق وفــي « الشطية » قرب مسجد الشيخ أبي نصر • وفي سوق القتابين ـ ســـوق النجارين في الوقت الحاضر ـ وكانوا من العناصر الفعالة في عمران المدينة• نقلوا من تكريت صناعة النقش بالجبس وزينوا بها عمارات الموصل • ولم تزل آثارهم باقية في كثير من المباني داخل المدينة وخارجها •

حي الطبالين وهم الذين كانوا يعملون الطبول والدفوف • وأشتهرت الدفوف الموصلية في القرون الوسطى •

ومن محلات الموصل المشهورة هي محلة الطبالين • ذكر ابن الاثير عند كلامه على خراب الموصل ـ قبل تسلم عماد الدين لها ما يأتي ـ : وكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة والى دور السلطنة وكانت العرصة ترى

من قريب مسجد التركماني ـ وهو قريب من الطبالين ـ .

والذى نراه ان محلة الطبالين تشتمل على المحلة التى تسمى (عبدو خوب) فى الوقت الحاضر .

الميــدان

وكانت الارض المحصورة بين السور العقيلى والسور الاتابكى تسمى الميدان وهى ارض واسعة خالية من العمارة . اتخذت ميدانا للجيش . فيكون فيه عرضه وألعابه وتدريبه وكان فى الميدان كشك فيه غرف يكون فيه الملك اذا أراد الخروج بجيشه الى حرب او اذا عاد من حرب . ومنه يشرف على ترتيب الجيش وألعابه وتدريبه وتهيئته . [1]

وفى الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلى ـ من اعلى البلد الى أسفله ـ [2] يفصل دور المملكة والقلعة عن البلد . وهذا الشارع يكون من باب المشرعة ـ قرب عيسى دده ـ الى المدرسة العزية (مشهد الامام عبد الرحمن) ثم يمتد الى مقام الفتح الكارى الموصلى ثم الى باب سنجار (باب الميدان) .

وأدركنا هذا الميدان وهو ارض خالية من العمارة اللهم الا من بعض المدارس الاتابكية القديمة ـ وفيه بساتين تزرع بالخضر والبقول ويسمى (الميدان الاخضر) لان أرضه خضراء فى أكثر فصول السنة ، وهو محل متنزه أهل الموصل فتكون فيه ألعابهم وحلبات الخيل ومهرجاناتهم وأحتفالاتهم .

---

(١) الباهر (ص : ٣٤١)

(٢) اعلى البلد هو جهة الشرق منها ، وطول البلد يمتد من الشرق الى الغرب . وعرضها يمتد من الشمال الى الجنوب ذكر ابن الاثير فى حوادث سنة ٣٦٣ هـ عند كلامه عن نزاع بختيار مع ابى تغلب الحمدانى « .. اما بختيار فانه جمع اصحابه ـ وهو بالدير الاعلى ـ ونزل ابو تغلب بالحصباء ـ تحت الموصل ـ وبينهما عرض البلد » الكامل (٨٣ : ٤٦٥) فالدير الاعلى هو فى موقع باش طابية ، والحصباء لم تزل تعرف بشط الحصا او شط العرب . وهى الساحل الذى خلف مستودع الجيش جنوب الموقع .

ويقع في شرق الميدان دور المملكة والقلعة الاتابكية • وفيه بعض المدارس والترب التي بناها الاتابكيون •

دور المملكة

تقع على دجلة قرب القلعة وهي تقابل الميدان ولم تزل بقاياها تعرف باسم (قرة سراى) •

واول من بنى دار أمارة في هذا الموقع على دجلة هم الحمدانيون•[١]

ثم ان العقيليين الذين خلفوا الحمدانيين في حكم الموصل بنوا دورهم في نفس الموقع أيضا • [٢] كما ان السلاجقة الذين قضوا على حكم العقيليين في الموصل بنوا لهم (دار سلطنة) او دار ملك في نفس المكان • [٣]

وان عماد الدين زنكي جد الاتابكيين اول من سكن في دار الملك الذي بناه السلاجقة • ولما أستتب حكمه وأمتدت فتوحاته وعظمت دولته • وجد هذه الدار لاتتناسب مع ما يتطلبه من أظهار العظمة فهدمها ووسعها وبنى عدة دور فصارت تعرف (بدور المملكة) [٤] وأعتنى بزخرفتها بالنقوش الجبسية والكتابات المختلفة والرخام المطعم • وزخرف سقوفها بالذهب[٥] فكانت من الدور الكبيرة الجميلة تضاهي دور الخلفاء والسلاطين العظام • وعلى ممر السنين بنى اولاده وأحفاده دورا لهم تجاور هذه الدور فصارت تمتد من القلعة الى باب المشرعة • وآخر من وسعها ورمم بعض أقسامها هو بدر الدين لؤلؤ [٦] وذلك بعد ان قضى على الاتابكيين فانه سكنها وأتخذها دار ملك له •

وما تبقى منها في الوقت الحاضر هو عبارة عن قاعتين متجاورتين تقابلان الغرب وكل منهما تتألف من طبقتين فيهما شبابيك تطل على دجلة •

فالقاعة الجنوبية خالية من الكتابة والزخارف • أما القاعة الشمالية فمكتوب حول جدرانها بأرتفاع خمسة أمتار وبأحرف كبيرة محفورة بالجبس

---

(١) ـ (٣) سومر (١٠ : ٩٩)
(٤) الباهر (١٣٩) ، الروضتين (١ : ٤٣)
(٥) ذيل تاريخ دمشق (٢٨٦) ، (٦) سومر (١٠ : ١٠)

(• • • • • الرحمن الرحيم : عز لمولانا المالك الملك الرحيم العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد المرابط المثاغر الغازى بدر الدنيا والدين عضد الاسلام والمسلمين تاج الملوك والسلاطين محى العدل فى العالمين •) وبصدر القاعة المذكورة باب مسدود ـ الا قليلا منه ـ وفوقه طاق كبير فيه نافـــذة مكتوب حولها : (عز لمولانا المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين أتابك أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله حسام (أمير المؤمنين •) وتحت هذه الكتابة شريط من دوائر قطر الدائرة الواحد عشرون سنتمترا • وفي داخل كل دائرة صورة لانسان متربع • وهى ربما كانت تمثل أزياء الجند فى العهد الاتابكى وفى زوايا القاعة المذكورة زخارف جبسية دقيقة متناظرة يتخللها كتابات دقيقة جميلة وهى متداخلة مع الزخارف بحيث يصعب تمييزها • وأكثرها قد تلفت ولم يبق منها الا القليل •

وتحت القاعتين مسناة من الصخر القوى الاسمر محفور عليها بأحرف كبيرة : امر بعمارة هذه البنيان المباركة مولانا الملك الرحيم العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد المرابط • • • الدين عضد الاسلام والمسلمين • • • الكفرة والمشركين قاه (ر) الخوارج والمتمردين محيى العدل فــى العالمين ابو الفضائل لؤلؤ • • اعزه الله وذلك فى ولا • • • [1]

القلعـــة

تقع على الارض المرتفعة التى تشرف على نهر دجلة وعين كبريت • وهى فى شمال مدينة الموصل وكانت تجاور دور المملكة • ولاندرى من الذى أنشأ هذه القلعة اول مرة • وأقدم ذكر لها عثرنا عليه ان البساسيرى (٤٥٠ ـ ١٠٨٥ م) حاصرها أربعة أشهر وبعد ان استولى عليها هدمهـا وعفى أثرها • [2] وان الاتابكين أهتموا بهذه القلعة فوسعوها وأكملوا عمارتها وصارت تتسع لآلاف من أفراد الجيش • وفيها مخازن للمؤن والعتاد ولوازم الحرب • [3]

---

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٤٠ ، ١٤١)
(٢) ـ (٣) الكامل (٩ : ٢٣٩) (١٠ : ١٧٢) (١١ : ١٣٤)

ومن الذين أهتموا بعمارة القلعة فرمم سورها وأحكم أبراجها وجدد ما انهدم من مرافقها هو فخر الدين عبد المسيح وزير سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود .

وكان يحيط بالقلعة سور غير سور مدينة الموصل . وزار الموصل ابن جبير سنة ٥٧٩ هـ ووصف القلعة بقوله « وفى أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا . ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج . وتتصل بها دور السلطان . وقد فصل بينها وبين البلد شارع متسع من أعلى البلد الى أسفله » . (١)

ومما يؤسف له اننا لم نقف على وصف مفصل لمرافق القلعة . وقد وقفنا على أسماء بعض أبوابها وهى :

(١) باب القلعة وكان يؤدى منها الى الميدان . والذى نراه انه كان يقابل الغرب أى انه كان يقابل باب الميدان « باب سنجار » . (٢)

(٢) باب السر : وكان يؤدى منها الى النهر من جهة عين كبريت وهو أمنع أبوابها . ولما حاصر نور الدين محمود الموصل سنة ٥٦٦هـ - ١١٧٠م حلف الا يدخل القلعة الا من باب السر فدخل منه . (٣)

أما حدود القلعة : فالذى يظهر لنا أنها كانت تمتد من باش طابية شمالا الى دور المملكة وكان مشهد الامام يحيى بن القسم فيها . (٤) ومن ساحل النهر الى مقبرة آل النقيب " مقبرة الست فاطمة " .

وكانت القلعة مركزا هاما فى الدولة يكون فيها العتاد والذخيرة . ويتولى حراستها جيش كبير يشرف عليهم دزدار (محافظ) مخلص معروف بالشجاعة والحزم والتدبير . (٥)

---

(١) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨)

(٢) - (٣) سومر (١٠ : ١٠١

(٤) وفيات الاعيان (١ : ٥٩)

(٥) سومر (١٠ : ١٠٢) انظر ممن تولى دزدارية قلعة الموصل فى العهد الاتابكى .

وقد يفوض لدزدار قلعة الموصل النظر فى أمور القلاع والاشراف على من فيها[1] .

بقيت القلعة عامرة حتى سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م وفى هذه السنة حاصر الموصل سنداغو ونصب عليها المنجنيقات وتحصن فى القلعة (باسان) وشدد المغول الحصار على القلعة . ورموها بالاحجار والنار . ففتحوا المدينة وهدموا قلعتها - وهكذا هدمت هذه القلعة الحصينة واصبحت خرابا[2] .

السور

أول من أحاط الموصل بسور هو سعيد بن عبد الملك الخليفة الاموى الذى تولى الموصل فى خلافة أبيه (٦٥ - ٨٩ هـ) .[3] .

ثم ان مروان بن محمد وسع السور الذى بناه سعيد فى الاماكن التى أتسعت فيها المدينة ورمم ما أنهدم منه وذلك فى أوائل القرن الثانى للهجرة[4] .

بقى سور سعيد حتى هدمه هرون الرشيد سنة ١٨٠ هـ على أثر ثورة أهل الموصل عليه . وبقيت المدينة بلا سور حتى سنة ٤٧٤ هـ فبنى شرف الدولة العقيلى سورا للموصل قليل الارتفاع ولم يعمل له فصيلا . ولا أحاطه بخندق . وفرغ من عمارته بعد ستة أشهر[5] .

ثم ان جكرمش - أحد ولاة السلاجقة فى الموصل - رمم سور المدينة . وبنى له فصيلا[6] .

وحفر الخندق وحصن المدينة غاية ما يقدر عليه وكان هذا سنة ٤٦٨ هـ . وفعل مثل هذا جاولى سنة ٥٠٢ هـ .[7] .

وحد السور الذى بناه العقيليون والسلاجقة من بعدهم من جهة الشمال يمتد من باب المشرعة - قرب عيسى دده - ويتجه غربا تاركا الميدان

---

(١) الكامل (١٠ : ٢٤٦)

(٢) الحوادث الجامعة (ص : ٣٤٦ ، ٣٤٧)دول الاسلام (٢ : ١٣٨)، البداية والنهاية (١٣ : ٢٣٤) ابن العبرى (ص : ٢٩٤ ، ٢٩٥)

(٣) فتوح البلدان (ص : ٣٤٧ ، ٣٤٨)

(٤) معجم البلدان (٨ : ١٩٨)

(٥) - (٧) الكامل (١٠ : ١٤٣ ، ١٥٩) ، (١٠ : ١٧٢)

خارجه حتى ينتهى فى باب سنجار اى باب الميدان .

ولما تولى الموصل عماد الدين زنكى وأتخذها عاصمة لملكه رأى من الضرورى ان يحكم تحصين المدينة . فوسع السور من الجهة الشمالية من المدينة وأدخل الميدان بما فيه قصور الامارة داخل السور الجديد الذى بناه ، كما أنه رفع السور من سائر جهاته وأحكمه ، وعمر الخندق الذى يحيط به . وكان هذا سنة ٥٢٧ هـ . (١)

وصار للميدان كما قدمنا سورين أحدهما السور السلجوقى والثانى السور الاتابكى الذى بناه عماد الدين زنكى . جاء عن حصار نور الدين الموصل سنة ٥٦٦ هـ « دخل نور الدين من باب السر . وركب عبد المسيح وخرج يدور بين السورين » . (٢)

وذكر أبو الفداء فى كلامه عن الموصل : ولها سوران قد خرب بعضهما . (٣)

وذكر ابن بطوطة مثل هذا ان للموصل سورين غير سور القلعة . (٤)

ووصف ابن جبير عظمة هذا السور وما فيه من الابراج المحكمة والبيوت الكثيرة التى تسكنها الجيوش المقاتلة فقال : هذه المدينة عتيقة ضخمة ، حصينة فخمة ، قد طالت صحبتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها لحوادث الفتن ، وقد كادت أبراجها تلتقى أنتظاما ، لقرب مسافة بعضها من بعض . وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيف بالبلد كله . كان قد تمكن فتحها فيه لغلظ بنيته وسعة وضعه ، وللمقاتلة فى هذه البيوت حرز ووقاية ، وهى من المرافق الحربية » . (٥)

كان لسور الموصل تسعة أبواب فى العهد الاتابكى وهى :ـ

الباب العمادى : فتحه عماد الدين زنكى سنة ٥٢٧ هـ وسمى بأسمه .

---

(١) الباهر (ص : ١٣٧) ، وفيات الاعيان (١ : ١١٤)
(٢) الروضتين (١ : ١٩) (٣) تقويم البلدان (مخطوط)
(٤) تحفة النظار (١ : ١٤٨) (٥) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨)
(٦) الروضتين (١ : ٤٣) (٧) الزيارات (ص : ٧٠)

وكان يؤدى الى الربض الاعـلى من المدينة ولم يزل موقعه يعـرف بهـذا الاسـم • وكان يقابل مشهد الطرح (بنجـة عـلى) وهـو غير باب الوباء أو باب الحرية الذى فتح فى اوائل القرن العشرين •

باب سنجار وكان يقع فى اللحف الغربى من تل الكناسة ولم يـزل مكانه الى اليوم يسمى باب سنجار ويؤدى الى الجهة الغربية من المدينة •

وهو من أقدم أبواب المدينة • ذكره أبو زكريا الازدى فى حوادث سنة ١٢٩هـ وكان الاتابكيون قد جددوا بناءه • وآخر من جدده منهم هو بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤١ هـ • (١)

وكان الباب من أوسع أبواب المدينة يحيط به من الداخل مرافق كثيرة للجيش وخيوله وعتاده •

باب كندة وهو من الابواب التى كانت تقع غربى المدينة •

ولما حاصر صلاح الدين الايوبى الموصل سنة ٥٧٨ هـ نزل محاذى باب كندة وانزل صاحب حصن كيفا محمد بن قرار على باب الجسر • وانزل تاج الملوك عند الباب العمادى (٢) • ولعل باب البيض بنى فى محل باب كندة المذكور •

باب الجصاصة : الجصاصة او الجصاصون هم الذين يشتغلون بقلـع الحجارة وعمل الجص منها • ومن المحلات التى كانت ولم تزل مشهورة فى عمل الجص هو القسم الواقع جنوبى غربى المدينة • ولذا فاننا نرجـح بان الباب المذكور كان يقع فى هذا القسم من المدينة ولعله كان يقع قريبا من المحل الذى يلتقى به شارع ابن الاثير بشارع نينوى – فى الوقت الحاضر •

وكان للجصاصين شأن يذكر فى أحكام سور المدينة او تخريبه • ولما حاصر السـلطان محمود السلجوقى « جاولى » فى الموصـل سـنة ٥٠٢ هـ أغتاظ أهـل المدينـة وخرج الجصاصـة نهار الجمعـة وفتحوا الباب الى السلطان • (٣)

---

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٩٥) (٢) الكامل (١١ : ١٩٧)

(٣) الكامل (٩ : ١٤٦ ، ١٤٧) (١٠ : ١٧٢)

ومن دروب الموصل المشهورة هو درب الجصاصة ودرب الجصاصين ولا شك انهما كانا يؤديان الى باب الجصاصين . [1]

الباب الغربي وهو من الابواب التي كانت تؤدي الى غربي المدينة أيضا . وهذا الباب من الابواب التي لم أتمكن من تعيين موقعها بالضبط .

وذكر عنه ابن الاثير انه كان يقع بين باب كندة وباب العراق وان الذي فتحه هو عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ولم يكن قبله هناك باب ، وأنتفع به أهل ذلك الصقع . [2]

باب العراق كان يؤدي الى الجهة الجنوبية ـ جهة العراق ـ ولم يزل محله معروفا بهذا الاسم . كما ان المحلة التي بنيت قريبا منه تسمى ـ محلة باب العراق ـ . وأخباره كثيرة من القرن الخامس للهجرة الى يومنا هذا .

باب القصابين وهو على ما أرى من الابواب التي كانت تؤدي الىجنوب المدينةوهو من ابوابالموصلالقديمة. ذكر أبو زكريا فيحوادث سنة ١٨٩هـ وبقي يعرف بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة وهو كما يدل عليه أسمه كان يؤدي الى سوق القصابين . والذي نرجحه انه كان يقع قرب باب السراي .

باب الجسر وهو من أبواب الموصل القديمة أيضا . وأقدم ذكر له في أوائل القرن الثاني للهجرة . وبقي معروفا بهذا الاسم الى أيامنا هذه. وهو يقع في مدخل الجسر الخشبي القديم الذي رفع سنة ١٩٣٤ م على أثر بناء الجسر الحديدي المسمى (جسر الملك غازي) . وأخباره في العهد الاتابكي كثيرة . وهو من أشهر أبواب المدينة لانه الباب الوحيد الذي كان يصل المدينة بالجهة الشرقية منها . [3]

باب المشرعة كان يقع قريبا من دور المملكة يؤدي الى النهر . بنى عليه الملك سيف الدين غازي سنة ٥٤١ هـ رباطا . والرباط يسمى اليوم مقام (عيسى دده) .

---

(١) احسن التقاسم (ص : ١٣٨) (٢) الباهر (ص : ٣٤٥)
(٣) انظر سور الموصل (سومر : ٣ : ١٢٢)

الاســـواق

كانت أسواق الموصل الرئيسة فى العهد الاموى ــ حول الجامـــع الاموى وهو مركز المدينة فى ذلك الوقت يجاوره دار الامارة . [١]

ثم ان أسماعيل بن على بن عبد الله العباسى نقل الاسواق الى خارج المدينة سنة **١٣٧** هـ وبنى فى وسطها مسجد أبى حاضر ــ مسجد الشالجى ــ فى الوقت الحاضر . [٢]

كما ان الخليفة المهدى كان قد وسع الجامع الاموى ســـنة **١٦٧**هـ وأضاف اليه ماكان يحيط به من الاسواق . [٣] وهكذا انتقلت معظم الاسواق الكبيرة الى قرب الجامع النورى وأخذت تتوسع هذه بتوسع المدينة حتـــى صارت الاسواق التجارية المهمة تحيط بالجامع النورى وهو فى وسط مدينة الموصل على عهد الدولة الاتابكية . [٤]

على ان بعض الاسواق بقيت فى محلها القديم فى شرقى الموصل خاصة الاسواق التى يحتاجها الفلاحون كسوق القتابين وسوق الشعارين وسوق الاربعاء .

ونشأت أسواق أخرى قريبة من باب الجسر وهى الاسواق التى كان يمتار منها الفلاحون الذين يقصدون الموصل من الجهة الشرقية .

فسوق الشعارين وهو من أقدم أسواق مدينة الموصل . جاء ذكره فى القرن الاول للهجرة ولم يزل معروفا الى اليوم بهذا الاسم .

وسوق القتابين [٥] وهو أيضا من أسواق الموصل القديمة التى ذكرت فى القرن الاول للهجرة وبقى هذا السوق يعرف بهذا الاسم الى القـــرن السادس للهجرة .

---

(١) الكامل (١١ : ٢٠٨)
(١) ـ (٣) سومر (٧ : ٢٢٨) (٦ : ٢١٣ ـ ٢١٤)
(٤) معجم البلدان (٨ : ١٩٧)
(٥) سوق القتابين : يباع به قتب الابل وما يتبع هذا من ادوات

وسوق الاربعاء وكان يقام به سوق في يوم الاربعاء من كل أسبوع ثم بني به وعرف بهذا الاسم وقد مر الكلام عنه •

وهنالك أسواق أخرى كانت في احيائها الداخلية وفي أرباضها •

ففي الربض الاسفل السوق الذي بناه مجاهد الدين قيماز وهو من الاسواق الكبيرة المعلومة في الموصل ومحط التجار الذين يأتون من الجهة الجنوبية •

ومن أسواقها الكبيرة داخل المدينة « جهار سوك » وهو يقع في وسط المدينة ايضا • في المحلة التي لم تزل تسمى بأسمه • وأدركنا هذا السوق الى عهد قريب • ثم هدمت أكثر دكاكينه • وأضيفت أرضها الى شارع الفاروق •

وسوق التركمان وهو يقع شرقي المدينة يجاور الميدان • وقد تقدم الكلام عن محلة سوق التركمان التي سميت بأسمه •

ومن قيسريات الموصل المشهورة هي قيسرية الجامع النوري وكانت وقفا عليه • وعدد دكاكينها (٦٩٩)[١] دكانا • ولا نعلم موقعها بالضبط • فلعلها كانت تجاور الجامع ضمن الاسواق التي تحيط به •

والقيسرية التي بناها مجاهد الدين قيماز ووصفها ابن جبير بقوله ـ « وفي سوقه قيسرية للتجار كأنها الخان العظيم تنغلق عليها أبواب حديد بعضها على بعض ، وقد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لامثيل له ، فما أرى في البلاد قيسرية تعدلها » •[٢] وهي أيضا داخل مدينة الموصل •

وقيسرية المسك وعدد دكاكينها (١١) دكانا وهي داخل المدينة أيضا•[٣]

وعثرنا على أسماء بعض الشوارع القديمة في الموصل ولم نتحقق من مواقعها بالضبط ونذكرها مع وجهة نظرنا في مواقعها لعل هذا يدفع الباحثين

---

(١) سومر (٥ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠)

(٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨) (٣) منية الادباء (ص : ٦٨)

الى التحقيق عنها ومعاونتنا في الامر • وهي : سكة أبي نجيح وهي من سكك الموصل القديمة أيضا ، وقد سلمت سكة ابي نجيح عندما غزا الغز الموصل سنة ٤٢٠ • [١] وفي القرن السابع للهجرة كان بها دار الطبيب مهذب الدين بن هبل المتوفي سنة ٦١٠ هـ • [٢] وكانت دار الحديث المهاجرية تقع في سكة أبي نجيح • [٣]

والذي نراه انها كانت تمتد من سوق الميدان الحالية الى مدرسة كمال الدين بن يونس ـ جامع شيخ الشط ـ ولم يزل هذا الشارع من شوارع الموصل الرئيسية •

درب باصلوث : وباصلوث محرف عن (بيت صلوثا) لفظ آرامي معناه (بيت الصلاة) وهو من الشوارع القديمة في الموصل[٤] ولم يزل موقع « بيت صلوثا » معلوما الى اليوم وهو على يسار الذاهب من شارع نينوى الى الموصل الجديدة بعد عبور سكة حديد القطار ، ويسميه أهل الموصل (بسطوطات) وهو محرف عن باصلوثا •

درب بني ميده :ـ وهو من شوارع الموصل القديمة • فقد جاء في تاريخ الموصل للازدي في حوادث سنة ١٩٠ هـ « تولى الموصل خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصه بن المهلب ودخلها من درب بني ميده فانكسر لواءه فأنشده أبو الشيص ـ وكان معه ـ :

ما كان منكسر اللواء لطيرة تخشى ولا أمر يكون مزيلا
لكن هذا الرمح أضعف ركنه صغر الولاية فأستقل الموصل

فسرى عن خالد » • وذكره المقدسي في القرن الرابع للهجرة انه من شوارع الموصل الرئيسية • وبقي يعرف بهذا الاسم الى الدور الاتابكي • والذي نراه انه كان يؤدي الى جهة باب العراق اي انه كان الى الجهة الجنوبية من الموصل •

درب أيليا الطبيب : جاء ذكر هذا الشارع في حوادث سنة ١٦٦ هـ ان

---

(١) الكامل (٩ : ١٤٦) (٢) عيون الانباء (١ : ٣٠٤ ، ٣٠٥)
(٣) الاستاذ (ص : ١٢٠) ، (٤) احسن التقاسيم (ص : ١٣٨)

أصحاب البيعة المعروفة بمرتوما المجاورة للمسجد المعروف ببنى أسباط الصيرفى المقابل لدرب بنى ايليا الطبيب ... و ....) .[1] فبيعة مار توما لم تزل تعرف بهذا الاسم ، ومسجد بنى ساباط هو مسجد خزرج، والشارع الذى أمامه هو درب بنى أيليا الطبيب .

بقى الشارع يعرف بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة ، فقد جاء عن آق سنقر البرسقى صاحب الموصل الذى قتله الباطنية سنة ٥٢٠ انه وقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم ، فقيل أنهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب أيليا فاحضروه[2] . »

درب رحى أمير المؤمنين : وهو من الشوارع التى كانت تؤدى الى والدير الاعلى « قرب باشطابية » ويمر بالميدان أمام دور المملكة . ولم يزل هذا الشارع من شوارع المدينة الرئيسية .

درب رحى أمير المؤمنين : وهو من الشوارع التى كانت تؤدى الى النهر . وانه كان على النهر رحى تسمى «رحى أمير المؤمنين» والذى نراه ان الرحى المذكورة هى أحدى الارحية التى كان الامويون قد اوقفوها ليصرف ريعها على أدامة نهر الحر بن يوسف الاموى الذى حفروه من دجلة الى الموصل والذى صار فيما بعد يعرف بنهر زبيدة.[3] وان شاطىء دجلة الذى تحت مدرسة كمال الدين بن يونس يسمى شط الرحى . والمتواتر عند أهل الموصل انه كان يوجد رحى فى هذا المكان فلعل شارع رحى أمير المؤمنين كان يؤدى الى هذه الرحى . وان شارع شط المكاوى الذى يتفرع من سوق الشعارين الى باب شط المكاوى ، يؤدى الى الرحى المذكورة . والذى نراه انه شارع (**رحى أمير المؤمنين**)

درب الدباغين : من شوارع الموصل الرئيسية . ومن عادة الدباغين انهم كانوا يجعلون مدابغهم على دجلة وان المدابغ كانت جنوبى المدينة اى

---

(١) تاريخ الموصل ـ للازردى ، سومر (٧ : ٢٣٢)
(٢) الكامل (١٠ : ٢٤٢)
(٣) سومر (٧ : ٢٣٤)

جنوب شط الحصا • فلعل الشارع كان يصل المدينة بهذا المكان •

درب جميل : ولم نقف على ذكر له سوى انه من شوارع الموصل القديمة ولم نتوفق لتعيين موقعه •

١ ـ الجوامع

الجامع الاموى

هو اول جامع بنى فى الموصل بناه عتبة بن فرقد السلمى سنة ١٧ هـ وبنى الى جنبه دار الامارة ثم وسعه عرفجة بن هرثمة البارقى •

ولما تولى مروان بن محمد الموصل هدم الجامع ووسعه وبنى فيه مقصورة ومنارة وبنى الى جنبه مطابخ يطبخ بها للفقراء فى شهر رمضان • وصار يعرف (بالجامع الاموى) •

وفى سنة ١٦٧ هـ أمر الخليفة المهدى عامله موسى بن مصعب بن عمير ان يضيف الى الجامع الاسواق التى كانت تحيط به فهدمها مصعب مع المطابخ واضافها الى الجامع ووسعه •

وكانت حالة الجامع غير مرضية فى القرن الخامس للهجرة وذلك على عهد الولاة السلاجقة فتداعى بنيانه وترك الناس الصلاة فيه الا يوم الجمعة •

وان الاتابكيين أهتموا فى عمارة الموصل وتجديد كافة مرافقها فجددوا عمارته سنة ٥٤٣ وذلك على يد سيف الدين غازى الاول بن عماد الدين زنكى وكانوا يسمونه الجامع العتيق تمييزا له عن الجامع الجديد ـ الجامع النورى ـ وأهتم الاتابكيون بتزيينه وزخرفته • ومما لاحظه فيه ابن جبير النافورة التى كانت فى صحنه قال عنها • • • « وفى صحن هذا الجامع قبة داخلها سارية رخام قائم قد خلل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها • وفى أعلاها خصة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج أنزعاج وشدة فيرتفع فى الهواء أزيد من القامة • كأنه قضيب من البلور معتدل ثم ينعكس فى أسفل القبة • » (١)

---

(١) انظر عن حالة الجامع فى مختلف العصور (سومر : ٦ : ٢١١ ـ ٢٢٠)

والجامع فى الوقت الحاضر صغير تقام به الجمعة وقد اتخذ قسم كبير من فنائه مقابر عامة وتسمى مقبرة الصحراء وكانت تسمى مقبرة الجامع العتيق •

ولم يصلنا من آثار الجامع الاموى سوى المحراب الذى بناه الاتابكيون وهو الذى كان قد نقله الشيخ محمد النورى الى الجامع النورى وقد أعيد فى مصلى الجامع النورى بعد تجديده • وهو من أجمل محاريب الموصل مزخرف بزخارف نباتية متشابكة ومتناظرة صنعه سنة **٥٤٣** صنقر البغدادى •

ووصلنا بقايا المنارة الآجرية التى تعرف اليوم بمنارة الكوازين • وهى تبعد عن الجامع بما يزيد على (**١٥٠**) م وكانت داخل الجامع • والمنارة هى من بناء الاتابكيين أيضا فهى تشبه منائر الجوامع التى بنيت فى ذلك العصر • ولم يبق منها سوى جزء خال من النقش والزخرفة •

وكان فيه لابن جنى المتوفى (ـ **٣٩٢**) حلقة علمية يتلقى عنه طلابه النحو • ومر به أبو على الفارسى فوجده فى حلقة يقرئى النحو ـ وهو شاب ـ فسأله أبو على عن مسألة فى التصريف فقصر فيها فقال له أبو على « زببت وانت حصرم • » فسأل ابن جنى عنه فقيل له : هذا ابو على الفارسى • فلزمه من يومئذ وأعتنى بالتصريف • (١)

وفى القرن السابع للهجرة كان العلامة موفق الدين الكواشى الامام المفسر يعقد به حلقة يدرس فيها التفسير • وألف فيه التفسير الكبير والتفسير الصغير • (٢)

الجامع النورى

دخل نور الدين محمود زنكى الموصل سنة **٥٦٦** ومكث فيها (**٢٤**) يوما نظم خلالها شؤون البلد وأزال عنها المظالم • ورفع كثيرا من الضرائب التى كان فخر الدين عبد المسيح قد وضعها ، وكان فى المدينة جامع واحد

---

(١) وفيات الاعيان (١: ٢١٣ ، ٢١٤) معجم الادباء (١٢ : ٩٠ ، ٩١)
(٢) النجوم الزاهرة (٧ : ٣٤٩)

يجمع به • وقد ضاق بالمصلين خاصة وان المدينة قد ضاقت بسكانها • [1]

وذكروا له ان فى وسط الموصل خربة واسعة تصلح ان تكون جامعا كبيرا لوقوعها فى وسط اسواق المدينة • وكان الذين أشار عليه بأبتياع الخربة وبنائها جامعا هو شيخه معين الدولة عمر بن محمد الملا •

فركب نور الدين الى محل الخربة • وصعد منارة مسجد أبى حاضر• وأشرف على الخربة • وأمر ان يضاف اليها ما يجاورها من الدور والحوانيت، وان تؤخذ من اصحابها برضاهم ، بعد ان يدفع اليهم اثمانها •

ورأى نور الدين ان خير رجل يقوم ببناء الجامع بأمانة وأخلاص هو شيخه « معين الدولة عمر بن محمد الملا » لذلك فوض اليه أمر بنائه • وان بعض أتباع « نور الدين » كانوا يرغبون ان يقوموا بالعمل • فقالوا له: ان هذا الرجل لا يصلح لمثل هذا العمل • فأجابهم نور الدين : اذا وليت العمل بعض أصحابى من الاجناد او الكتاب أعلم انه يظلم فى بعض الاوقات، ولا يبنى الجامع بظلم رجل مسلم • واذا وليت هذا الشيخ غلب على ظنى انه لايظلم • فاذا ظلم كان الاثم عليه لا علي •

باشر الشيخ عمر ببناء الجامع سنة **٥٦٦** هـ • فابتاع الخربة من أصحابها وأضاف اليها ما يجاورها من الدور والحوانيت بعد ان أشتراها بأوفر الاثمان • وكان يملأ تنانير الجص بنفسه • وبقى يشتغل فى عمارة الجامع ثلاث سنوات • انتهى منه سنة **٥٦٨** هـ •

وكان نورالدين قد زار الموصل مرة ثانية سنة **٥٦٨** وصلى بجامعه بعد ان فرشه بالبسط والحصران وعين له مؤذنين وخدما وقومة ورتب له كل ما يلزمه •

أما ما صرف على الجامع فيذكر بعض المؤرخين أنه كان ستين ألف دينار صرفها من الغنائم التى غنمها من فتوح الفرنجة • وذكر بعضهم انه كان ثلاثمائة ألف دينار • ومهما يكن من أمر فان بناء جامع كبير كجامع نور الدين يكلف مبلغا كبيرا ـ خاصة وانه زينه بالزخارف والكتابات • كان

---

(١) انظر عن حالة الجامع فى مختلف العصور (سومر : ٥ : ٢٧٦ـ ٢٩٠)

بعضها فى الرخام المطعم وبعضها فى الجبس • ولم يزل بعضها باقيا الى اليوم• وكان الجامع آية فى الفن فيذكر أبو شامة انه : اليه النهاية فى الحسن والابداع •

كما ان نور الدين اوقف له اوقافا كثيرة لصيانته وأدامته والصرف على من يتولى أموره •

وبنى به نور الدين مدرسة • وقد ذكرناها عند كلامنا عن مدارس الموصل •

وهذا الجامع لم يزل الى اليوم من الجوامع المشهورة فى العالم الاسلامى، وخاصة منارته المنحنية الى الشرق والتى هى اطول منارة فى العراق • يبلغ ارتفاعها ستين مترا ، وهى مزينة بزخارف آجرية جميلة ، ولها طريقان: احدهما من الارض ، والثانى من القسم المنشورى (الكرسى)• والطريقان لايلتقيان داخل المنارة ، وكلاهما يؤدى الى اعلاها •

الجامع المجاهدى

أبو منصور قيماز (قايماز) بن عبد الله الزينى الملقب مجاهد الدين من أهل سجستان اشتراه زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى صاحب أربل وقدمه فى دولته حتى صار صاحب الامر فيها • وفى سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) انتقل الى الموصل وتولى دزدارية قلعتها وصار من ارباب الدولة الذين يعتمد عليهم فى أمورها وكان من خيرة رجال الدولة الاتابكية•

كان محبا للعمران فأثر آثار حسنة فى اربل والموصل • بنى فى اربل مدرسة وخانقاها للصوفية ووقف لهما الوقوف الكثيرة وبنى فى الموصل الجامع المجاهدى والمارستان المجاهدى والجسر المجاهدى الذى كان يصل بين الربض الاسفل بالجانب الايسر والرباط المجاهدى ومكتبا للايتام والمدرسة المجاهدية ـ وكلها فى الربض الاسفل من الموصل • والقيسرية المجاهدية وهى فى سوق الموصل الداخلى •

كان فى الموصل جامعان يجمع بهما : الجامع الاموى والجامع النورى.
وكان الربض الاسفل كالمدينة بعمرانه وأسواقه ويلاقى سكانه صعوبة فى
الذهاب الى أحد الجامعين لاداء صلاة الجمعة • فقر رأيه على ان يبنى جامعا
فى هذا الربض ليريح الناس •

وفى سنة ٥٧٢ باشر بعمارة الجامع واستخدم فى بنائه أمهر البنائين
والفنانين وصرف عليه مبلغا كبيرا واستمر العمل به خمس سنين فكان من
الجوامع المعدودة فى بلاد الجزيرة • وأقيمت فيه صلاة الجمعة سنة ٥٧٥
قبل ان تكمل عمارة مرافقه •

وعلى هذا فيكون الجامع المجاهدى هو ثالث جامع اقيمت فيه صلاة
الجمعة فى مدينة الموصل • ونستدل من التاريخ الذى كان عليه ان عمارته
كملت سنة ٥٧٦ هـ •

كان الجامع أكبر مما هو عليه الان • وأعتنى مجاهد الدين فى تزيينه
بكتابات مختلفة وزخارف متنوعة بعضها بالجبس وبعضها بالآجر وبالمرمر
المطعم بالصدف •

وفى سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) زار الموصل الرحالة الاندلسى ابن
جبير وصلى فى جامع مجاهد الدين فأعجب به غاية الاعجاب لما شاهده من
جميل موقعه وحسن هندسته وتنوع زخارفه فقال فى وصفه عند كلامه على
الربض الاسفل « • • • وأحدث فيه بعض أمراء البلدة ـ وكان يعرف
بمجاهد الدين ـ جامعا على شط دجلة ما أرى وضع جامع أحفل منه بناء ،
يقصر الوصف عنه ، وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك نقش فى الآجر •
وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها
مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن ووصفه يطول
وانما وقع الالماع بالبعض جريا الى الاختصار • • »

اما قبة الجامع فمبنية بالآجر أما باطن القبة فكان مزينا بكتابات وزخارف
مختلفة وكلها بالجبس • فكان مكتوبا حولها آيات من القرآن الكريم بعضها
بالخط الكوفى وبعضها بالخط النسخى • ومما يؤسف له أن الترميمات

المتتالية التي أجريت على القبة طمست معالم ما كان فيها من كتابات وزخارف.
والقبة لم تزل باقية الى اليوم وهي بحالة حسنة.

ووصلنا سالما من آثار الجامع أيضا المحراب الكبير الذي هو أكبر محراب أتابكي وقفنا عليه. وقد دعم المحراب مؤخرا من خارجه وداخله بناء من الجص والحجارة للمحافظة عليه. وفي أعلى المحراب زخارف جبسية فريدة في بابها. وهي تتألف من زخارف نباتية يتخللها صور حيوانات كالاسد والغزال وطيور اليفة كالبط والحمام متداخلة تداخلا كليا مع غيرها من الزخارف بصورة متناظرة بحيث تكون الصور متممة للزخارف النباتية ويصعب على الناظر تمييز ما فيها لاول مرة. فقد أبدع الفنان في أخراجها. وان جميع الصور والزخارف نافرة وهي بحالة مرضية.

والجامع في الوقت الحاضر أصغر مما كان عليه في العهد الاتابكي ويسمى جامع الخضر او الجامع الاحمر. وتقام به صلاة الجمعة.[١]

٢ ـ المدارس

المدرسة النظامية

بناها نظام الملك الوزير المشهور (٤٠٨ ـ ٤٨٥ هـ) ذكر ابن الاثير عند كلامه عن القاضي أبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن أبي خالد الخالدي المعروف بالسديد ـ قاضي الموصل ـ « وبنى له نظام الملك مدرسة بالموصل، وهي الان بالقرب من الجامع النوري وتعرف بهم ».[٢]

وممن درس فيها: أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهر زوري (٥١٨ـ٥٨٠هـ) جاء عنه «فانتقل الى الموصل وتولى قضاءها، ودرس بمدرسة والده، والاتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية».[٣]

---

(١) الجامع المجاهدي في مختلف العصور! لنا بحث عنه في سومر (١١ : ١٧٧ ـ ١٨٧)

(٢) ـ (٣) اللباب في الانساب (١ : ٣٩٩) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٣) طبقات الشافعية (٤ : ٢٧٥ ، ١٠)

وأحمد بن نصر بن الحسن أبو العباس الانبارى المعروف بالشمس الدنبلى المتوفى سنة ٥٩٨ هـ . كان هذا من علماء الموصل ودرس بالنظامية والاتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية . » [٣]

والذى نراه ان مقام على الاصغر المعروف بمقام ابن على او مقام ابن الحنفية قد اتخذ فى بناية المدرسة النظامية ، فهو يقابل الجامع النورى ، يفصل بينهما ساحة لعلها كانت فناء المدرسة المذكورة .

والذى اتخذ مقام ابن على بها هو بدر الدين لؤلؤ عندما أبطل التدريس فى كثير من مدارس الموصل وأتخذها مقامات لآل البيت ، لكى يقاوم الحركة العدوية التى قام بها الشيخ حسن شمس الدين بن الشيخ عدى بن الشيخ صخر الاموى العدوى .

وجدد البناء فى فترات متباينة آخرها سنة ٧٣١ هـ = ١٣٣٠ م . على يد نقيب الموصل حيدر بن النقيب محمد شرف الدين الحسينى .

والمدرسة فى الوقت الحاضر هى مرقد لابن على ، وهى تشمل على فناء صغير ينزل منه الى مايشبه المصلى ، وينزل من هذا القسم الى بناية المدرسة ، وهى عبارة عن غرفتين — فى الاولى منها قبر من المرمر الاسمر (الحلان) أقامه بدر الدين لؤلؤ . والثانية فيها صندوق من خشب فوقه ستر ، وفوق هذه الغرفة قبة مرتفعة . ونعتقد بان الصندوق وتجديد البناء كان فى القرن الثامن للهجرة . [١]

وأهم الآثار التى تستحق الذكر فى هذه المدرسة هو : محـــراب نفيس من المرمر الازرق المطعم بمرمر أبيض وحول المحراب مكتوب بخط كوفى البسمله وآيات من القرآن الكريم .

---

(١) كان مكتوبا فوق شباك الحضرة : جدد هذا الشباك المبارك فى ولاية المولى الحسيب النقيب احمد ابو العباس محى الدين حيدره بن محمد شرف الدين بن محمد بن عبيد الله الحسينى . اعز الله انصاره . فى شهور سنة احدى وثلاثين وسبعمائة هلالية .

انظر مجموع الكتابات (ص : ١٠٦)

(٢) المدرسة الاتابكية العتيقة

بناها سيف الدين غازى بن عمادالدين زنكى بن آق سنقر (-٥٤١هـ) وكان من خيرة الملوك الاتابكيين فى الموصل يحب العلم وأهله ، منطويا على خير وصلاح ودفن فيهـــا بعد موته • ذكر عنه أبو شامة المقدسى • وبنى بالموصل المدرسة الاتابكية العتيقة وهى من أحسن المدارس وأوسعها وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفين • وبنى رباطا للصوفية بالموصـــل أيضا ، وهو الرباط المجاور لباب المشرعة ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة • وبعد موته دفن بمدرسته هذه • [١]

وممن درس فيها : أبو البركات عبد الله بن الحسين المعروف بابن الشيرجي المتوفى سنة ٥٧٤ الذى درس على ابن شداد العالم المشهور • [٢]

وأما الرباط فكان يقع على باب المشرعة ، وهو أحد أبواب الموصل التى تؤدى الى النهر • وان مقام عيسى دده فى موقع الرباط المذكور • ولعل المدرسة كانت تجاور الرباط فان صح هذا فانها كانت تقع على دجلة قرب مقام عيسى دده الحالى • [٣]

(٣) مسجد زين الدين (المدرسة الكمالية)

بناها زين الدين ابو الحسن على بن بكتكين المتوفى سنة (٥٦٣ هـ) وهو والد الملك المعظم مظفر الدين أبى سعيد كوكبورى صاحب أربل •

جاء عن رضى الدين يونس بن منعه (٥٠٨ - ٥٧٦ هـ = ١١٤ - ١١٨٠ م) وصادف قبولا تاما عند المتولى بها - الموصل - الامير زين الدين ابى الحسن على بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب أربل وفوض له تدريس مسجده المعروف به ، وجعل نظره اليه ، فكان يدرس به ويفتى ويناظر وتقصده الطلبة للاشتغال عليه •

---

(١) الروضتين فى اخبار الدولتين (١ : ٦٥) وانظر ايضا الباهر (ص : ١٦٧) ومرآة الجنان (٣ : ٢٨٤) الكامل (١١ : ٥٦)

(٢) وفيات الأعيان (٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥)

(٣) انظر عن عيسى دده (منية الادباء : ص : ١٢١)

وعلى هذا فان يونس بن منعه هو اول من فوض اليه التدريس فى هذا المسجد • ودرس به بعده ولده كمال الدين وصار يعرف المسجد بالمدرسة الكمالية •

قال ابن خلكان عند كلامه عن كمال الدين بن يونس بن منعة (٥٥١ – ٦٣٩ هـ) • ودرس بعد وفاة والده فى التاريخ الآتى ذكره فى ترجمته ان شاء الله وهو سنة (٥٧٦ هـ) بالمسجد المعروف بالامير زين الدين – صاحب أربل – وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة – وتعرف بالكمالية لانه نسب الى كمال الدين المذكور لطول أقامته به • (١) وذكر ابن خلكان أيضا عند كلامه عن كمال الدين بن يونس « ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمه الله » •

وعلى هذا فمسجد زين الدين كان قد بنى على شكل مدرسة ودرس به يونس بن منعة ، ثم درس به بعده ابنه كمال الدين بن يونس ، وصار يعرف بالمدرسة الكمالية •

ولا علاقة بين مسجد زين الدين – المدرسة الكمالية – وبين المدرسة الزينية التى اسسها زين الدين أبو الحسن على بن بكتكين – وهو الذى بنى المسجد أيضا – فقد التبس هذا على بعضهم فجعل المدرسة الزينية ومسجد زين الدين والمدرسة الكمالية – مدرسة واحدة • (٢)

وصار لهذه المدرسة – الكمالية – شهرة واسعة عندما كان يدرس بها كمال الدين بن يونس وغلب اسمها على مدارس الموصل • فاذا قالوا (المدرسة) أرادوا بها مدرسة كمال الدين بن يونس •

ولم تزل بنايتها باقية الى اليوم وهى تشرف على دجلة وتعرف بمدرسة ابن يونس • جاء فى منهل الاولياء عند كلامه عن قره سراى « • • • • •

---

(١) – انظر عن المدرسة وفيات الاعيان (١ : ٤٢٥ – ٤٢٧) (٢ : ٤١٩) (٢ : ٣٢) ، (٢ : ٤١٩) ، (٢ : ٣٢)

(٢) مخطوطات الموصل (ص : ٦ ، ٢١ ، ٢٢)

ونمر بمسافة على خانقاه للصوفية قد بقي آثار منها ومدرسة يقال أنها مدرسة الشيخ السابق ذكره ابن يونس النحوى .[1] وقد بقيت قبتها مبنية بالآجر، بناؤها محكم مرتفع جدا ، وهناك ينتهى الخراب وتتصل العمارة » .

وبناية المدرسة في الوقت الحاضر تسمى جامع شيخ الشط : تتألف من غرفة كبيرة مثمنة الشكل فوقها قبة تستند الى مقرنصات وهى على مايظهر لنا ــ كانت مزينة بزخارف جبسية من الداخل وزخارف وكتابات آجرية من الخارج . ولم يزل بعض هذه الزخارف باقيا الى اليوم . وقبة المدرسة مبنية من الآجر وهي بحالة يمكن صيانتها والمحافظة عليها .

وفي سنة ١٢١٩ هـ رمم القبة وجدد بابها وبنى اروقة أمامها أحمد باشا بن بكر افندى الموصلي ، وأقام منبرا داخل المدرسة وأتخذها جامعا كان يعرف بجامع الشهوان لانه يقع في المحلة التي تسكنها قبيلة الشهوان .

وفناء المدرسة واسع قد بني فوق قسم منه تكية للحاج محمد افندى الافغاني ــ شيخ الشط ــ وهو مدفون في هذه التكية .[2]

كما ان عددا من الدور التي تحيط بالمدرسة مبنية على ارض فنـاء المدرسة نفسها فهي عرصات وقفية .

(٤) المدرسة الزينية

بناها زين الدين ابو الحسن على بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣ هـ .

وزين الدين هذا له آثار في الموصل ويذكر عنه ابن خلكان « ان له بالموصل اوقافا كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها » ومن هـــذه الاوقاف المدرســة الزينية وهي غير مسجد زين الدين ــ المدرسة الكمالية ــ كما مر بنا آنفا .

ومما يؤيد لنا ان الزينية هي غير مسجد زين الدين :

١ ــ ماذكره ابن خلكان ان لزين الدين اوقافا في الموصل من مدارس وغيرها . والزينية مما بناه واوقفه زين الدين . وذكر ابن الاثير عنه ان له مدارس وربطا في الموصل وغيرها .[3]

---

(١) هو يونس بن منعة ، وليس بيونس النحوى .

(٢) مجموع الكتابات (ص : ١١١)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٣٥) الباهر (ص : ٢٤٣)

٢ ـ تولى التدريس فى مسجد زين الدين : يونس بن منعة المتوفى سنة ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م وبعد وفاته درس فيه ابنه كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩ هـ . (١)

وفى الوقت الذى كان يدرس كمال الدين فى مسجد زين الدين كان أخوه عماد الدين بن يونس بن منعة يدرس فى المدرسة الزينية . وكان معيدا عنده فى الزينية ابو على الحسن بن عثمان بن على الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م وهو أحد فقهاء الشافعية. (٢) وعلى هذا ففى الزمن الذى كان يدرس كمال الدين فى المسجد الزينى ، كان أخوه عماد الدين يدرس فى المدرسة الزينية . فمسجد زين الدين هو غير مدرسة زين الدين .

ولا نعلم موقع المدرسة فقد عفت آثارها كما عفت مدارس ومعاهد كثيرة فى الموصل وغيرها من أمهات المدن الاسلامية .

(٥) مدرسة الجامع النورى

بعد ان انتهى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى من بناء جامعه فى الموصل (٣) رأى من المفيد ان يجمع بين الدين والعلم فى هذا الجامع. فبنى به مدرسة ووصل الموصل سنة ٥٦٨ هـ عماد الدين ابو بكر التوقانى الشافعى ـ من أصحاب الامام محمد بن يحيى ـ فسأله نور الدين ان يكون مدرسا فى المدرسة وكتب له منشورا . ولم يكن التدريس مستمرا فى المدرسة فقد تعطل بها بعد العهد الاتابكى، ثم درس بها فى فترات متباينة. ولم يبق لها أثر فى الوقت الحاضر .

وفى الجامع النورى خزانة كتب كانت فى المدرسة وهى الكتب التى أوقفها

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٦)

(٢) الجامع المختصر (٩ : ٣٠٩)

(٣) انظر عن الجامع النورى منية الادباء (ص : ١٤٠ ، ١٤١)

السيد محمد بن الملا جرجيس القادرى النورى الذى سعى فى ترميم الجامع واتخذ له فيه تكية سنة ١٢٨١ هـ • وبعض الكتب الاخرى أوقفتها عائشة خاتون بنت أحمد باشا الجليلى • (١)

(٦) المدرسة الكمالية القضوية

أبو الفضل محمد بن أبى محمد عبد الله بن أبى القاسم الشهرزورى الملقب كمال الدين الفقيه الشافعى ٤٩٢ - ٥٧٢ هـ = ١٠٩٨-١١٧٦ م من أشهر علماء الدولة الاتابكية ، ومن رجالها المبرزين فى العلم والسياسة • تولى القضاء ، ثم تولى الوزارة لنور الدين محمود •

وكان عظيم الرياسة ، خبيرا بتدبير الملك ، له كلمة مسموعة عند الملوك والخليفة العباسى •

وكان فقيها أديبا شاعرا كاتبا ظريفا ، فكه المجالسة كثير الصدقة والمعروف • اوقف اوقافا كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة •

ومن آثاره فى الموصل أنه بنى المدرسة الكمالية القضوية وأوقفها على الفقهاء الشافعية ، وأوقف لها أوقافا كثيرة للنفقة عليها وعلى من يعلم ويتعلم بها • (٢) ولانعلم موقعها بالضبط • ومن درس فيها •

قاضى القضاة محيى الدين محمد بن كمال الدين الشهرزورى (١٥٠ - ٥٦٨ هـ) تفقه ببغداد ، وولى قضاء حلب ثم قضاء الموصل ، ودرس بمدرسة أبيه وبالمدرسة النظامية فى الموصل • وكان من علماء زمانه المشهورين • (٣)

أحمد بن نصر بن الحسين أبو العباس الانبارى المعروف بالشمس الدنبلى المتوفى سنة ٥٩٨ هـ وكان من علماء الموصل • وكانت له معرفة تامة بالمذهب الشافعى درس بالنظامية والاتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضوية بالموصل • (٤)

---

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٠٥) ومخطوطات الموصل (٨٦-٩١)
(٢) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٢)
(٣) - (٤) السبكى (٤ : ١٠٠ ، ٥٧)

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الاسدى قاضى حلب المعروف بابن شداد الفقية الشافعى ، صاحب التآليف الكثيرة فى الفقه والتاريخ والحديث ، وهو من اشهر علماء الدولتين النورية والصلاحية ، ذكر عنه ابن خلكان انه (حوالى سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م) ثم أصعد الى الموصل فترتب مدرسا فى المدرسة التى أنشأها القاضى كمال الدين أبو الفضائل محمد بن الشهرزورى . وكان قبل هذا معيدا فى المدرسة النظامية ببغداد توفى سنة ٥٩٩ هـ . » (١)

(٧) المدرسة اليوسفية

لم نقف على ذكر من بنى هذه المدرسة وأين بنيت . وأخبارها قليلة جدا . جاء عنها فى الجواهر المضية عند كلامه عن (ابن السمين الموصلى :- ولد فى رمضان سنة ٥٨٧هـ) وكان من فقهاء الحنفية ، ودرس فقه الامام الاعظم ابى حنيفة - رضى الله عنه - بالمدرسة اليوسفية بالموصل على دجلة . » (٢)

ولانعرف موقع المدرسة بالضبط ، والذى نراه ان المدرسة المعروفة فى الموصل بمدرسة الطغرائى هى المدرسة اليوسفية المذكورة وانها نسبت - خطأ - الى الطغرائى الشاعر المشهور ، لاننا لم نقف على نص اولى يذكر ان الطغرائى بنى مدرسة فى الموصل ، او انه درس فى مدرسة ما فى الموصل . وفى السنين المتأخرة نسبت الى الطغرائى من باب الحدس والظن . وان الظن لا يغنى من الحق شيئا .

أعلمنى المرحوم السيد ناظم العمرى ان الشيخ عبد الرحمن أفندى الشيخ عبد الله أفندى بن الشيخ محمد أفندى القادرى النورى

---

(١) وفيات الاعيان (٢ : ٣٥٥) شذرات الذهب (٥ : - ١٥٨)

(٢) الجواهر المضية (٢ : ١٩٨ ، ١٩٩) واورد له هذين البيتين :

الا قاتل الله الفراق فكم رمى صحيح فؤاد بعدكم بسهام
واغطش ليل الوصل بعد ابيضاضه وايامنا محفوظة بسلام

هو أحد من سعى فى عمارة هذه المدرسة بعد ان كانت خرابا، تسكنها عائلة فقيرة، وفيها قبر عليه كتابة غير واضحة ، وبعد ان عمرها أطلق عليها مدرسة الطغرائى فعرفت به وهو خطأ .

(٨) **المدرسة العزية**

بناها عزالدين بن مسعود الاول ابن قطب الدين مودود ٥٥٦ هـ - ٥٨٩هـ قال عنه ابن الاثير : وهو الذى ابتنى المدرسة العزية بباب دار المملكة، وهى مدرسة حسنة ، جعلها للفريقين الحنفية والشافعية ، وقرر للفقهاء ماليس لمدرسة اخرى من الفواكه والحلوى والدعوات فى المواسم والاعياد والتسريج للوقود والفحم وغير ذلك ، وقرر فى وقفها من الصدقات كل أسبوع وفى الايام الشريفة والليالى المباركة شيئا كثيرا ، كما أنه أنشأ له تربة فيها ودفن فى هذه التربة بعد موته . » (١)

وشاهد المدرسة والتربة ابن خلكان ، وقال عنهما عند كلامه عن عز الدين مسعود : « وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة ، وقفها على الفقهاء الشافعية والحنفية ، فدفن فى هذه المدرسة فى تربة فى داخلها - رحمه الله - ورأيت المدرسة والتربة وهى من أحسن المدارس والترب ، ومدرسة ولده نور الدين أرسلان شاه فى قبالتها ، وبينهما ساحة كبيرة . (٢) والمدرسة العزية هى مقام الامام عبد الرحمن ، كما هو مكتوب على باب المرقد . (٣) وأما مدرسة ولده نور الدين ارسلان شاه - النورية - فهى التى تعرف اليوم

---

(١) الباهر (ص : ٣٤٥) الكامل (١٢ : ٤٢)

(٢) وفيات الاعيان (٢ : ٩٥)

(٣) مكتوب فوق باب المرقد : «التوفيق والدولة الدائمة الاتصال لمولانا الملك العادل العالم المؤيد المنصور عز الدنيا والدين ركن الاسلام والمسلمين نصير المجاهدين حافظ بلاد المسلمين شمس المعالى قاهر الخوارج والمرتدين قاتل الكفرة (والمتمردين) المارقين ملك امراء الشرق اتابك مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر »

بمقام الامام محسن • وبينهما ساحة واسعة ، وهى الارض المنبسطة التى كانت بينهما • وبعد ان قضى بدر الدين لؤلؤ على الدولة الاتابكية واراد ان يعفى كل أثر لها ويقاوم حركة العدويين فى الموصل اتخذ فيها مقاما للامام عبد الرحمن • والبناء الذى يضم مقام الامام عبد الرحمن هو نفس البناء الذى بناه عز الدين مسعود ـ كما يستدل من الكتابة التى على باب المرقد ـ • (١)
ولم يبق من المدرسة العزية سوى غرفة واحدة مربعة الشكل فيها مرقد الامام عبد الرحمن وفوق الغرفة قبة مثمنة الشكل كالقباب التى بنيت فى الموصل فى القرنين السابع والثامن للهجرة •

وفى وسطها صندوق ضريح الامام عبد الرحمن وكان فيها محراب من المرمر الازرق مطعم بالمرمر الابيض وحوله كتابات كوفية • وهو على مانرى محراب المدرسة العزية فهو بهذا يرجع الى القرن السادس للهجرة وهو قطعة واحدة من المرمر مسطح الشكل تزينه زخارف نباتية وقسى وعمد منحوتة نحتا بارزا • وفى أعلاه وفى داخله مما يلى العمد كتابة كوفية بارزة أرتفاعها ٢/١٤م وعرضه ٠/٨٩م وعليه كتابات كوفية جميلة من طراز الكتابات الكوفية التى كانت شائعة فى القرن السادس للهجرة • وهى عبارة عن البسملة وصورة الاخلاص • (٢) ويحيط بهذه القبة مقابر كثيرة من جهاتها الاربعة للسادة العلويين وأكثرها للسابلة • ومما لاشك فيه ان هذه المقابر اتخذت فوق الارض التى كانت فناء المدرسة ، وذلك بعد ان أتخذت مشهدا للامام عبد الرحمن وتعطل فيها التدريس •

(٩) المدرسة النورية

بناها نور الدين أرسلان شاه الاول بن عز الدين مسعود الاول (٥٨٩ ـ ٦٠٧) وكان شهما شجاعا شديدا على أصحابه • أعاد هيبة الدولة الاتابكية بعد ان كانت قد تضعضعت فأحبه الشعب كثيرا • ذكر عنه « ومن محاسن أعماله المدرسة التى انشأها بباطن الموصل ـ مقابل دار المملكة ـ

---

(١) ـ (٢) سومر (٧ : ٢١٩) خان مرجان (اللوحة : ٣٨)

وهى من أحسن المدارس واوقف لها الوقوف الكثيرة ، وجعلها وقفا على ستين فقيها من الشافعية ، سوى مافيها من الصدقات الدارة ، والتعهدات للصوفية والفقراء • وكانت المدرسة جميلة للغاية وبنى له تربة فيها • » [1]

ذكر ابن خلكان عند كلامه عنه « وبنى مدرسة للشافعية بالموصل قل ان توجد مدرسة فى حسنها ، وتوفى سنة ٦٠٧ ودفن فى تربته التى بمدرسته المذكورة » • [2]

أما موقع المدرسة فكانت تقابل دور المملكة ـ ولاتزال بقايا هذه الدور موجودة الى اليوم وتعرف بقره سراى • وعلى هذا فالذى نراه ان مقام الامام محسن قد اتخذ فى هذه المدرسة • يؤيد هذا ماذكره ابن خلكان عند كلامه عن مدرسة والده عز الدين مسعود فقال « • • • • ومدرسة ولده نورالدين ارسلان شاه فى قبالتها وبينهما ساحة كبيرة » • [3]

ومدرسة عز الدين مسعود ـ العزية ـ تعرف اليوم بمشهد الامام عبد الرحمن ـ يفصل بينهما وبين المدرسة النورية ـ مقام الامام محسن ـ ساحة واسعة • أدركنا هذه الساحة وهى ارض خالية من العمارة ، تقع فى الميدان الذى كان أمام دور المملكة •

كانت المدرسة كبيرة ومن مدارس الموصل المعدودة وهى فى غاية الحسن والانتظام قل ان يوجد مثلها مدرسة فى الموصل •

ونستدل من وضعها الحالى انه لم يبق من المدرسة المذكورة الا جزء صغير • واما القسم الكبير فقد اتخذ مقابر تحيط بها • كما يتضح لنا من الالواح الرخامية الزرقاء المطعمة بالرخام الابيض والتى لم يزل بعضها موجودا بأن المدرسة كانت مزينة بنقوش وكتابات مختلفة متنوعة مطعمة بالمرمر ولكن أيدى البلى ذهبت بما كان فى هذه المدرسة من نفائس الفن ولم يبق منها سوى لوحين اثنين فقط •

وممن درس فى هذه المدرسة :ـ

---

(١) الباهر (ص : ٣٦٨) ، الروضتين (٢ : ٢٢٧)
(٢) (٣) وفيات الاعيان (١ : ٦٢) (٢ : ٩٥ ، ٩٦)

أبو حامد عماد الدين محمد بن يونس بن منعة (٥٣٥ - ٦٠٨ هـ) ذكر عنه ابن خلكان مايأتي « .... وعاد الى الموصل ودرس في عدة مدارس ..... وكانت اليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية » .[1]

وبقي التدريس مستمرا بها الى القرن الثامن للهجرة . جاء عن الشيخ العلامة السيد ركن الدين حسن بن محمد شرف شاه الحسيني الاسترابادي المتوفى سنة ٧١٥ هـ كان أماما مصنفا عالما بالمعقول اشتغل على النصير الطوسي وحصل منه علوما كثيرة . وصار معيدا في درس أصحابه . وقدم الموصل وولي تدريس المدرسة النورية وفوض اليه النظر في اوقافها . وبها صنف غالب مصنفاته مثل شرح مختصر ابن الحاجب . توفي في الموصل في شهر صفر سنة ٧١٥هـ »[2] . وبعد هذا التاريخ تطوى عنا أخبار هذه المدرسة .

ولم يبق من المدرسة ما يستحق الذكر . ونعتقد ان القسم الذي فيه مشهد الامام محسن هو بناية المدرسة القديمة . أما ما كان يجاورها من مرافق فلم يبق لها اثر . ويحيط بهذا فناء واسع اتخذ أكثره مقابر .

وأما القبة التي فوق المشهد فهي من القباب التي كانت بالموصل في القرنين السابع والثامن للهجرة كقبة الامام عبد الرحمن وقبة الامام الباهر وغيرهما من القباب التي بنيت في هذه الفترة . ولاشك بان قبتها الاصلية سقطت واستعيض عنها بهذه القبة .

وكان أمام الحضرة اروقة ومصلى صغير فترك هذا المصلى واتخذت الاروقة القديمة - قبل بضع سنوات - مصلى تقام به الصلوات الخمس كما اتخذوا فيه منبرا من خشب لصلاة الجمعة .

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٦)

(٢) النجوم الزاهرة (٩ : ٢٣١) بغية الوعاة (ص : ٢٢٨)

(١٠) المدرسة القاهرية

بناها القاهر عز الدين مسعود الثانى بن ارسلان شاه الاول (٦٠٨ـ ٦١٥هـ) وكان كريما حليما قليل الطمع يميل الى الدعة .

ومن آثاره انه بنى المدرسة القاهرية ، وبنى له تربة فى المدرسة ، ودفن فيها بعد موته [١] واول من درس فيها هو كمال الدين بن يونس بن منعة (٥٥١ ـ ٦٣٩) ذكر ابن خلكان عند كلامه عن كمال الدين المذكـــور « ولما توفى أخوه الشيخ عماد الدين محمد ـ المقدم ذكره ـ تولى المدرسة العلائية موضع أخيه . ولما فتحت القاهرية تولاها ، ثم تولى المدرسة البدرية فى ذى الحجة سنة عشرين وستمائة » . [٢]

وجاء عن أبى الفضل أحمد بن كمال الدين موسى بن يونس بن منعة (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ) انه درس فى المدرسة القاهرية سنة ٦١٧هـ . ذكر هذا ابن خلكان عند كلامه عنه « . . . . وتولى التدريس فى مدرسة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل ـ بمدينة أربل ـ وكان وصوله اليها من الموصل اوائل شوال سنة عشرة وستمائة ، ولم يزل عـلى ذلك الى ان حج ثم عاد وأقام قليلا ، ثم انتقل الى الموصل فى سنة سبع عشرة وستمائة ، وفوضت اليه المدرسة القاهرية وأقام بها ملازم الاشتغال والافادة الى ان توفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وستمائة » . [٣] وعلى هذا فان أبا الفضل أحمد بن كمال الدين تولى المدرسة سنة ٦١٧ بعد وفاة والده وبما ان القاهر تولى الملك سنة ٦١٥ فيكون تاريخ بناء المدرسة بين سنتى ٦١٥ ـ ٦١٧ .

وذكر حاجى خليفة عند كلامه عن كتاب « المعرب عما فى الصحاح والمغرب » للشيخ عبدالوهاب بن ابراهيم الزنجانى الخزرجى : وفيه رموز ، أشار بالميم الى المغرب ، وبالصاد الى الصحاح . أتمه فى صفر سنة ٦٣٧ هـ

---

(١) الكامل (١٢ : ١٢١ ، ١٢٢ ١٣٧) البداية والنهاية (٣ : ٧٩ـ٨١)

(٢) (٣) وفيات الاعيان (٢ : ١٣٤) (١ : ٣٢)

في المدرسة القاهرية بالموصل .[1]

أما موقع المدرسة فالذى نراه انها كانت تقع بين المدرسة النورية ـ الامام محسن ـ والباب العمادى . قال ابن الاثير عند كلامه عن القاهر « وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت . حكى لى من كان يلازمه قال : كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده ، فقال : قد وجدت ضجرا من القعود ، فقم بنا نمشى الى الباب العمادى ، قال : فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادى ، فوصل التربة التى عملها لنفسه عند داره ، فوقف عندها مفكرا لا يتكلم ، ثم قال لى والله مانحن فى شيئ اليس مصيرنا الى ها هنا وندفن تحت الارض . . . . . » .[2]

وذكر ابن خلكان ان القاهر دفن فى مدرسته[3] فعلى هذا يكون المدفن (التربة) الذى عمله لنفسه فى المدرسة القاهرية التى بناها . وربما كانت تقع قرب كنيسة الطاهرة للأرثوذكس اليعاقبة . ولم يبق للمدرسة القاهرية أثر فى الوقت الحاضر .

(١١) المدرسة المجاهدية

كانت المدرسة المجاهدية تقع قرب الجامع المجاهدى ـ جامع الخضر ـ فى الوقت الحاضر وكان بناء المدرسة بعد ان انتهى مجاهد الدين من بناء الجامع سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م) .

ولم نقف على نص يهدينا الى موقعها الحقيقى . ونستدل من بعض النصوص انها كانت تقع بجانب الجامع .

ذكر ابن الساعى عند كلامه عن مجاهد الدين « بنى جامعا بظاهر الموصل وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية ورباطا للصوفية ومارستانا للمرضى الى غير ذلك » .

---

(١) كشف الظنون (ص : ٣٨ ، ٧١) (٢) الكامل (١٢ : ١٣٧)
(٣) وفيات الاعيان (ـ : ٩٦)

أما المارستان فقد ذكر ابن جبير انه كان يقابل الجامع وأما المدرسة فلم يذكروا الجهة التى كانت تجاور بها الجامع . وعلى كل فلم يبق من آثار مجاهد الدين سوى الجامع المجاهدى . واما الرباط والمدرسة والبيمارستان والتربة والمكتب فلا اثر لها فى الوقت الحاضر .

(١٢) المدرسة البدرية

بناها ابو الفضائل بدرالدين لؤلؤ بن عبدالله المتوفى سنة (٦٥٧ هـ ١٢٥٨م) وتم بناؤها قبل سنة ٦١٥ هـ . ذكر ابن كثير عند كلامه عن ابى المظفر محمد بن علوان الموصلى (٥٤٢ ـ ٦١٥ هـ) « . . . ثم عاد الى الموصل فساد اهل زمانه فى الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها »[١] . وعلى هذا فالمدرسة البدرية بنيت قبل وفاة ابن مهاجر المذكور (سنة ٦١٥ هـ) .

وممن درس فيها ايضا كمال الدين بن يونس بن منعة . فقد تولى المدرسة البدرية فى ذى الحجة من سنة عشرين وستمائة[٢] . وكان الاثير معيدا عنده بالمدرسة البدرية [٣] وكان ابن باطيش الفقيه الشافعى المشهور (٥٧٥ ـ ٦٤٠) معيدا فى المدرسة البدرية وخازن كتبها[٤] وان بدرالدين لؤلؤ بنى المدرسة البدرية فى قلعة الموصل على انقاض مسجد كان قد بناه فى اوائل القرن الرابع للهجرة ـ الحسين بن سعيد بن حمدان بن حمدون التغلبى ودفن فيه بعد موته .

وفى سنة ٦٣٧ هـ شيد بدرالدين لؤلؤ مشهدا للامام يحيى بن القاسم فى هذه المدرسة وكان يعرف بالمشهد او مشهد الامام يحيى بن القاسم[٥] .

ولا تزال قبة المشهد التى شيدها بدر الدين لؤلؤ باقية الى اليوم ، وهى تعد من انفس العمارات التىوصلتنا من القرن السابع للهجرة.وان بدرالدين

---

(١) البداية والنهاية (١٣ : ٨٢) (٢) ، (٣) وفيات الاعيان (٢: ١٣٤)
(٤) وفيات الاعيان (١ : ٣٦٦) التكميل (ص : ١٧ م)
(٥) كفاية الطالب (ص : ١)

لؤلؤ دفن فى المشهد المذكور بعد وفاته .

ذكر ابن الفوطى فى حوادث سنة ٦٥٦ عند كلامه عن بدرالدين لؤلؤ ما يأتى : « توفى بها ـ الموصل ـ فى شعبان بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل ، كان قد توجه الى السلطان « هولاكو » بعد واقعة بغداد ايضا ، فانعم عليه واعاده ، فلما دخل الموصل مرض اياما ومات وعمره ثمانون سنة ، ملك الموصل خمسين سنة ودفن بالقلعة ثم نقل الى مدرسة انشأها على شاطىء دجلة تعرف بالبدرية »(١) .

ونعتقد ان الامر التبس على ابن الفوطى . فالمدرسة البدرية تقع فى القلعة كما ان المشهد الذى اتخذه بدر الدين لؤلؤ يقع فى نفس القلعة وفى المدرسة البدرية نفسها .

يؤيد هذا ما ذكره ابن خلكان عند كلامه عن بدر الدين لؤلؤ قال « واما الامير بدر الدين لؤلؤ المذكور فانه توفى يوم الجمعة ثالث شعبان سنة سبع وخمسين وستمائة بقلعة الموصل ، ودفن فى مشهد هناك وعمره مقدار ثمانين سنة »(٢) .

وعلى هذا فان بدر الدين لؤلؤ توفى فى قلعة الموصل ، ودفن فى المشهد الذى كان قد بناه فى هذه القلعة .

فبدرالدين لؤلؤ بنى المدرسة البدرية على انقاض مسجد الحسين بن سعيد بن حمدان التغلبى ، ثم بنى المشهد فى المدرسة البدرية ، ثم دفن هو فى المشهد بعد وفاته(٣)

تقع المدرسة البدرية فى شمال الموصل تشرف على نهر دجلة وما يحيط به من حقول وبساتين ، وتحتها عين الكبريت التى يستشفى اهل الموصل بمياهها من الامراض الجلدية ، وموقعها هذا من انزه الاماكن فى الموصل .

---

(١) الحوادث الجامعة (ص : ٣٣٧) (٢) وفيات الاعيان (١ : ٥٩)

(٣) اعلمنى بعض المعمرين من اهل الموصل انهم شاهدوا قبرا فى الفناء الخارجي من المشهد على يمين الداخل اليه ، يذكرون عنه انه قبر بدر الدين لؤلؤ .

ولم يبق من المدرسة سوى المشهد الذى كان فيها ، وهو من انفس العمارات التى شيدت فى العصر الاتابكى لما يحويه من النقوش والزخارف والكتابات المتنوعة فى داخل البناء وخارجه • والمشهد عبارة عن غرفة مربعة الشكل ، يعلوها قبة مرتفعة غنية جدا بزخارفها ونقوشها وكتاباتها ، وهى تستند على مقرنصات مزينة بزخارف هندسية بعضها بالجبس وبعضها بالآجر تدل على مدى ما كانت عليه الريازة من التقدم اذ ذاك •

ويعلو هذه القبة قبة اخرى كانت مبنية بالآجر الازرق المزلج • يفصل بين القبتين فراغ ، وهذه القبة الخارجية هى التى حفظت القبة التى فوق الحضرة وما فيها من زخارف ونقوش وكتابات •

والقبة تشبه القبة التى كانت فوق مصلى الجامع النورى والتى شيدت سنة **٥٦٨** هـ الا ان قبة المشهد تمتاز بكثرة المقرنصات المزخرفة التى تكون من اول القبة الى نهايتها وتشبه قبة المشهد ايضا قبة الامام عون الدين بن الحسن التى بناها بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤٦ هـ - **١٢٤٨**م• فهاتان القبتان هما من اجمل القباب التى وصلتنا من عمارات القرن السابع للهجرة ، وهما تحتاجان الى صيانة ما تلف من زخارفهما ونقوشهما وما انهدم من جوانبهما، وخاصة قبة الامام عون الدين بن الحسن فانها بحاجة ماسة الى صيانة قبتها الخارجية والداخلية[١] •

ويحيط بأسفل جدران الحضرة من الداخل افريز من الرخام الازرق المطعم بكتابات ، يعلوها افريز آخر مزين بازهار واوراق بارزة فى الرخام • وهى جميلة للغاية ، وفى جهة القبلة من الحضرة محراب نفيس من المرمر الازرق القاتم اللون مزين بزخارف نباتية متشابكة ومتنافرة ويتدلى فى وسطه قنديل بارز •

والواجهة الشمالية من المشهد مزينة بزخارف وكتابات كوفية ، وقد

---

(١) انظر عن مشهد يحيى بن القاسم : منية الادباء (ص : ١٠٦ ، ١٠٧) سومر (٦ : ١٩٩ ، ٢٠٠) مجموع الكتابات (ص : ١٤١ - ١٤٣)

تلف قسم من الكتابات وما سلم منها بحاجة الى صيانة .

وفي وسط غرفة المشهد صندوق نفيس من خشب الساج وعليه زخارف نباتية وزهرية وكتابات نسخية بارزة وسطر من الكتابات الكوفية وهي في غاية الجمال ، يعلوه قفص من الخشب امر بصنعه بدر الدين لؤلؤ بعد ان انتهى من بناء المشهد وكتب عليه « هذا قبر يحيى بن القسم بن الحسن بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين . وتطوع بعمله العبد الفقير الراجي رحمة ربه لؤلؤ بن عبدالله ولي آل محمد . سنة سبع وثلاثين وستمائة » .

(١٣) المدرسة المهاجرية

من الاسر العلمية التي اشتهرت بالموصل في العهد الاتابكي هم ابناء مهاجر ، وبنوا دار حديث وفوقها مدرسة[١] .

والذي بنى المدرسة علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر[٢]

ونقل ابن الدبيثي ان الذي بنى المدرسة هو محمد بن علوان (٥٤٢ – ٦١٥) فلعله شارك اباه في البناء او انه جدد عمرانها بعد ذلك . وكان يدرس بها وبمدارس اخرى في الموصل وساد اهل زمانه بعلمه وصلاحه .

ولا نعلم متى بنيت المدرسة ، وان دار الحديث المهاجرية كانت مبنية في سنة (٥٥٢ هـ – ١١٥٧م) وعلى هذا فان المدرسة بنيت بعد هذا التاريخ .

نقل ابن ابي اصيبعة عن موفق الدين عبداللطيف البغدادي قال : « . . . ودخلت الموصل سنة ٥٨٥ هـ فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت بها الكمال بن يونس . . . فأخترت مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار الحديث التي تحتها ، وأقمت في الموصل سنة »[٣] . والذي نراه ان دار الحديث المهاجرية كانت في مسجد الملاحسن وهو المسجد المعروف في الوقت

---

(١) انظر (ص : ١٠١) (٢) السبكي (٥ : ٣٢)

(٣) عيون الانباء (٢ : ٢٠٤)

الحاضر بمسجد شط الجومى ، وان المدرسة المعلقة كانت فوقها[١] •

والمسجد المذكور على هيئة المدرسة وهو فى اللحف الشرقى لتل قليعات فيحتمل انه بعد خراب دار الحديث المهاجرية اتخذ مسجدا للصلاة وهو فى الوقت الحاضر مسجد صغير •

(١٤) مدرسة ام الملك الصالح

الملك الصالح : هو اسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر • جاء عنه انه مرض سنة ٥٧٧ هـ ـ ١١٨٠ م بالقولنج وتوفى ، وسار عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود الى حلب ، وصعد القلعة واستولى على خزائنها وذخائرها ، وتزوج ام الملك الصالح فى خامس شوال من السنة المذكورة ثم عاد الى الموصل[٢] •

فأم الملك الصالح هى زوجة نور الدين محمود بن عماد زنكى ثم تزوجها عزالدين مسعود ونقلها معه الى الموصل •

ذكر ابن الاثير عند كلامه عن دور المملكة ما يأتى : واول من بنى بالقرب من دار المملكة الامير ناصر الدين بوزى بن جقرمش (جكرمش) فانه طلب من الشهيد ـ عماد الدين ـ ان يأذن له ليبنى دارا قريبا من خدمته ، فأجابه الى ذلك وامره ان يبنى بمكان يكون بينه وبين القلعة مقدار حجر المنجنيق ، فبنى داره الاولى ، وهى اليوم مدرسة وقفتها ام الملك الصالح[٣] •

وعلى هذا فان المدرسة كانت تقع فى الارض القريبة من الميدان الذى كان امام دور المملكة ونحن نرجح بانها كانت تقع قرب الامام عبدالرحمن •

(١٥) المدرسة النفيسية

لا ندرى من الذى بنى هذه المدرسة ، وقد عثرنا على عدة نصوص

---

(١) مجموع الكتابات (٦٩ـ٧٠)

(٢) سيرة صلاح الدين (ص : ٤٤) مرآة الزمان (٨: ٢٣٤)الباهر (ص : ٣٣١ ، ١٣٠)

(٣) الباهر (ص : ١٣٠)

تذكر وجود المدرسة النفيسية • وممن درس فيها عماد الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٠٨ هـ[١] • اذا فقد كانت المدرسة قبل هذا التاريخ • ومما لاشك فيه ان بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيها مقاما للست نفيسة كما اتخذ فى غيرها مقامات ، وفى الموصل عدة اماكن تسمى باسم الست نفيسة •

ففى محلة باب السراى دار فيها محراب وهى موقوفة ، وتسكنهـــا عائلة فقيرة يروى انها كانت مدرسة يدرس فيها • ومقابل حمام السراى بناء قديم متصل بمسجد حمام السراى وهو على شكل المدرسة وفيه محراب يقابل الداخل اليه ، وقد اتخذ فيه مقام للست نفيسة ايضا • والذى نراه انها كانت مدرسة ثم اتخذت مقاما للست نفيسة •

وذكر صاحب منهل الاولياء عند كلامه عن مقام الست نفيسة : انـه يوجد مكان آخر قريب من السور فى مسجد قديم ومكان آخر قريب من السوق ، ومكانان آخران وليس فيهما قبور وكلها مقامات للست نفيسة • ومن المحتمل ان المدرسة كانت فى احد هذه الامكنة •

(١٦) المدرسة العلائية

لا ندرى من اسس هذه المدرسة [٢] • جاء عن عمـاد الدين بن يونس (٥٣٥-٦٠٨) انه « كانت اليه الخطابة فى الجامع المجاهدى ، مع التدريس فى المدرسة النورية والعزية والزينية والنفيسية والعلائية » [٣] • فالعلائية اذا كانت مبنية قبل سنة ٦٠٨ •

وجاء عن اخيه كمال الدين بن يونس « ولما توفى اخوه عماد الدين ــ المقدم ذكره ــ تولى الشيخ المدرسة العلائية موضع اخيه ، ولما فتحت القاهرية تولاها ، ثم تولى المدرسة البدرية فى ذى الحجة سنة ٦٢٠ هـ » [٤] •

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٦) (٢) سومر (١٠ : ١٠٦)

(٢) لعل الذى بناها هو علاء الدين خرمشاه بن مسعود بن مودود. (مخطوطات الموصل : ص ١٠)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٦٧)

(٤) وفيات الاعيان (٢ : ١٣٤) ، السبكى (٥ : ١٦١)

(١٧) مدرسة ابن بلدجى

تقدم الكلام عن ابناء بلدجى[١] والذى بنى المدرسة ودرس فيها هو ابو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجى الموصلى (٥٤٣ – ٦٢٣هـ) وتخرج على يده اولاده وغيرهم من الطلاب الذين كانوا يدرسون بها • وصار اولاده من بعده من علماء الحنفية البارزين وتركوا مؤلفات قيمة فى فقه المذهب الحنفى[٢] ولا اثر للمدرسة فى الوقت الحاضر •

(١٨) باب المسألات :

جاء فى الانتصار للاولياء عند كلامه عن النبى دانيال « وهو فى مسجد قديم من بناء المتقدمين والآن مهجور لا يصلى فيه يسميه العامة باب المسهلات لتسهيل الامور المتعسرة فيه » • وعلى هذا فالذى نراه انه كان فى النبى دانيال مدرسة مشهورة وان باب المسهلات محرف عن باب المسألات •

جاء فى منهل الاولياء عند كلامه عن بنجة على « وفى الموصل مكان آخر يسميه العوام باب المسألات يزورونه ويقولون انه كان هناك مدرسة لبعض العلماء الصالحين كانت تأتيه الناس للسؤال وكشف المعضلات » •

وفى اللحف الغربى من تل قليعات جدار قديم ، فى دار مبنية فى لحف التل المذكور يسمونه باب المسألات ، ويزوره الناس ويتبركون به ، ويدعون كما قال العمرى انه كان من الاماكن المقصودة فى الموصل • ونحن نرجح انها كانت مدرسة مقصودة من الناس ثم صار لها صبغة دينية فصارت محلا يزار للتبرك وبقيت على هذا •

على ان المساجد لم تخل من حلقات علمية وخزائن كتب موقوفة فيها• ومن المساجد التى وقفنا على وجود تدريس فيها هو مسجد العماد بن الجلادين وكان به خزانة كتب موقوفة على أهل العلم •

وممن درس به ثابت بن قرة الحاوى وقد أخذ عنه محى الدين بن العربى عندما كان فى الموصل سنة ٦٠١ هـ وذكر ابن العربى انه قرأ عليه من كتبه تآليفه ووقفها ثابت بروايتها بمسجد العماد بن الجلادين بالموصل•[٣]

---

(١) (٢) انظر (ص : ٩٨ ، ٩٩)

(٣) جامع كرامات الاولياء (١ : ١٢٢)

وجاء عن علي بن خليفة بن علي النحوي المعروف بابن المنقى وهـو من اهل الموصل انه توفي سنة ٥٦٢هـ وكان اماما فاضلا تأدب عليه اكثر أهل عصره من أهـل بلده • وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) بالموصل[١] • ولعله مسجد النبي جرجيس الذي توسع فيما بعد وصار جامعا •

وجاء عن الشيخ المقرى ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن بركـة الكتبي انه كان له مسجد بالموصل يعرف به ، وكان يحدث في مسجده هذا وممن اخذ عنه الرسعني الكنجي[٢] •

٣ ـ دور الحديث

دار الحديث المهاجرية

انشأها ابو القاسم علي بن مهاجر بسكة أبي نجيح في الموصل •ولم نقف على سنة تأسيسها • والذي نراه انه كان في النصف الاول من القرن السادس للهجرة ـ فقد تولى مشيختها ابو اسحاق البرني المتوفى ٥٥٢هـ [٣]

وأقام بها سنة ٥٨٥ هـ عبد اللطيف البغدادي سنة كاملة • وكان يدرس على العلامة كمال الدين بن يونس •

وممن تولى مشيخة الدار المذكورة سنة ٦٢٣ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الرسعني القرشي • وكان يحدث في فضائل آل البيت وذلك على عهد بدرالدين لؤلؤ[٤] •

دار الحديث المظفرية

بناها مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل المتوفى سنة ٥٤٩ هـ • وممن تولى مشيخة الدار المذكورة : عبد القادر بن عبد الله بن عبـد الرحمن الرهاوي (٥٢٦ ـ ٦١٢) ولد بالرها ونشأ بالموصل وتنقل في البلاد ثم عاد الى الموصل وأقام بها بدار الحديث المظفرية مـدة يحدث ••• ثم مات بحران[٥] •

---

(١) معجم الادباء (١٣ : ١٥) (٢) كفاية الطالب (ص : ٢٦٠)
(٣) ، (٤) شذرات الذهب (٥ : ١٠٠) مناقب الامام علي (ص:٢٠١)
(٥) شذرات الذهب (٥ : ١٠٠)

وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن باز المحدث الموصلي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ فانه ولي مشيخة دار الحديث التي بناها صاحب اربل بالموصل .[١]

٤ ـ الرباطات

رباط سيف الدين غازي

جاء عن سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ ـ ٥٤٤) انه بني رباطا للصوفية على باب المشرعة ووقف عليه وعلى المدرسة الوقوف الكثيرة .

ويذكر العمري في منهل الاولياء عند كلامه عن قره سراي (دور السلطان) .. وتحته بمسافة خانقاه للصوفية ولم تزل الخانقاه موجودة الى اليوم وهي التي تعرف بمقام عيسى دده وتقع على نهر دجلة على باب المشرعة .

الرباط الزيني

بناه زين الدين أبو الحسن علي كجك بن بكتكين صاحب أربل المتوفى سنة ٥٦٣ هـ ولانعلم موقع هذا الرباط ومن تولاه .

رباط ابن الشهرزوري

لاندري من الذي بنى هذا الرباط ـ ولعل الذي بناه هو كمال الدين بن الشهرزوري (٤٩٢ ـ ٥٧٢) الذي بنى المدرسة الكمالية القضوية . فقد ذكر عنه المؤرخون « ووقف أوقافا كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق » .[٢]
وجاء عن ولده محي الدين بن كمال الدين الشهرزوري (٥١٠ ـ ٥٨٦) ذكر ابن الدبيثي انه دفن في داره بمحلة القلعة ثم نقل الى تربة عملت له ظاهر البلد . وذكر ابن خلكان « ...ثم تحققت ذلك فوجدته كما قال ابن الدبيثي وتربته خارج باب الميدان بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات .[٣]

فلعلهم اتخذوا التربة في الرباط المذكور . ومما يجعلنا نميل الى هذا

---

(١) شذرات الذهب (٥ : ١٠٠) (٢) ، (٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٣٥) (١ : ٤٧٤)

ما ذكره ابن خلكان عند كلامه عن « ابى العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الاربلى الفقيه الشافعي وممن تخرج عليه ابن أخيه عز الدين أبو القاسم بن عقيل بن نصر (٥٣٤ - ٦١٩) قال - فانتقل عز الدين الى الموصل وسكن ظاهر الموصل فى رباط ابن الشهرزورى وقدر له صاحب الموصل راتبا ولم يزل هناك حتى توفى » (١)

فان صح هذا فان رباط ابن الشهزورى كان يقع قريبا من رباط قضيب البان الموصلى .

الرباط المجاهدى

جاء عن مجاهد الدين قيماز (- ٥٩٥) أنه بعد ان بنى الجامع المجاهدى بنى الرباط والمدرسة والبيمارستان وكلها متجاورات .

فبناء الرباط كان بعد سنة ٥٧٦ هـ وهى السنة التى انتهى فيها من بناء الجامع .

ويظهر لنا مما ذكره المؤرخون ان الرباط والمدرسة والبيمارستان كانت مجاورة للجامع المجاهدى - وهى فى الربض الاسفل من الموصل .

ذكر ابن الساعى عند كلامه عن مجاهد الدين قيماز (.... بنى جامعا بظاهر الموصل وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية ورباطا للصوفية ومارستانا للمرضى . (٢)

رباط درب دراج

درب دراج محلة فى وسط الموصل وقد تقدم الكلام عنها . وكانت دار أبى السعادات مجد الدين بن الاثير فيها . اتخذها رباطا ودفن فيه ، ووقف أملاكه على هذا الرباط وعلى قصر حرب .(٣)

ذكر ابن خلكان عنه أنه توفى سنة ٦٠٦ ودفن برباطه بدرب دراج داخل الموصل . ولانعلم موقع هذا الرباط - يرى الدكتور داود الجلبى

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ١٧١) (٢) الجامع المختصر (٩ : ٨ ، ٩)
(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٤١)

ان الرباط كان في الموقع المسمى اليوم بدوسة علي ـ قنطرة الامام علي ـ لان الموقع المذكور في درب دراج وبقربه مقبرة ربما كانت المقبرة التي دفن فيها ابن الاثير • يؤيد هذا انه كان يقابل دوسة علي من الشرق مسجد صغير يفصل بينهما شارع[1] ويقابلها من الشمال مرقد يسمى الصالح بن الصالحين وقد اتخذ دارا في الوقت الحاضر ولم يزل المقام موجودا •

والذي نراه ان المسجد والمرقد كانا يتممان مقام دوسة علي ومايجاورها من المقابر • وانها كانت رباط ابن الاثير المذكور •

رباط قصر حرب

اول من بنى هذا القصر جعفر بن ابي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ •

ذكر أبو زكريا الازدي عن قصر حرب في حوادث سنة ١٤٥هـ وفيها عزل أبو جعفر المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل ـ ثانية ـ وولى ابنه جعفر بن أبي جعفر المنصور فبنى القصر المشرف على قطائع بني وائـــل في الربض الاسفل وسكنه • وفي هذا القصر ولدت له زبيدة ابنته • وكان على شرطته بالموصل حرب بن عبد الله الرويدي صاحب الحربية ببغداد واليه ينسب وكان حرب هذا في ألفي فارس مقيما بالموصل على روابضها •

وكان جعفر بن أبي جعفر الوالي على الصلاة والاحداث والاعمال•

ويذكر ابن الاثير المتوفى سنة (٦٣٠) عن قصر حرب « فهو يعرف الى اليوم بقصر حرب وفيه ولدت زبيدة بنت جعفر وزوجة الرشيد • وعنده يومنا هذا قرية كانت ملكا لنا فبنينا رباطا للصوفية • ووقفنا عليه القرية وقد جمعت كثيرا من هذا الكتاب ـ الكامل ـ في هذه القرية في دار لنا بها ، وهي من انزه المواضع واحسنها واثر القصر باق الى الآن »[2] وعـــلى هذا فالذي انشأ الرباط هو ابن الاثير •

---

(١) هو مسجد محمد بن طلي هدم سنة ١٩٥٢ عندما فتح شـــارع الفاروق ، انظر عنه (مجموع الكتابات • ص : ١١٧)

(٢) الكامل (٥ : ٢٣١)

ويذكر ابن خلكان عند كلامه عن أبي السعادات بن الاثير « وأنشأ رباطا بقرية من قرى الموصل تسمى قصر حرب ووقف املاكه عليه وعلى داره التي يسكنها في الموصل » .[1]

وقصر حرب يقع قرب الزكروطيه ، ولم تزل بقايا القصر موجودة .

رباط الشيخ قضيب البان

بنى الرباط أبو عبد الله الحسين قضيب البان بن أبي ربيعة عيسى بن أبي الخضر يحى الحسنى الموصلي . (٤٧١ - ٥٧٣) كان من مشائخ القرن السادس للهجرة . وكان الرباط يقع بالمعلاة ظاهر المدينة خارج باب سنجار يجاور مقبرة المعافى بن عمران الموصلي .

وكان تحت الرباط بستان واسعة للشيخ قضيب البان - والذي نراه ان الارض المنبسطة الواسعة التي تقع جنوب مسجد قضيب البان والتي تسمى أرض « الصينية » هي الارض التي كانت عليها بستان الشيخ قضيب البان .

« بعد وفاته دفن في رباطه هـذا . وقبره في حجرة تجاور المصلى من الجهة الغربية .[2]

وفي سنة ١٩٥٧ هدمت مديرية الاوقاف العامة المسجد المذكور وهي جادة في بنائه جامعا كبيرا .

٥ - المراقد والمشاهد

الخثعمي

هو من الصحابة الذين دفنوا في الموصل . ذكر الهروي : وظهر داخل الميدان بعض الصحابة لم أعرف أسمه والله اعلم .[3] وموقع قبر الخثعمي هو قريب من الميدان في اللحف الجنوبي للتل الذي يقع عليه مشهد الامام الباهر .

---

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٤١)

(٢) لنا بحث عن قضيب البان ومسجده هذا في سومر (٨ : ٩٩ - ١٠٦)

(٣) الزيارات (ص : ٧٠)

وممن دفن من الصحابة ـ في الموصل ـ من ختعم هما : عبد الرحمن الختعمي ـ كان من انصار الامام علي وقتل قريبا من الموصل .[1] وكريم بن عفيف الختعمي : كان من أنصار الامام علي أيضا . وعفا عنه معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الامام علي ونزل الموصل وتوفي فيها .[2]

فلعل قبر الختعمي الذي يسميه العامة ـ الشيخ عامر ـ هو قبر أحد الصحابيين المذكورين .

وعلى القبر قبة ـ في الوقت الحاضر ـ تسمى قبة الختعمي او قبة الشيخ عامر . وهي خالية من الكتابة . داخلها قبر ينزل اليه بعدة دركات ويسميه العامة (ابو الحواوين) واذا مرضت فرس فانهم يدورونها حول القبة لتشفى . ويدعون انه كان من سعاة رسول الله (ص) وهذا غير ثابت . والذي نراه ان المدفون فيه هو احد الختعميين كما ذكرنا آنفا .

مرقد الشيخ ابراهيم المهراني الجراحي

كان صاحب قلعة الجراحية ومن أتباع الشيخ عدي بن مسافر الهكاري يحضر عنده السماعات التي كان يقيمها الشيخ عدي بلالش ويحبه حبا شديدا .[3]

والمسجد المعروف بالامام ابراهيم هو من تعمير الامير ابراهيم المذكور. واتخذ بجانبه تربة لزوجته حسنة خاتون بنت القرابلي وذلك سنة ٤٩٨ هـ ثم ان الشيخ ابراهيم دفن فيه بعد موته وعرف بمسجد الشيخ ابراهيم المهراني الجراحي كما هو مكتوب على باب التربة . ثم ان بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيه مشهدا للامام ابراهيم المجاب بن جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما هو مكتوب على شباك الغرفة الغربية منه .

ويظهر ان بدر الدين لؤلؤ جدد المسجد والتربة وزينهما بالرخام المطعم والكتابات المختلفة وأبقى الباب الخشبي الثمين الذي كان في المسجد

---

(١) ، (٢) الكامل (٣ : ٣٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦)

(٣) قلائد الجواهر (ص : ٨٦ ، ٨٧)

والذى عليه كتابة تشير الى صنعه فى سنة ٤٩٨ والباب يتألف من مصراعين مساحة المصراع الواحد منهما (١٩٣ × ٤٥ سم) والمصراعان غنيـــان بالكتابات الجميلة وهى آيات من القرآن الكريم • صنعه الاستاذ نورى بن يونس كما هو مكتوب عليه • ووصلنا هذا الباب سالما • نقلته مديرية الاثار القديمة العامة وحفظته فى القصر العباسى ببغداد[١] وهو من أجمل الابواب التى وصلتنا من القرون الوسطى •

كما ان فى المرقد حجرا أسود مساحته (٣٣ × ١٥ سم) • منقوش عليه صورة الكعبة المشرفة ومكتوب حوله (بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت (الى) مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)• وتحتها : هذا المسجد الذى عمره الامير ابراهيم الجراحى • وهذه التربة المجاورة له تربة حسنة خاتون بنت القرابلى[٢] رحمة الله عليهما وعلى ابراهيم الجراحى ـ عمل عبدالرحمن بن ابى حمزة ، نقلته مديرية الآثار القديمة العامة الى بغداد ، وحفظته فى متحف الآثار العربية ـ خان مرجان ـ[٣]

مرقد الفتح الموصلى

أشتهر فى الموصل عابدان باسم الفتح ـ أحدهما الفتح بن سعيد الزاهد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ والثانى الفتح بن محمد بن وشاح الازدى المتوفى سنة ١٧٠ هـ •[٤]

ويذكر الازدى فى حوادث سنة ١٦٥ توفى الفتح بن محمد بن وشاح الموصلى • وعند وفاته غلقت الاسواق وخرجوا مثل يوم العيد يبكون ويصرخون وكان أهل القرى يأخذون من تراب قبره فيذهبون به الى منازلهم •

وذكر ياقوت عند كلامه عن الكار ـ وكار ايضا قرية مقابل الموصل من شرقيها قرب دجلة ينسب اليها أبو محمد الفتح بن سعيد الكارى الموصلى •

---

(١) سومر (٥ : ٦٠) وصف الباب المذكور

(٢) ، (٣) دليل متحف الاثار العربية ـ لوحة : ٣٦

(٤) منية الادباء (ص : ١١٧)

وكان زاهدا من أقران بشر الحافى والسرى السقطى مات سنة ٢٢٠ •وليس بفتح بن محمد بن وشاح الموصلى[١] •

ويذكر الهروى ان فى جبانة الموصل قبر الشيخ فتح الكارى وقبر الشيخ فتح الموصلى وهو من كبار الاولياء[٢] فكلاهما مدفون فى جبانة الموصل •

وكثيرا ما تختلط أخبارهما فى كتب السير والتاريخ فتنسب أعمال أحدهما الى الآخر والذى نراه ان المدفون فى المرقد المشهور ـ بمرقد الشيخ فتحى ـ هو الفتح بن محمد بن وشاح الموصلى الازدى وهذا هو المتواتر عند أهل المدينة • وسميت المحلة المجاورة له بمحلة الشيخ فتحى • وحوله مقابر كثيرة تحيط به وهى من مقابر الموصل منذ العهد الاتابكى ودفن بها ابو بكر الهروى وغيره •

مرقد العناز

جاء عنه فى منهل الاولياء : الشيخ عناز الاسود هكذا يقول الناس انه اسود حبشى كان يسكن الموصل • من اهل العصر الاول[٣] •

ويذكر بعضهم أنه كان يسكن مسجد الشالجى ـ مسجد أبى حاضر ـ وهو من مساجد الموصل القديمة التى تسمى (مساجد الصوفية) • وجدت حاشية فى تاريخ الموصل للازدى يذكر فيها : وجد على فرشة ـ رخامة ـ مكتوبا على قبر بصحراء عناز تجاه باب العراق : هذا قبر الشيخ الصالح عناز بن حماد المدنى النابى موقف هذه الجبانة • توفى سنة سبع وتسعين ومائة •

فالعناز هو الذى أوقف الجبانة التى تحيط بقبره فى الوقت الحاضر • وكانت من مقابر الموصل فى العهد الاتابكى ودفن فيها كثير من أعلام الموصل• ويظهر لنا مما جاء فى الحاشية المذكورة ايضا ان القبر كان قد اندرس

---

(١) معجم البلدان (٧ : ٢٠٤)
(٢) الزيارات (ص : ٧٠)
(٣) انظر عنه : منية الادباء (ص : ١١٤)

وانه ظهر لهم فى صفر سنة اثنتين وستين وخمسمائة فبنوا عليه قبة • وجدد القبة فى شعبان سنة ٦٠٥ محمد بن أبى طالب بن على العلوى • وجددها بعد هذا سنة ٦٥٧ سعد الدين سنبك البدرى دزدار قلعة الموصل •

وحالة القبة فى الوقت الحاضر غير مرضية قد اوشكت على الانهدام ـ يحيط بها مقابر كثيرة •

مرقد الخلال

يقع فى محلة الميدان منسوب الى محمد بن حسن بن عشائر الخلال المتوفى سنة ٦٣٦ هـ وينتهى نسبه بأبى بكر الصديق • ودفن بمسجده بعد موته ، وقبره فى غرفة على يسار الداخل الى المصلى ، جددت عمارته سنة ١٠٢٩ وجدد بعد ذلك فى فترات متباينة ولم يزل هذا المسجد عامرا تقام به الصلاة •(١)

مرقد الشيخ محمد الغزلانى

هو محمد بن على بن خضر بن أحمد بن جرجيس بن محمد بن سليمان الموصلى الطائى الغزالى المعروف بالغزلانى تخرج بصحبة السيد أحمد الرفاعى الكبير بام عبيدة • ثم عاد الى الموصل فسكن فى مغار بسفح التل المعروف باسمه ، واشتهر بالتصوف توفى سنة ٦٠٥ معمرا • ودفن فى رباطه الذى اتخذه فى الغار المذكور •

وولده أحمد بن محمد الغزالى ، تخرج بالشيخ عبد الملك بن حماد الموصلى الرفاعى • وروى عنه الحزب الاعظم ، وكان من أعيان المشائخ الصالحين توفى سنة ٦٢٠ هـ •

ومرقد الشيخ الغزلانى داخل مسجد تحت (تل الغزلانى) وهو مدفون فى غرفة عليها قبة متداعية ، كان قد بناها على قدوم باشا والى الموصل سنة ١٠٩٥ ثم جددت سنة ١١٤٨

وعلى يمين المصلى غرفة صغيرة يصعد اليها بعدة درجات ، داخلها دكة

---

(١) منية الادباء (ص : ١١٨) ، مجموع الكتابات (ص : ٦٨،٦٩)

منحوتة من المرمر • وفي الجهة القبلية منها محراب صغير مكتوب فوقه «الله» •

ويقابل الداخل الى المسجد نفق يمتد تحت تل الغزلاني ، حدث من جريان مياه الامطار ، وهو نفق واسع يضيق كلما سرنا فيه • (١)

مرقد عمر المولى

الشيخ عمر بن محمد الملاء هو شيخ نور الدين محمود زنكي ، كان يسكن الموصل ، وهو الذي أشرف على بناء الجامع النوري ، وقد تقدم الكلام عنه • وهو مدفون في مسجد يقع في المحلة التي سميت باسمه (محلة الشيخ عمر) •

تحيط بالمسجد مقابر كثيرة اكثرها للسابلة • والمسجد في الوقت الحاضر خال من الكتابة والزخارف وكان المرحوم محمد باشا الصابونجي قد جدد بناءه(٢) •

مشهد النبي يونس

من المشاهد الكبيرة التي يقصدها أهل الموصل ـ للتبرك والصلاة بـه •(٣)

وهو من المساجد القديمة التي أسسها المسلمون بعد فتح الموصل • ثم اخذ يتوسع على مر السنين • ويذكر عنه المسعودي انه (سنة **٣٣٢** هـ) كان مسجدا يأوي اليه النساك والزهاد والعباد ثم صار يعرف بمسجد التوبة لوقوعه فوق « تل توبة » •

وفي اواخر القرن الرابع للهجرة بنته الاميرة جميلة الحمدانية « أخت ناصر الدولة الحمداني » • وبنت الى جنبه دورا للمجاورين واوقفت عليه أوقافا جليلة وصار يعرف « بمسجد يونس » •

---

(١) منية الادباء (ص : ١١٥ ، ١١٦) روضة الناظرين (ص:١٣٣)
(٢) مجموع الكتابات (ص : ١٥٨ ، ١٥٩)
(٣) جامع النبي يونس في مختلف العصور (سومر : ١٠ : ٢٥٠ ـ ٢٦٦)

وفى القرن السادس للهجرة صار رباطا كبيرا يضم دورا وسقايات ومطاهر • وصار به محل مقدس ينسدل عليه ستر وينغلق عليه باب مرصع وهو المحل الذى وقف به النبى يونس • وكان أهل الموصل يقصدونه للزيارة ويباتون به ليلة الجمعة •

وزاره الرحالة الاندلسى ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ وبات فيه كما تطهر بعين يونس ـ الدملماجه ـ وصلى بالمسجد الذى كان متصلا بها • وقال فى وصفه : ومما خص به هذه البلدة الى الشرق منها • اذا عبرت دجلة نحو الميل « تل توبة » وهو التل الذى وقف به يونس ـ عليه السلام ـ بقومه ، ودعاودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب ، وبمقربة منه على قدر الميل أيضا العين المباركة المنسوبة اليه ، ويقال انه أمر قومه بالتطهر فيها وأظهار التوبة ، ثم صعدوا على التل داعين ، وفى هذا التل بناء عظيم هو رباط يشمل على بيوت كثيرة ومقاصير ومطاهر وسقايات ، يضم الجميع باب واحد ، وفى وسط البناء بيت ينسدل عليه ستر وينغلق دونه باب كبير مرصع كله ، يقال انه كان الموضع الذى وقف فيه يونس ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومحراب هذا البيت يقال أنه كان بيته الذى كان يتعبد فيه • ويطيف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظما • فيخرج الناس الى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه • وحول هذا الرباط قرى كثيرة • »

ثم توسع بناء المشهد فاضيف اليه بنايات جديدة وصار جامع النبى يونس • وذلك فى القرن الثامن للهجرة •

مشهد النبى جرجيس

يقع قرب سوق الشعارين وفيه مشهد داخل غرفة هو مشهد النبى جرجيس • ولانعلم متى بنى هذا المشهد اول مرة • وقد عثرنا على بعض النصوص تذكر اسم مسجد النبى فى الموصل فلا ندرى هل انه أريد به هذا أم غيره •

وذكره ابن جبير فقال : فيها مشهد جرجيس صلى الله عليه وسلم وقد

بنى فيه مسجد وقبره فى زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل اليه . وهذا المسجد هو بين الجامع الجديد وباب الجسر . يجده المار الى الجامع من باب الجسر عن يساره .فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده نفعنا الله بذلك[1] . كما ذكره الهروى ايضا[2] .

أما الآن فقد تحول المشهد الى جامع كبير وهو من الجوامع المعدودة فى مدينة الموصل .

مشـــهد الطرح

وهو الذى يسمى (بنجة على) كان يقابل الخارج من الباب العمادى الى الربض الاعلى وأقدم من ذكر هذا المشهد هو الهروى قال : ومشـــهد الطرح وبه كف على بن ابى طالب (رض)[3] .

وادركنا المشهد وفيه محراب نفيس مزخرف بزخارف محفورة بالرخام وقد نقل المحراب الى بغداد وحفظ فى القصر العباسى . وعلى جانبى المحراب طاقتان كان فى الطاقة اليمنى أثر كف محفور بالرخام يذكرون أنها آثار كف الامام على كرم الله وجهه[4] .

وكان حول المشهد مقبرة تسمى مقبرة الباب العمادى . ويحيط بالمشهد ارض واسعة كانت من منتزهات الموصل فى فصل الربيع .

ثم سقطت القبة وما حولها من البنايات قبل ربع قرن وسطا عليهـــا الحجارون فهدموا ماكان شاخصا منها وعفوا أثرها ولم يبق منها شيىء .

مشهد النقطة الحسينية

يقع قرب دير سعيد جنوب الموصل . وأقدم من ذكره هو الهروى قال : وبالموصـــل مشهد رأس الحسين (رض) كان به لما عبروا بالسبى . وسبب بناء المشهد المذكور ـ فيما ذكره صاحب الانتصار للاولياء ـ أنه بعد

---

(١) ، (٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩) (٢) الزيارات (ص : ٦٩)
(٣) الزيارات (ص : ٦٩ ، ٧٠)
(٤) مجموع الكتابات (ص : ٢١٣ ـ ٢١٦)

قتل الامام الحسين حملوا رأسه الى الشام ومروا من دير سعيد وباتوا بقربه . وكان رأس الحسين فى مخلاة فعلم بـــه احد رهبان الدير . فـأخذه وغسله وطيبه وبيته عنده ليلة واحدة . وقطرت من الرأس قطرة دم على الارض التى باتوا فيها فبنى الراهب مشهدا فى المكان المذكور وسمى «مشهد النقطة الحسينية»[١] وصار مدفنا لنقباء الموصل .

وممن دفن فيه النقيب شرف الدين أبو منصور الحسينى جد السادات الحسينية فى الموصل (ـ ٥٧٩) وكان رحمه الله نقيب النقباء ، ولى وزارة السلطان مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى ، وأمه السيدة عفاف بنت قاضى القضاة بهاء الدين على بن أبى القاسم الشهرزورى قاضى الموصل .[٢] وكان له عقار ومزارع موقوفة لعمارته ويتولى نظارته أحد السادات . ولاتزال آثاره بارزة للعيان قرب دير مار أيليا ـ دير سعيد ـ .

مشهد عمرو بن الحمق الخزاعى

كان من أنصار الامام على وثبت على أخلاصه له بعد قتل الامام . طلبه معاوية مع جماعة حجر بن عدى ففر عمرو الى الموصل وأختفى فيها فلسعته حية ومات . ويذكر بعضهم بانه مات بالاستسقاء . ومهما يكن من امر موته فانه مات فى الموصل . قرب مشهد النقطة الحسينية . فقطع رأسه وحمل الى معاوية بالشام . وأما جثته فدفنوها فى الميدان أمام الدير الاعلى .

وكان الحمدانيون يتبعون المذهب الشيعى . ولما تولوا امر الموصل بنى أبو عبد الله سعيد بن حمدان ـ وهو ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة ـ سنة ٣٣٦ مشهدا على قبره وجرت فى الموصل فتنة بين الشيعة والســـنة بسبب هـذا .

وذكر ياقوت الحموى عند كلامه عن الدير الاعلى والى جانبه مشـــهد قبر عمرو بن الحمق صحابى . وموقع الدير هو قريب من باش طابية فيكون

---

(١) (٢) الانتصار للاولياء (مخطوط) ومنهل الاولياء ، (مخطوط)

المشهد امام باش طابية •

وجاء في بحر أنساب السادات في الموصل عند كلامه عن نقيب الموصل محمد بن الحسن بن احمد انه خلف ناصرا وفاطمة وان فاطمة خرجت الى السيد المعظم شهاب الدين كمال اشرف بن أبي البركات محمد بن زين العندلي وقبرها عند أبيها بمشهد عمرو بن الحمق •

وعلى هذا فان قبر عمرو بن الحمق يقع في مقبرة الست فاطمة وهي مقبرة اسرة النقيب في الموصل • ولم تزل المقبرة المذكورة خاصة بهم •

وكنا قد حققنا موقع قبر عمرو بن الحمق في بحث نشرناه بمجلة الجزيرة الموصلية (١)

مشهد ابن الحسن

ويسمى أيضا مشهد الامام عون الدين وهو من أهم المشاهد التي بناها بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤٦ هـ اى بعد بناء مشهد يحي بن القاسم بثلاث سنوات • وبناؤه يشبه بناء مشهد الامام يحي بن القاسم • وقبته من أجمل القباب التي وصلتنا من العهد الاتابكي تمتاز بزخارفها الكثيرة المتنوعة • يحيط بأسفل القبة من الداخل وعلى ارتفاع متر واحد عن مستوى الارض شريط من الكتابة المحفورة بالرخام والمطعمة بالمرمر الابيض •

ومحراب الحضرة من المحاريب النفيسة الموجودة في الموصل •

تستند القبة على مقرنصات مزخرفة بالجبس • وداخل القبة مزخرف بزخارف هندسية متناظرة ، وهي تحفة فنية في هذا الباب • ويعلو القبة الداخلية قبة أخرى معقودة بالآجر المزلج ولكن القسم الكبير من هذا الآجر قد زال ، ولم يبق الا آثار منه ، ويفصل بين القبتين فراغ واسع •

والقبة الخارجية تحفظ مافي القبة الداخلية من زخارف ونقوش وهي

---

(١) السنة الاولى ــ العدد الخامس سنة ١٩٤٦ (ص : ٩ ، ١٠)
الزيارات (ص : ٧٠)

تشبه قبة الامام يحى بن القاسم ، وقبة الجامع النورى التى بنيت سنة ٥٦٨هـ.

وللحضرة باب مصفح بالنحاس مزخرف بشرائط نحاسية تؤلف اشكالا هندسية جميلة ومكتوب عليه اسم العامل الذى صنعه وهو « عمر بن الحصرولى آل محمد سنة ٦٤٠ هـ . » .

ولاندرى هل ان بدر الدين لؤلؤ بنى هذا لذكرى الامام عون الدين ام انه كان مدرسة ثم بنى فيه مشهدا للامام ابن الحسن ـ عون الدين ـ كما اتخذ مشاهد أخرى فى المدارس التى بناها الاتابكيون . وعلى كل فان بناء هذا المشهد من الابنية الجميلة فى الموصل والتى تستحق العناية والمحافظة عليها وحالته الحاضرة ليست مرضية فقبته الخارجية قد تصدعت ، وقد انهدم بعضها، والزخارف التى فى سقف القبة الخارجية قد تلف الكثير منها وهى تحتاج الى صيانة .

واتخذ العلويون فيه مقبرة تجاور الحضرة وذلك فى القرن السادس للهجرة ، وتسمى مدفن البرمى او مدفن الجعفرى ودفن فيها بعض نقباء الموصل ، ولم تزل المقبرة معروفة بهم[1]

مشهد الامام يحى بن القاسم

يقع أمام باش طابية على شاطىء دجلة وهو من أجمل المشاهد الموجودة فى الموصل وقد تقدم الكلام عنه عند كلامنا عن المدرسة البدرية .

مشهد على الهادى

وهو من المشاهد التى اتخذها بدر الدين لؤلؤ للامام على الهادى المتوفى فى سامراء . يقع فى محلة المحمودين ، والمشهد فى سرداب شمال المسجد ، وبه قبر من المرمر الازرق المطعم بمرمر ابيض على شكل زخارف دقيقة وكتابات بالخط النسخى وهى بحروف بارزة تحيط بجوانبه الاربع .

ومكتوب على القبر «قبر حسين بن شريف اليا ... رحمه الله» ولهذا

---

(١) منية الادباء (ص : ١٠٧ ، ١٠٨) مجموع الكتابات (٩٨، ٩٩)

يرى بعضهم ان المدفون فى هذا القبر لم يكن يدعى على الهـادى • وان بدر الدين لؤلؤ اتخذ به مشهدا للامام على الهادى ـ وقد بسطنا القول عمـا هو مكتوب عليه فى منية الادباء [1] ومجموع الكتابات المحررة فى ابنيـة مدينة الموصل • [2]

مشهد الامام الباهر

وهو من المشاهد التى أتخذها بدر الدين لؤلؤ للامام الباهر بن الامام جعفر الصادق ـ ولعله اتخذ المشهد فى أحدى المدارس الاتابكية •

جددت عمارته سنة ٦٨٩ هـ والآثار الموجودة فيه ترجع الى هذا التاريخ•

وأهم مافيه الباب الرخامى للحضرة وهو من الابواب الجميلة فـى الموصل • وكذا الباب الخشبى الذى كان فى الحضرة • نقلته مديريـة الآثار القديمة الى بغداد وقد تقدم الكلام عنهما •

ولم يزل داخل الحضرة بعض الزخارف والكتابات الجبسية الجميلة ، وقد أصاب اكثرها العطب والتلف ، ويصعب قراءتها وهى تعود الى القـرن السابع للهجرة• [3]

مشهد أولاد الحسن

يقع فى سوق الصاغة ، وهو أحد المشاهد التى أقامها بدر الدين لؤلؤ لابناء الامام على ـ كرم الله وجهه ـ • ويذكر البعض ان العدو طلب اولاد الحسن ، فطرحوا أنفسهم فى بئر فاتخذ مشهد على البئر وهذا لايصح عقلا ولا شرعـا •

ويتألف المشهد ـ فى الوقت الحاضر ـ من مسجد صغير فيه مصـلى وغرفة للتدريس وفى غربى المسجد سرداب به بئر وكان فيه محراب من المرمر الازرق المطعم بالمرمر الابيض ومكتوب حوله البسملة وآية الكرسى•

---

(١) ، (٢) (ص : ١٠٥) ، ص : (٢١٩ ، ٢٢٠)
(٣) منية الادباء (ص : ١٠٧ ، ١٠٨) مجموع الكتابات (١٤٦،١٩٤)

وقد نقل هذا المحراب الى متحف الموصل والمحراب من أجمل المحاريب التي في الموصل • [1]

مشهد العباس

يقع في سوق الصاغة وفيه قبر يذكرون عنه انه قبر عباس المستعجل ويسميه بعضهم العباس بن مرداس السلمي • وان الكتابة التي كانت على القبر تشيرانه كان مكتوبا عليه : العباس بن علي جددت عمارته في سنة ٤٠٥ هـ •

ثم جددت عمارته في فترات متباينة وهو في الوقت الحاضر جامع صغير فوق الحضرة التي فيها القبر [2] •

٦ ـ البيع والديارات

وفي الموصل بيع كثيرة وهي منتشرة في الاحياء التي يسكنها المسيحيون يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الاسلام مثل بيعة يوحنا بار قسوى التي بنيت حوالى سنة ٥٧٠ م كانت تقع شمال الحصن الغربي للموصل ، [3] ولم تزل تسمى بيعة مار اشعيا • على ان اخبار هذه البيع قليلة في كتب التاريخ ، كما أننا لم نجد من عني بالبحث عنها في مختلف العصور الا ما قل •

وممن كتب عنها في الوقت الحاضر هو المطران سليمان صائغ ، فان قسما كبيرا من الجزء الثالث من كتابه ، تاريخ الموصل ، مقصور عليها• ولكن اكثر بحثه لم يتعد ذكر الشهداء والقديسين وما قاموا به من خوارق العادات • ونشر عنها ايضا المطران بولس بهنام والمطران روفائيل بيداويد ابحاثا في مجلتي المشرق والنجم •

وأما اخبار البيع في مختلف العصور فان هذا قليل ومقتضب في ابحاثهم ، واهم البيع التي كانت في العصر الاتابكي والتي لم تزل موجودة هي :ـ

---

(١) منية الادباء (ص : ١٠٤) مجموع الكتابات (ص : ١٩٢ ، ١٩٣)
(٢) منية الادباء (ص : ١٠٠) ، مجموع الكتابات (ص : ٥٣ ، ١٧٣)
(٣) الديورة في مملكتي العرب والفرس (ص : ٥٠) تاريخ كلدو وآثور (٢ : ٢٦٥)

بيعة مار توما

وهى من البيع القديمة • ذكرها أبو زكريا الازدى فى حوادث سنة ١٦٦ هـ (٧٨٢) م ان النصارى جددوا البيعة المذكورة ، وكانت فى العصر الاتابكى من البيع الكبيرة • ولم يصلنا من آثارها ما يستحق الذكر فان عمارتها الحالية مستحدثة خالية من الآثار • ومهما كان من امرها فهى من بيع الموصل القديمة التى يسكن حولها المسيحيون •

بيعة مار حودينى (أحودمة) :ـ

بنى البيعة المذكورة التكريتيون الذين نزحوا الى الموصل منذ نهاية القرن الرابع للهجرة واقدم ذكر لها هو سنة ٩١٩ م•

وتمتاز هذه البيعة بما تحويه من الزخارف المتنوعة فان أبوابها مزدانة بكتابات مختلفة • وفوق أقواسها تصاوير محفورة نافرة بالمرمر ، وهى من البنايات الاتابكية التى تستحق العناية •

بيعة شمعون الصفا

تقع فى محلة مياسة وهى تحت البيعة الحديثة المسماة بنفس الاسم ، وفيها نقوش وزخارف تعود الى العهد الاتابكى ، وربما كانت البيعة المذكورة بنيت قبل هذا العصر ، ثم جددت فى العصر الاتابكى ، وعلى مر الايام أهمل أمرها ، وفى العصور المتأخرة بنوا بيعة فوقها ، وتركت هى على ماكانت عليه•

واما الديارات التى فى ضواحى الموصل فأخبارها فى كتب الديارات والبلدانيين مستفيضة ـ وكانت من الاماكن التى يقصدها الزهاد وطلاب العلم والادب • وفى أكثرها مدارس وخزائن كتب ، فهى من المراكز العلمية والدينية تخرج منها أكثر رجال الدين المسيحى •

كما كان يقصدها الادباء والشعراء يتمتعون بموقعها الجميل ، وهوائها العليل ، يعقدون بها المجالس الادبية ، وتركوا تراثا ادبيا جميلا ، يتغنون بالاديرة ومنتزهاتها وأزهارها وحدائقها وشرابها المعتق ومن يقصدها • وأخبارها كثيرة فى هذا الباب •

والديارات التى حول الموصل هى : (١)

دير سـعيد

من الديارات القديمة في جنوب الموصل ـ كان اول تأسيسه في القرن الاول للهجرة ، وكان من منتزهات اهل الموصل فى العصر الاتابكى وما قبله بقى هذا الدير عامرا الى سنة ١١٤٥ هـ حيث خربه نرجس خان احد قواد الفرس عندما غزا الموصل فى التاريخ المذكور • ولايزال الدير مهجورا خاليا من الرهبان •

دير ميخائيل

وهو من منتزهات مدينة الموصل وكان الشعراء يقصدونه فى أوقات فراغهم يتمتعون بجمال موقعه ، وطيب شرابه ، وعذوبة هوائه ، وهو يقع شمال الموصل قرب دجلة • وله ذكر كثير فى كتب الديارات •

وكان فى الدير مدرسة يدرس بها الرهبان مختلف العلوم والآداب ، وبقيت المدرسة فى تقدم تارة وتأخر أخرى ، حتى القرون المتأخرة ، فلم يبق فى الدير أحد وهو غير مأهول فى الوقت الحاضر •

دير مار كوركيس

وهو من الديارات القديمة ، وأخباره قليلة فى العصر الاتابكى ، وليس فيه مايستحق الذكر من الآثار •

دير الربان هرمزد

وهو من الديارات القديمة فى القوش أحدى نواحى الموصل ، يبعد عنها قرابة كيلو مترين شرقا ، وفيه بعض الغرف المنقورة بالصخر ، وليس فيه ما يستحق الذكر من الآثار ، وقد الف عنه الاستاذ كوركيس عواد كتابا اسمه «أثر قديم فى العراق دير الربان هرمزد» وهذه الديارات الاربعة هى لطائفة الكلدان •

---

(١) انظر عن الديارات : الديارات للشابشتى • مسالك الابصار • معجم البلدان • منية الادباء ، تاريخ الموصل ، الجزء الثالث •

دير متى

ويعرف بدير الشيخ متى وهو من اقدم ديارات الموصل يقع في سفح جبل مقلوب،وكان في العهد الاتابكي من الديارات المقصودة للنزهة وترويح النفس كماكان به مدرسة دينية تحوى كتبا ثمينة ، ونقل اليها التكريتيون كثيرا من كتبهم بعد ان هاجروا الى هذه الديار ، ولم يزل قسم منها باقيا الى اليوم •

وسكن الدير المذكور « ابن العبرى » المؤرخ المشهور ، ولاتزال الغرفة التى سكن بها تسمى قلاية ابن العبرى ، وهى منقورة بالصخر ومزينــة بكتابات سطرنجيلية • والدير عامر فى الوقت الحاضر ، يقصده الناس فى فصلى الربيع والصيف طلبا للراحة والاستجمام ، وهو من الديارات الخاصة بالارثوذكس •

دير الجب (ماربهنام) :

يبعد الدير قرابة ٣٥ كيلو مترا جنوبى شــــرقى الموصل ، ذكره البلدانيون الذين تكلموا عن هذه الديار ، وهو من الديارات الكبيرة للسريان وتعد آثاره التى تفنن بها التكريتيون من أجمل ماخلفه الفنانون فى القــرون الوســطى •

وفى هذا الدير آثار كثيرة بعضها منحوتة فى المرمر ، وزخارف متنوعة، وصور بارزة بالرخام والجبس والآجر المزلج وغير ذلك •

فواجهة الكنيسة مزينة بنقوش وكتابات عربية وسريانية نافرة ،وبعضها محفورة ، تحيط بالابواب والشبابيك ، وتعلو أقواس الابواب صور أسود وحيوانات غريبة الاشكال وهذا ماكان شائعا حفره فوق الابواب فى عهــد السلاجقة•وفى الجانب الايمن للباب قطعة من الآجر المزلج الازرق فيها صورة ثلاث غزلان بيضاء وهى من صناعة التكارتة ايضا •[1] وفى وسط الواجهة رتاج مزخرف بزخارف نباتية متشابكة قلد بها زخارف محراب الجامع النورى[2] وداخل الكنيسة آثار مختلفة من النحت على الرخام ، والكتابات المحفورة

---

(١) ، (٢) انظر (ص : ١٤ ، ٤٣ ، ٧٠)

بعضها نافر وبعضها غائر ، تحيط بالابواب والمداخل •

وفي داخل الكنيسة صورة القديس ماربهنام ممتطيا صهوة جواده ، وهي مصنوعة من الجبس ، ونافرة في الجدار ، تقابلها صورة أخته سارة، وهي من انفس الصور الجبسية التي وصلتنا من ذلك العهد •

وقبة المصلى من أجمل القباب التي وصلتنا من العهد الاتابكي ، فهي تستند على مقرنصات كثيرة مكتوب عليها كتابات عربية وسريانية مزخرفة ، وترتفع القبة بمقدار (١١) مترا وينتهي اعلاها بدائرة تتجمع فيها الزخارف الهندسية ، وفي وسطها فتحة للنور • وهي تحفة فنية خالدة وهذه الآثار وغيرها من الآثار الكثيرة التي في الدير هي من العهد الاتابكي ، بناها التكريتيون الذين نزحوا الى قرەقوش وبارطلي وما يجاورهما ، وابدعوا في أخراج هذا الدير فهو بحق أجمل كنيسة في الموصل • ومن الآثار التي تستحق العناية والمشاهدة •

وقد ألف الخوري افرام عبدال كتابا واسعا عنه اسمه « اللؤلؤ النضيد في أخبار مار بهنام الشهيد ، وصف فيه آثاره بصورة مستفيضة ، كما أصدر كتابا آخر اسمه بعض آثار دير مار بهنام الشهيد في جوار الموصل» طبع في بيروت سنة ١٩٥٤ م •

٧ ـ المقابر

وأهم المقابر التي وقفنا على ذكرها في الموصل هي :

مقابر قريش

وهي تجاور جامع النبي جرجيس في الوقت الحاضر ، وكانت هذه المقابر من أقدم الاماكن التي دفن فيها المسلمون موتاهم ، وفيها دفن الحر بن يوسف الاموي المتوفى ١١٣ هـ وممن دفن بها في العصر العباسي هو الشيخ عبد الملك بن حماد الكناني الموصلي المتوفى ٥٧١ هـ • [١] ولم يزل الى اليوم يحيط بجامع النبي جرجيس مقابر كثيرة لاسر معلومة في الموصل •

---

(١) روضة الناظرين (ص : ١٢٢)

مقبرة الجامع العتيق

وهي تجاور الجامع الاموي المعروف بالجامع المصفى ، وممن دفن فيها هو أبو زكريا يحي بن سالم بن مفلح البغدادي نزيل الموصل توفي سنة ٦٠٩ ودفن بمقبرة الجامع العتيق.[١] ولم تزل بقايا هذه المقبرة موجودة ، وهي تشمل أرضا واسعة فيها مقابر خاصة ومقابر للسابلة . وكانت تحيط بالجامع .

تربة غسان

وهي تقع خارج باب العراق تجاور مقام العناز ولعل هذه التربة منسوبة الى غسان بن الربيع الازدي الموصلي المتوفى سنة ٢٢٦ هـ كان ورعا صالحا نبيلا فاضلا.[٢] وممن دفن فيها في العصر الاتابكي الشيخ يونس بن منعة العالم المشهور ودفن فيها ابنه كمال الدين بن يونس ايضا المتوفى سنة ٦٣٩[٣] ولم تزل هذه المقبرة من مقابر الموصل . وتسمى مقبرة العناز .

مقبرة الباب العمادي

وهي تقع خارج الباب العمادي تجاور مشهد الطرح (بنجة على) وممن دفن فيها قطب الدين قيماز المتوفى سنة ٥٧٠ ويذكر عنه ابن الاثير أنه دفن بظاهر الباب العمادي وقبره مشهور هناك .[٤]

وادركنا مشهد الطرح وحوله مقابر كثيرة تحيط بـه من الغرب والجنوب وفي هذه المقابر دفن الاتراك العثمانيون في الحرب العالمية الاولى من مات من جنودهم فيها وصارت تعرف بمقبرة الشهداء وقد درست القبور مع المشهد وصارت أملاكا خاصة .

---

(١) شذرات الذهب (٥ : ٣٩)

(٢) لسان الميزان (٤ : ٤١٨) (٣) وفيات الاعيان (٢ : ١٣٤) منية الادباء (ص : ١١٥)

(٤) الكامل (١١ : ١٧٣)

مقبرة المعافى بن عمران الموصلي

وهي تقع خارج باب سنجار على الارض التي انشيء عليها ملعب معارف الموصل وتمتد الى مقام قضيب البان الموصلي • سميت بمقبرة المعافى بن عمران الموصلي المتوفى سنة ١٨٤ هـ بعد ان دفن فيها • ودفن فيها ابو تمام حبيب بن اوس الطائي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٣٢ هـ وصارت تعرف في العصر الاتابكي بمقبرة باب الميدان ، لانها تقع خارج باب الميدان ـ باب سنجار ـ كما عرفت بمقبرة قضيب البان بعد ان دفن فيها الشيخ قضيب البان الموصلي المتوفى سنة ٥٧٣ وهي من أشهر مقابر الموصل فقد دفن فيها كثير من علمائها وادبائها وفضلائها منذ صدر الاسلام الى القرن الثامن للهجرة • وممن دفن فيها •(١)

١ ـ سعيد بن المبارك المعروف بالدهان النحوي الموصلي المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٣ م

٢ ـ مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي الخطيب بالموصل توفي سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢م) ودفن بمقبرة باب الميدان •

٣ ـ أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري الملقب محي الدين المتوفى سنة ٥٨٦ (١١٩٠) دفن في داره ثم نقل الى تربة عملت له بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات •

٤ ـ أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي المتوفى سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤م)

٥ ـ أبو الحزم مكي بن ريان النحوي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦م) ودفن جوار ابي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي •

٦ ـ الطبيب مهذب الدين بن هبل المتوفى سنة ٦١٠(١٢١٣) ودفن بالقرب من القرطبي •

٧ ـ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن القسم بن ابي العز الوراق الموصلي المعروف بابن الخروف •

---

(١) سومر (٨ : ١٠٣ ـ ١٠٥) عن هذه المقبرة

٨ - عز الدين بن الاثير المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٣٠ (١٢٣٢م) وكان القبر داخل غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٣/٥م يؤدي اليها باب يقابل جهة الشرق يعلو الغرفة قبة ارتفاعها أربعة أمتار وهي قبة بسيطة مبنية من الحجر والجص .

وقد أعلمني بعض المعمرين انهم أدركوا قبة قديمة كانت فوق قبر ابن الاثير ثم سقطت فجددها المرحوم الحاج عبد الله جلبي بن حمو القدو سنة ١٣٠٦ هـ = (١٨٨٨م) كما يتضح لنا من الكتابة التي كانت فوق قطعة من الرخام مثبتة فوق باب الغرفة . والكتابة عبارة عن ثلاثة أسطر بالخط النسخي وهي « ..... عز الدين ابو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري رحمه الله. عمر هذا القبر عبد الله بن حمو القدو سنة ١٣٠٦ هـ » .

واعلمني البعض ان العمارة التي كان قد عمرها الحاج عبدالله جلبي بن حمو القدو انهدمت فجددها المرحوم محمد بيوض بن الحاج مصطفى آل الحاج طالب .

وكان في داخل الغرفة قطعة رخام كتب عليها «آية الكرسي» وهي محفوظة في المتحف العراقي ببغداد . وهي من بقايا العمارة القديمة التي كانت قبل سنة ١٣٠٦ هـ .

وفي سنة ١٩٣٨ م ردمت بلدية الموصل الخندق الذي كان يحيط بالمدينة وسوت الارض وعبدت شارعا يبتدئ من باب البيض وينتهي بالمستشفى ويمر الشارع بقبر ابن الاثير وجعلت القبر داخل دائرة وسط الشارع وبنت فوقه قبة تستند على دعامات من المرمر وسمت الشارع «شارع ابن الاثير» تخليدا لذكرى هذا العالم الجليل .

ويظهر ان هذه المقبرة كانت تمتد شمالا الى مقام الشيخ الفتح الموصلي « المعروف اليوم بالشيخ فتحي » . فقد ذكر الهروي عند كلامه عن الموصل ما يأتي « وبجبانة الموصل قبر الشيخ

المعافى بن عمران من كبـــار الاولياء ٠ ٠ ٠ وبها قبر الســـراج المقرى وقبر ابى بكر الهروى ـ والد مؤلف هذا الكتاب ـ وبقى أربعين سنة يصوم نهارا ويقوم ليلها وقبر النساج وقبر الشيخ فتح الكارى وقبر الشيخ فتـح الموصلى من كبار الاولياء وقبر الطويل ٠٠٠ » ٠ (١)

مقابر العلويين

وكان العلويون يدفنون موتاهم فى مقابر خاصة لهم منها : مشهد النقطة الحسينية ـ ومشهد الطرح ومشهد الامام ابن الحسن المعروف بمشهدالبرمى ومشهد عمرو بن الحمق الخزاعي ، ولم تزل هذه المقبرة من مقابر نقبـاء الموصل وتسمى مقبرة الست فاطمة ، وقد تكلمنا عنها عند كلامنا عن المشاهد المذكورة ٠

وهناك مقابر أخرى حول بعض المشاهد والمقامات وهى كثيرة فـــى الموصـــل ٠

مقابر تل توبة

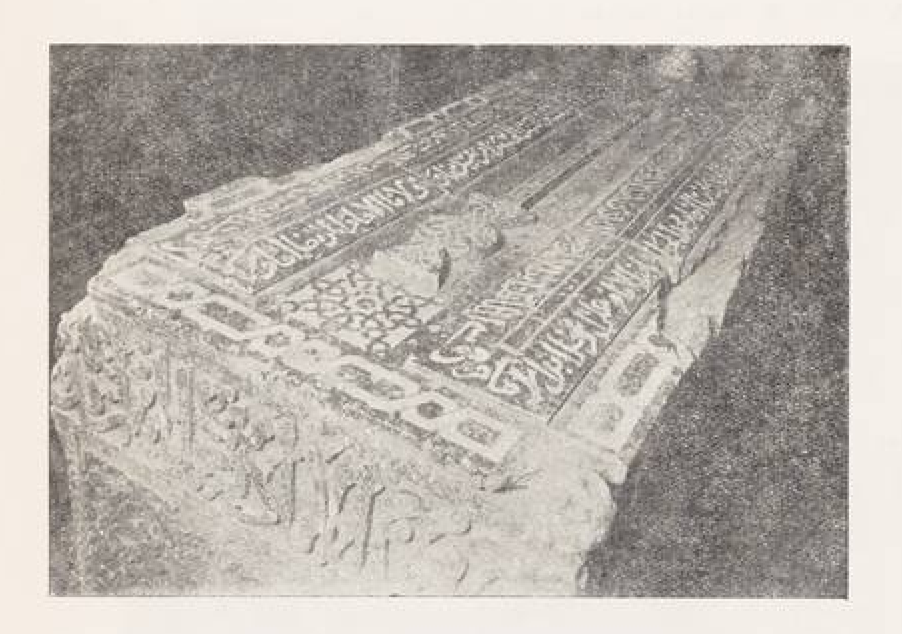
تقع فوق تل توبة الواقع عليه جامع النبى يونس فى الوقت الحاضر ، وهى من مقابر الموصل القديمة دفن فيها المسلمون تبركا بتل توبة الذى وقف عليه قوم يونس لما انذروا بالعذاب ، وتابوا الى الله تعالى مما كانوا فيه ٠
وفوق هذا التل كان مشهد النبى يونس وحوله مقابر كثيرة منـــذ القرن الثالث للهجرة ، وممن دفن فيها قبل العصر الاتابكى : ـ

ناصر الدولة الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وقرواش بن المقلد العقيلى المتوفى سنة ٤٤٥ هـ والوزير فخر الدولة بن جهير الثعلبى المتوفى سنة٤٨٣ وابو الهيجاء عبد اللهصاحبقلعة آشبوالجزيرة وتوشالمتوفىسنة٥٢٨هـ٠(٢)
وابو العباس الخضر بن نصر بن عقيل الاربلى المتوفى سنة ٦٠٩ هـ٠(٣)

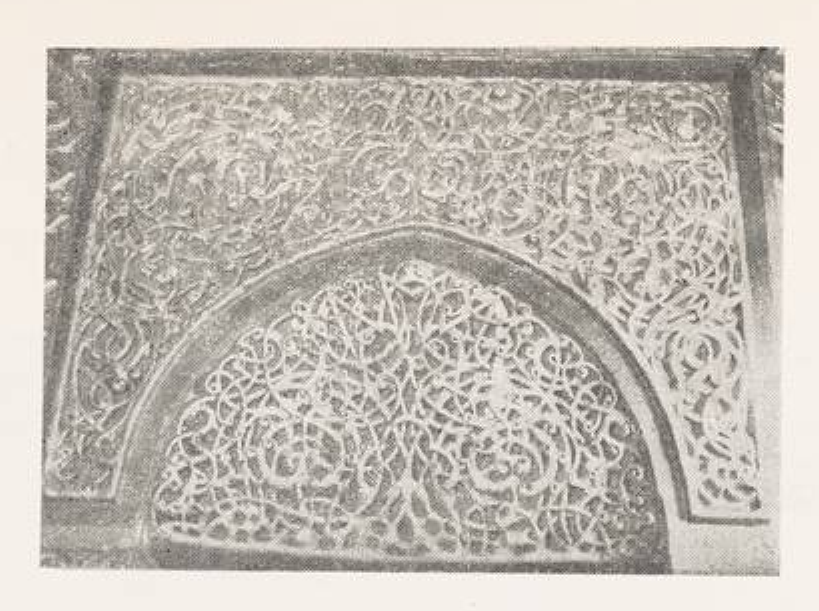
---

(١) الزيارات (ص : ٧٠)
(٢) سومر (١٠ : ٢٥٢) الكامل (٩ : ٢١٩)
(٣) الكامل (١١ : ٥) وفيات الاعيان (١ : ١٧١)

وأدركنا فوق السفح الشمالى لتل توبة مقابر كثيرة متصلة مع بعضها يدفن فيها أهل الموصل وأهل نينوى والقرى المجاورة لها وقد نسفت بلدية الموصل القسم الكبير منها عندما قامت بتوسيع الشارع الممتد من الشرق الى الغرب تحت تل توبة ولم تزل بقايا هذه المقابر موجودة فى التل المذكور وخاصة فى الجهة الشمالية منه •



شكل (١١) صندوق من المرمر لضريح الامام على الهادى



شكل (١٢) الزخارف الرخامية فى اعلى المحراب الذى كان فى الجامع
الاموى ثم نقل الى الجامع النورى



شكل (١٣) احد المحاريب التى كانت فى الجامع النورى
(كليشة مديرية الآثار العامة)

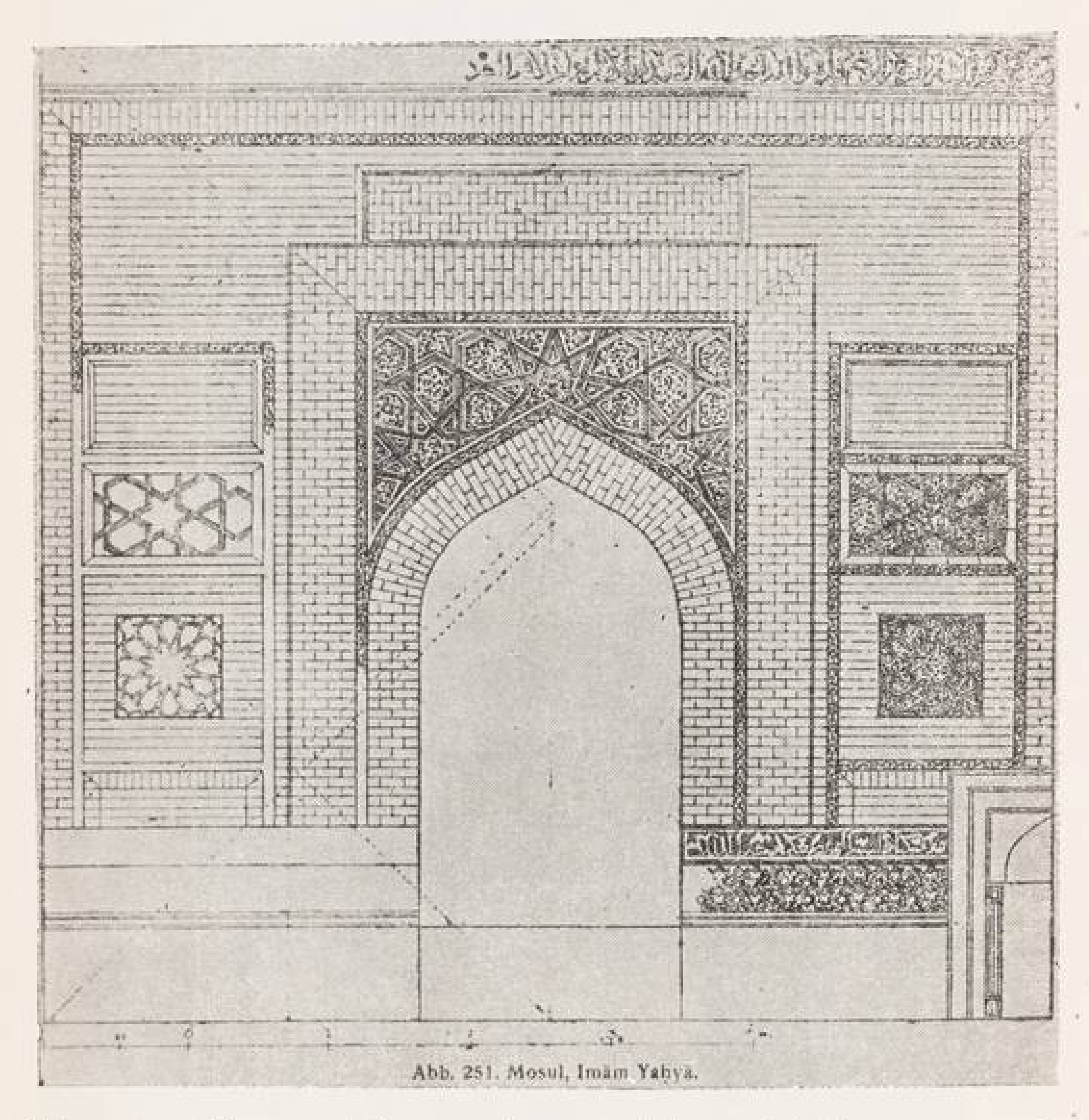
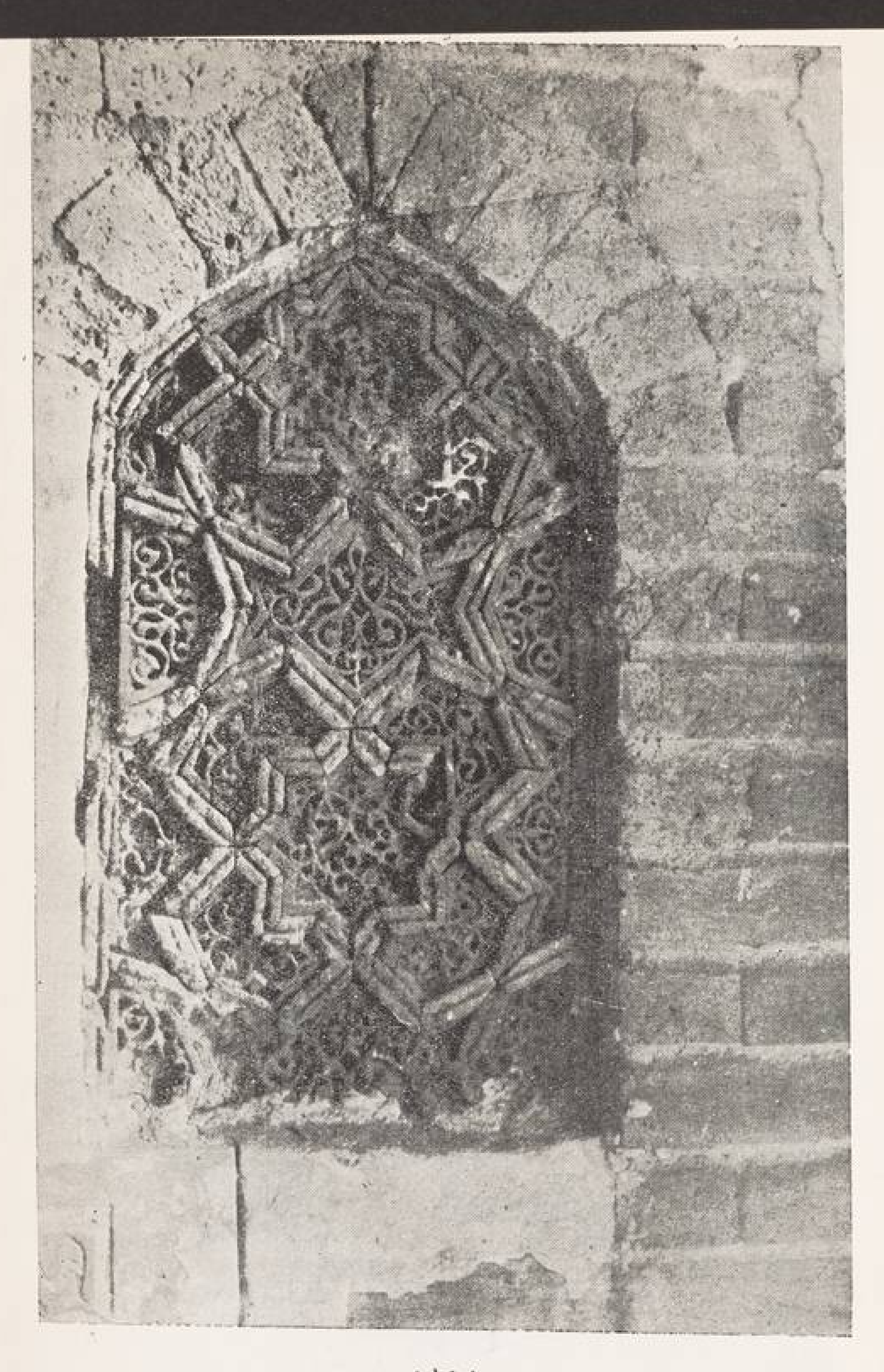


Abb. 251. Mosul, Imām Yahyā.

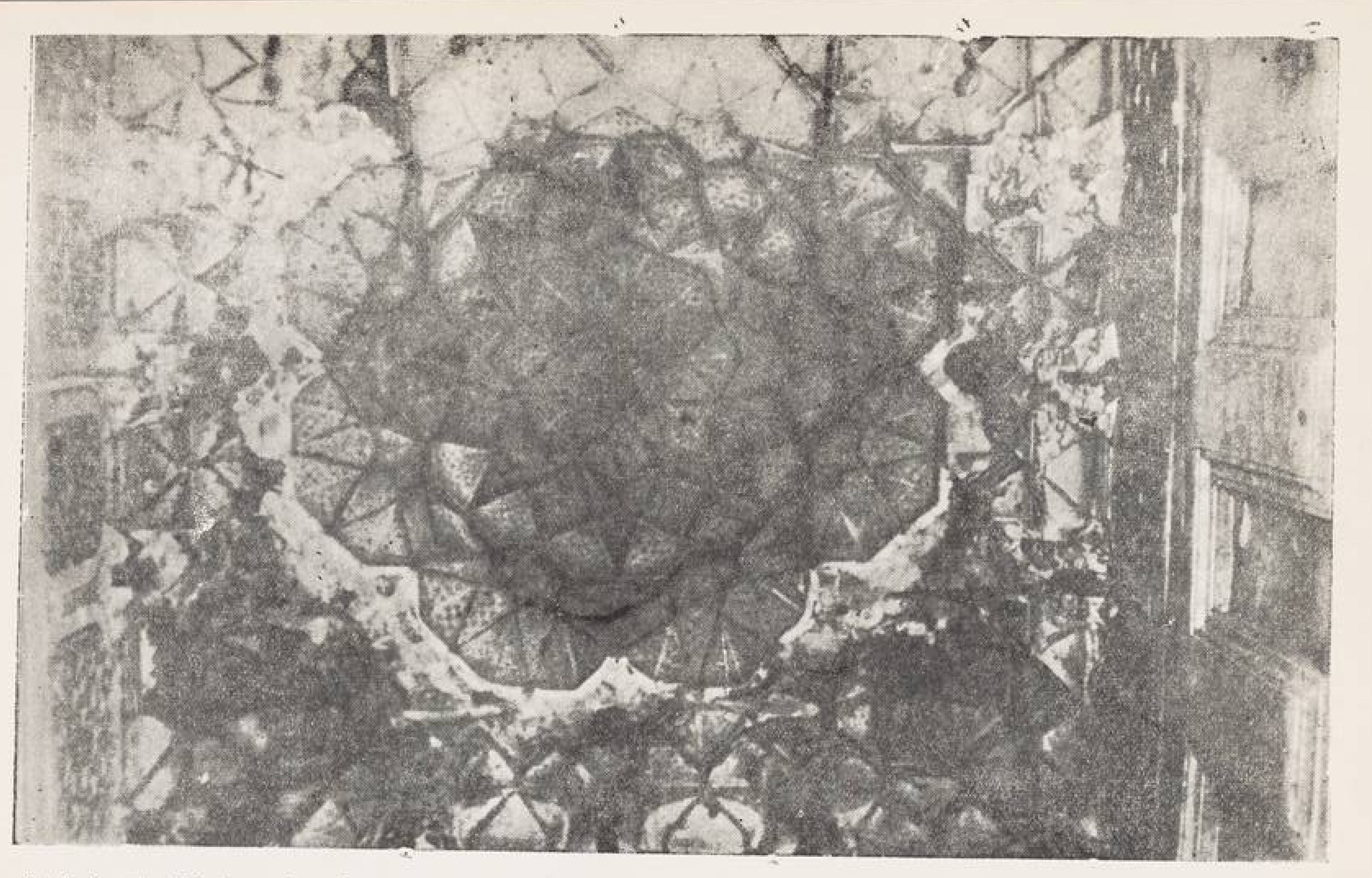
شكل (١٤) توضيح للزخارف الاجرية التى تزين مدخل مشهد الامام يحيى بن القاسم (عن هرزتفلد)

(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



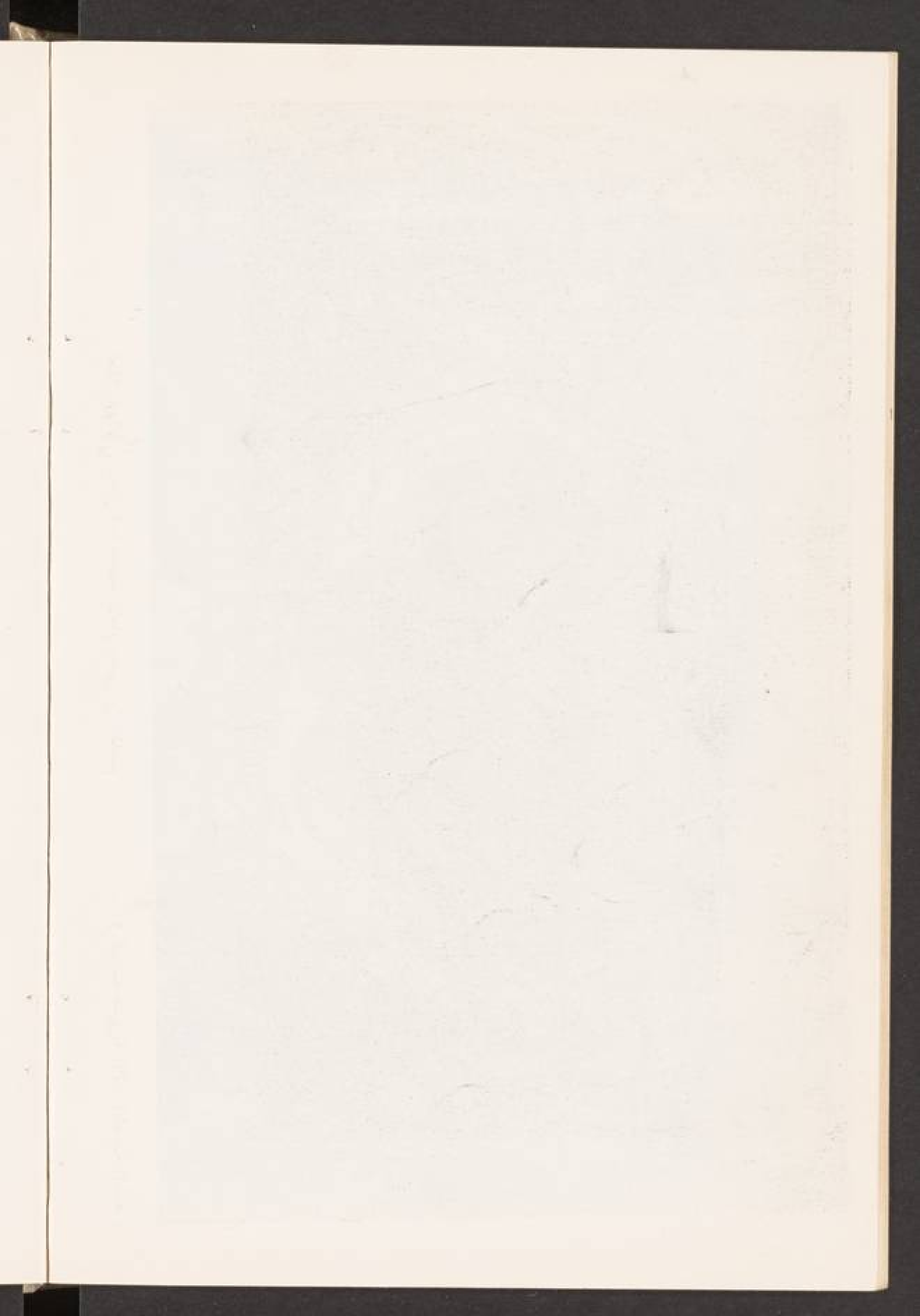
(١٥)
زخارف بالاجر فى مشهد الامام يحيى بن القاسم

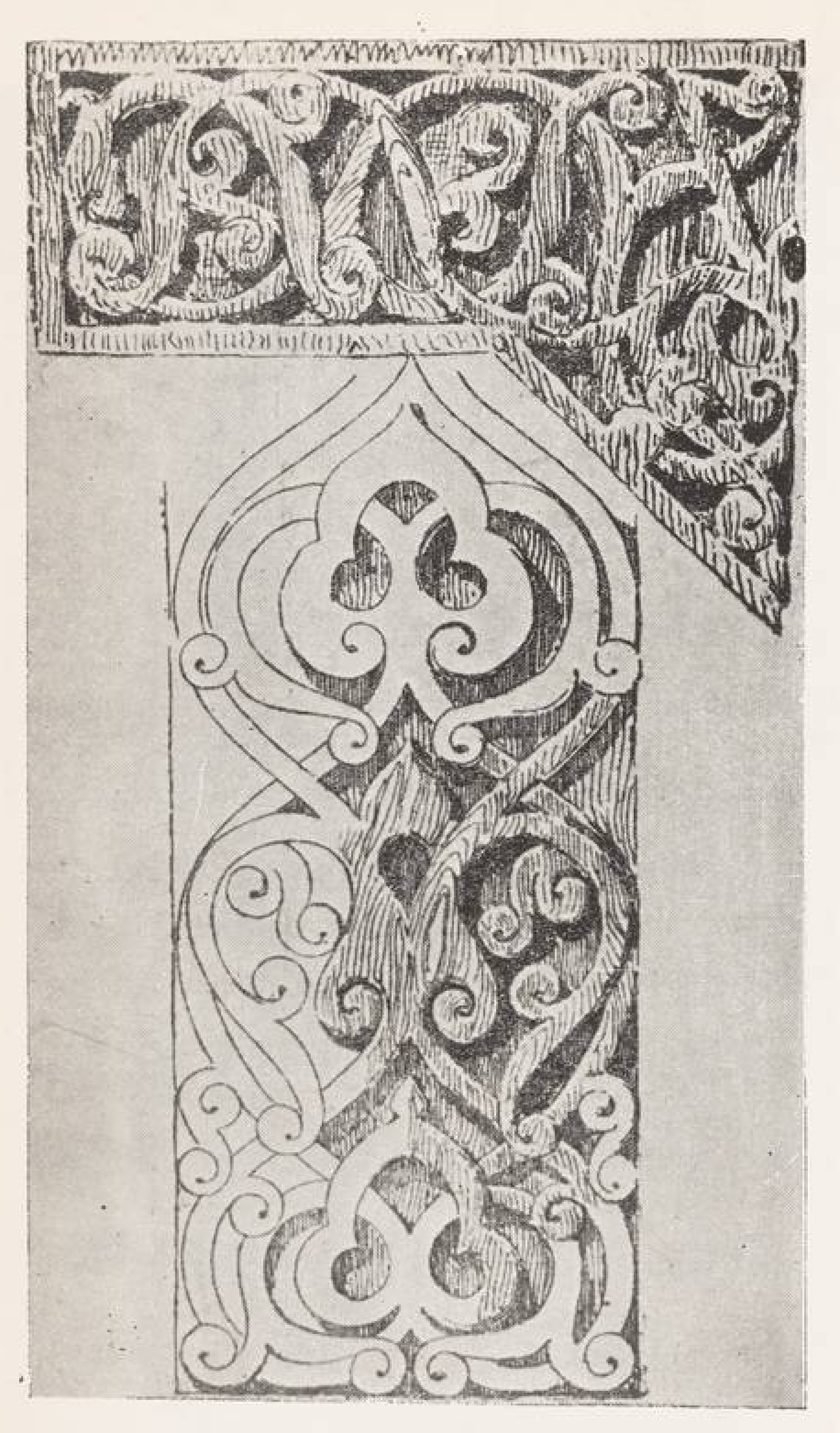
(كليشة مديرية الآثار العامة)



شكل (١٦) داخل قبة مشهد الامام يحيى بن القاسم

(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



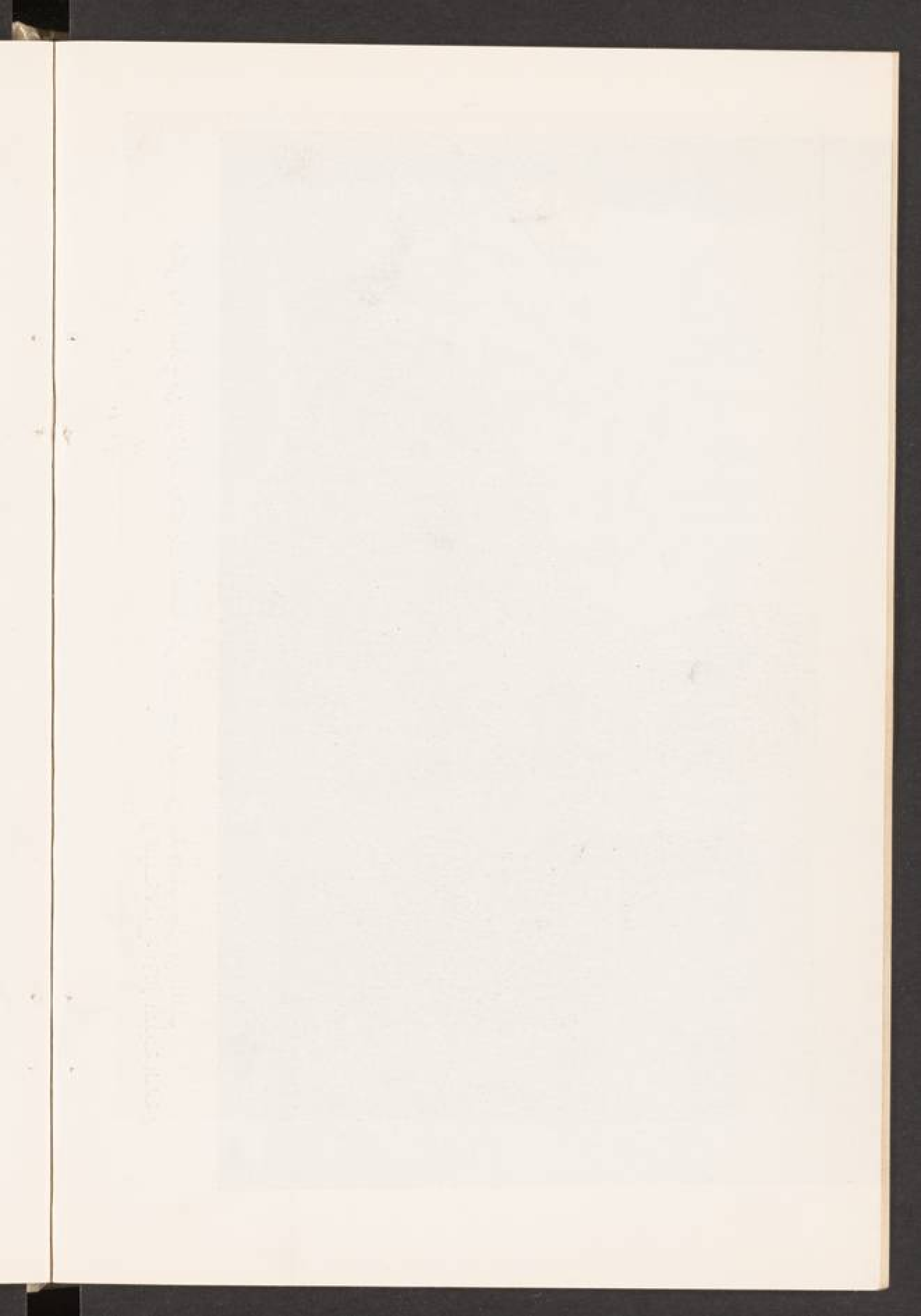


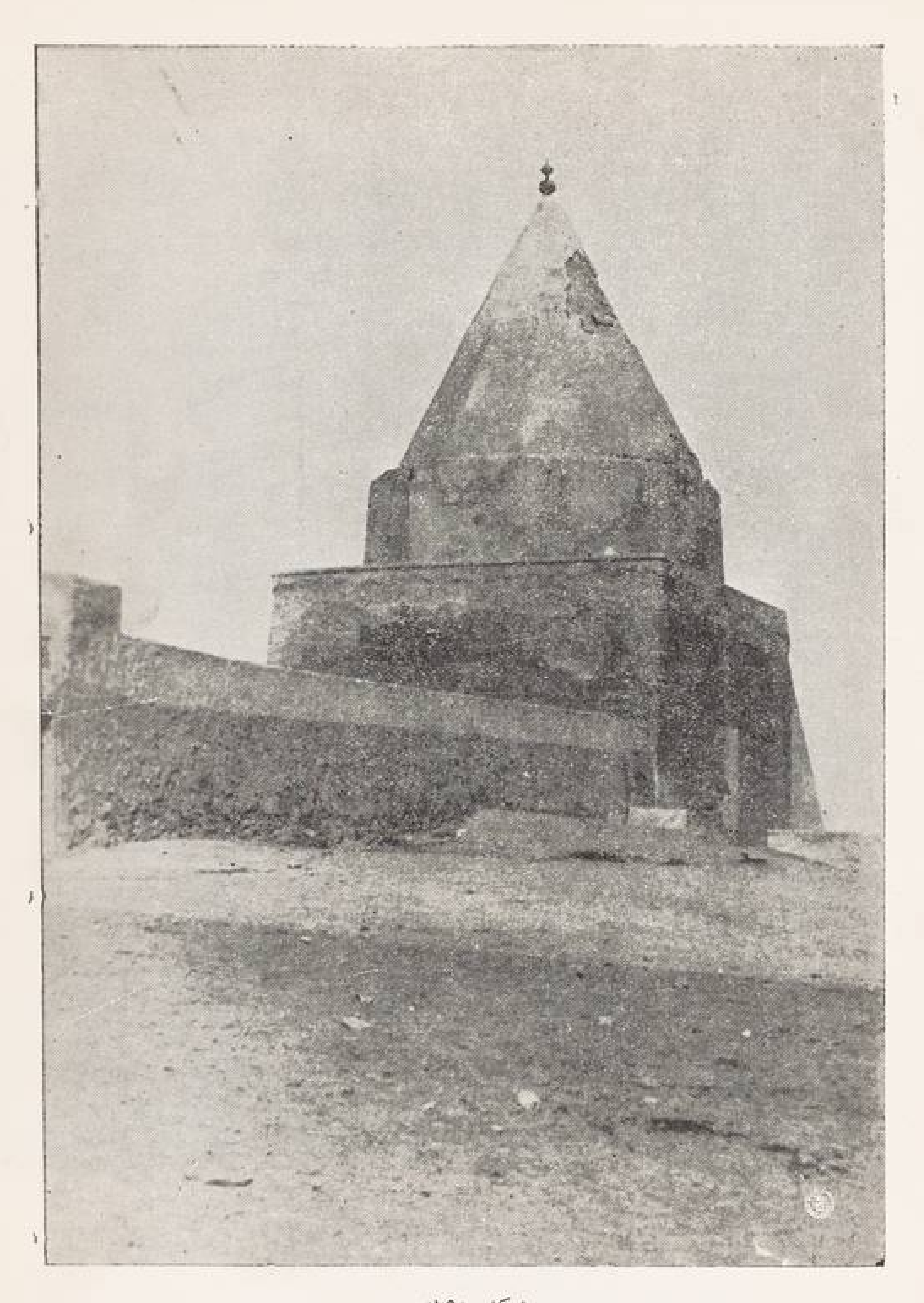
شكل (١٧)
توضيح بعض الزخارف الاجرية فى مشهد الامام يحيى بن القاسم

(كليشة مديرية الآثار العامة)



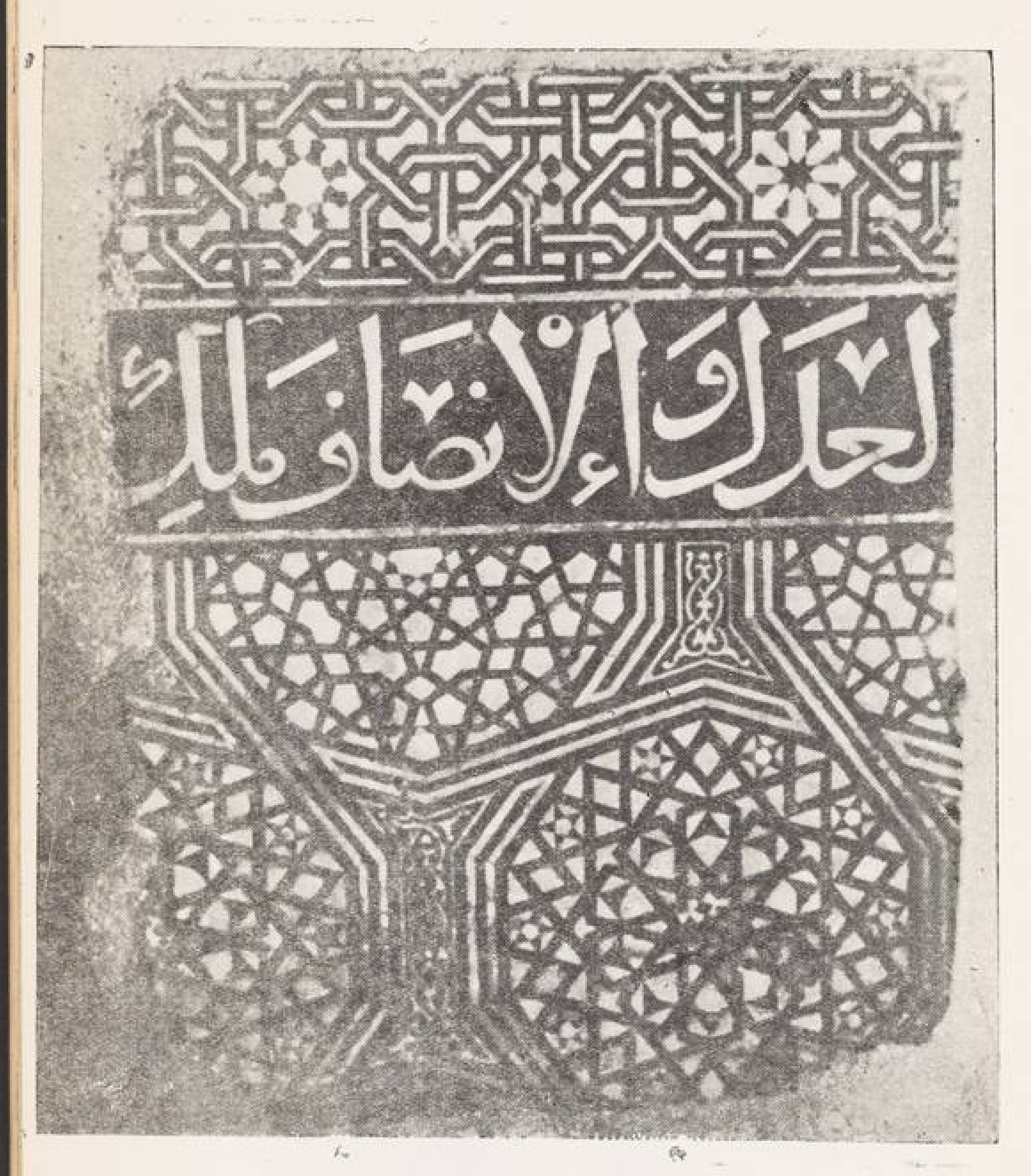
شكل (١٨) نماذج من الزخارف والكتابات المطعمة التى تزين جدران داخل قبة الامام يحيى بن القاسم
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)





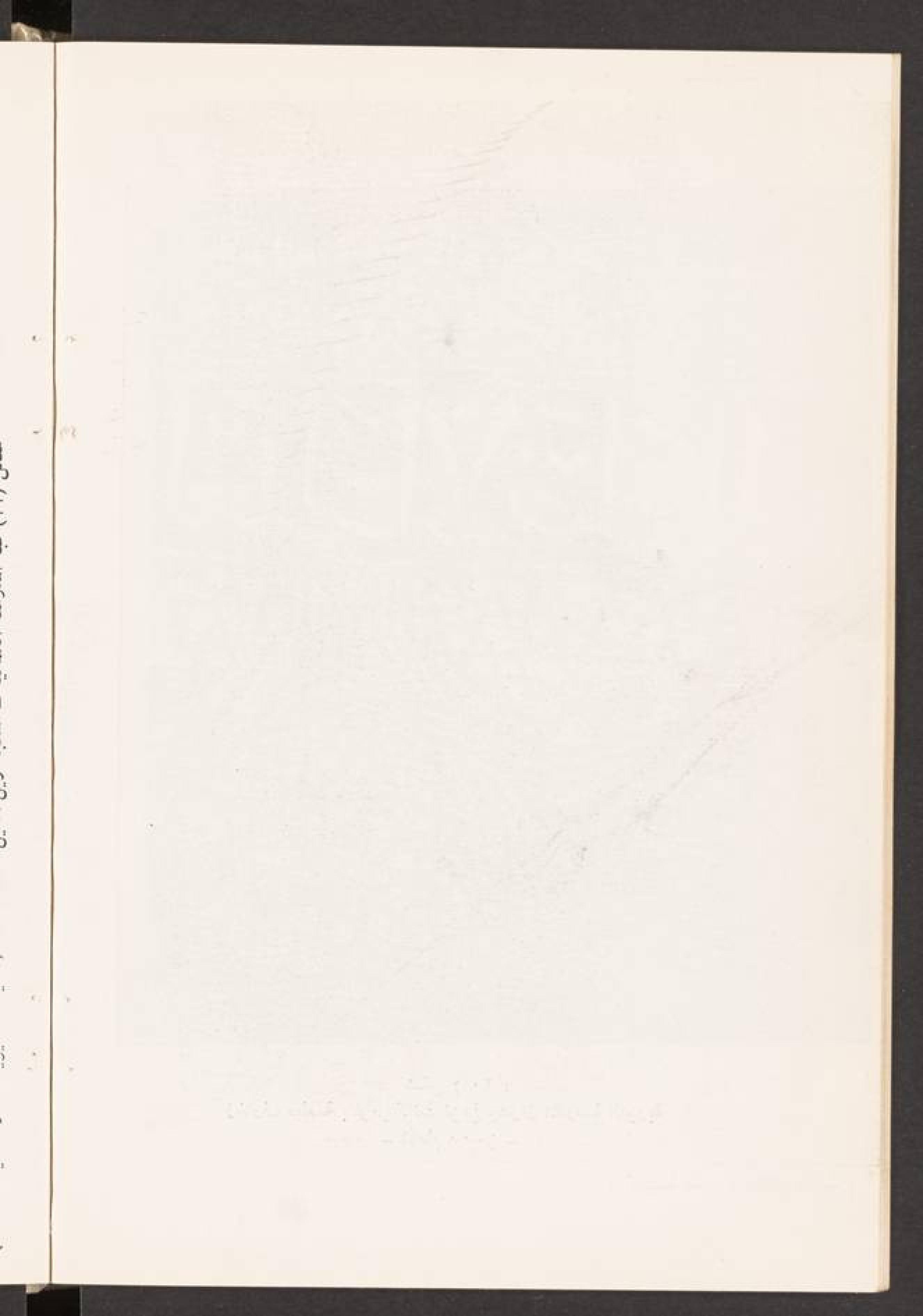
شكل (١٩)
قبة مشهد الامام يحيى بن القاسم

(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



شكل (٢٠)
زخارف مطعمة بالمرمر كانت تزين جدران المدرسة النورية
ـ الامام محسن ـ

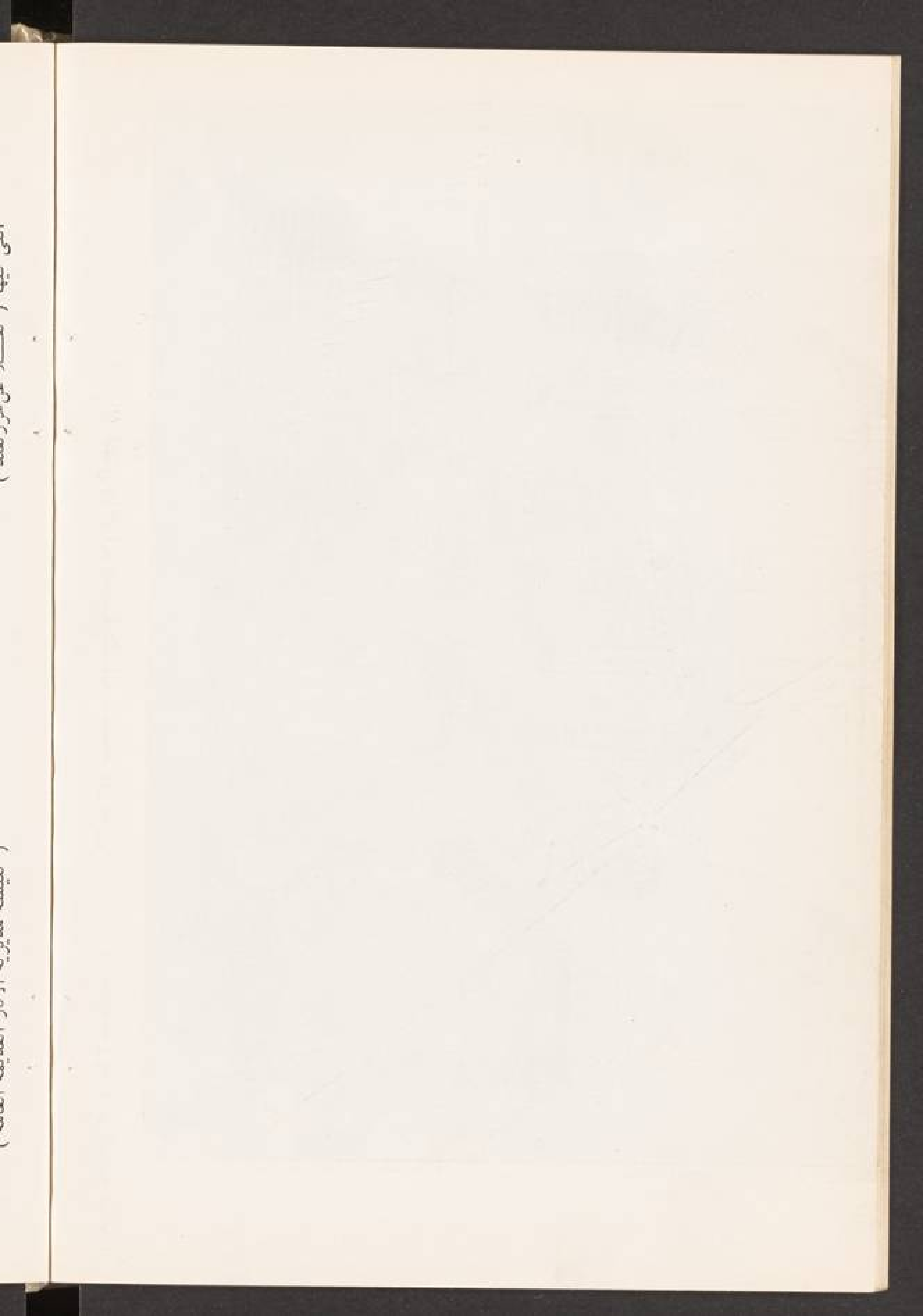
(كليشة مديرية الآثار العامة)

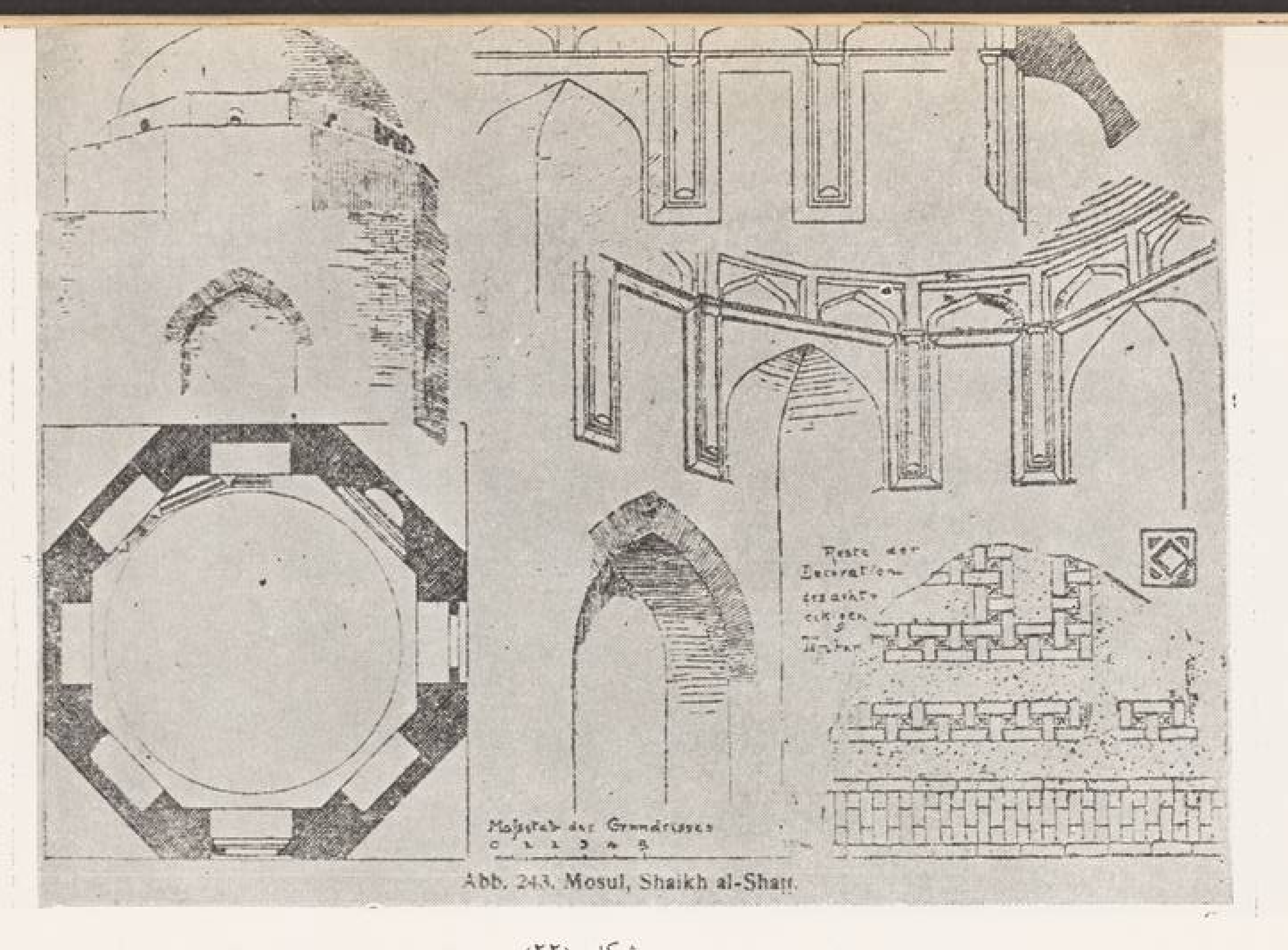




شكل (٢١) قبة المدرسة الكمالية ـ مسجد زين الدين

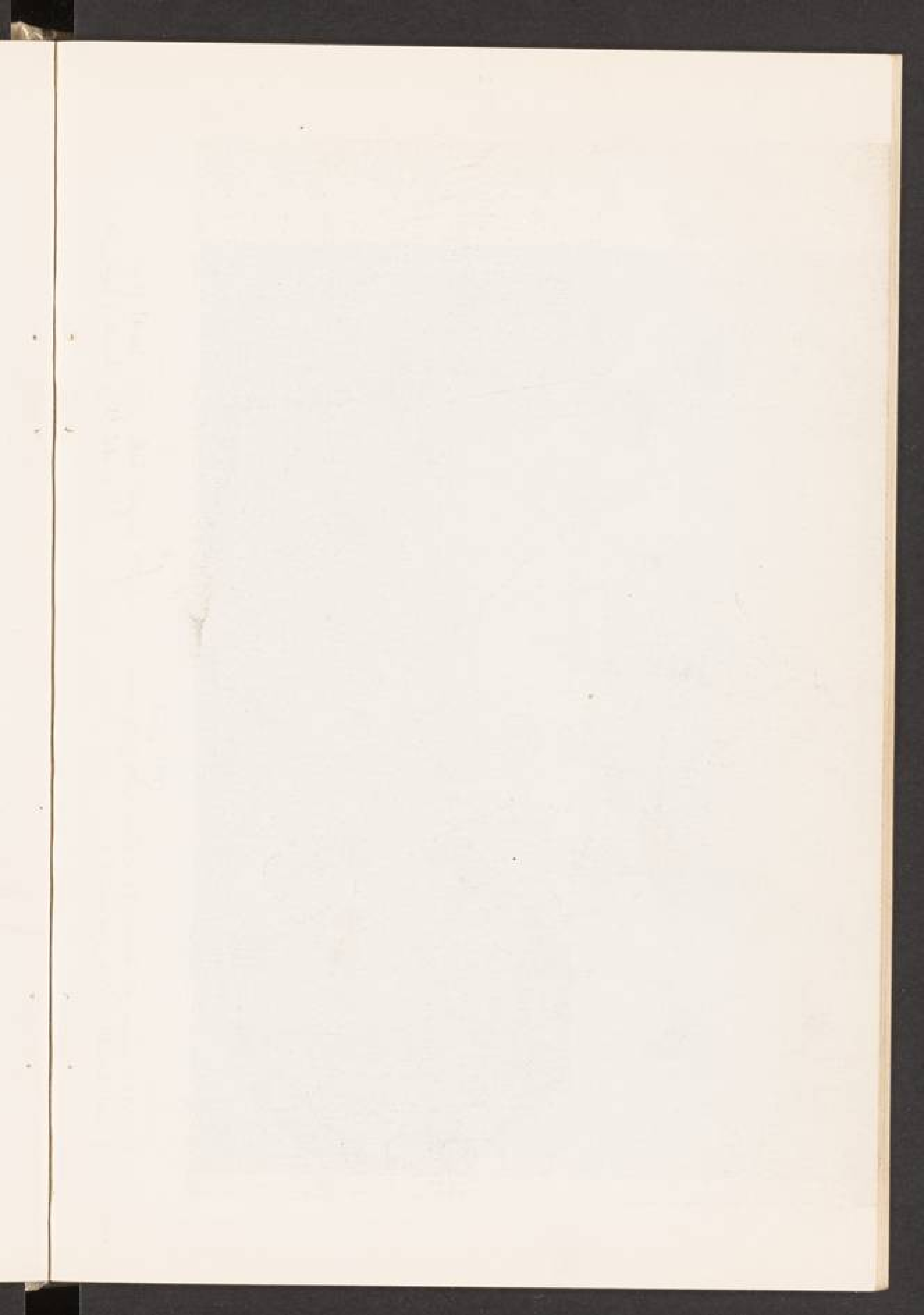
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)

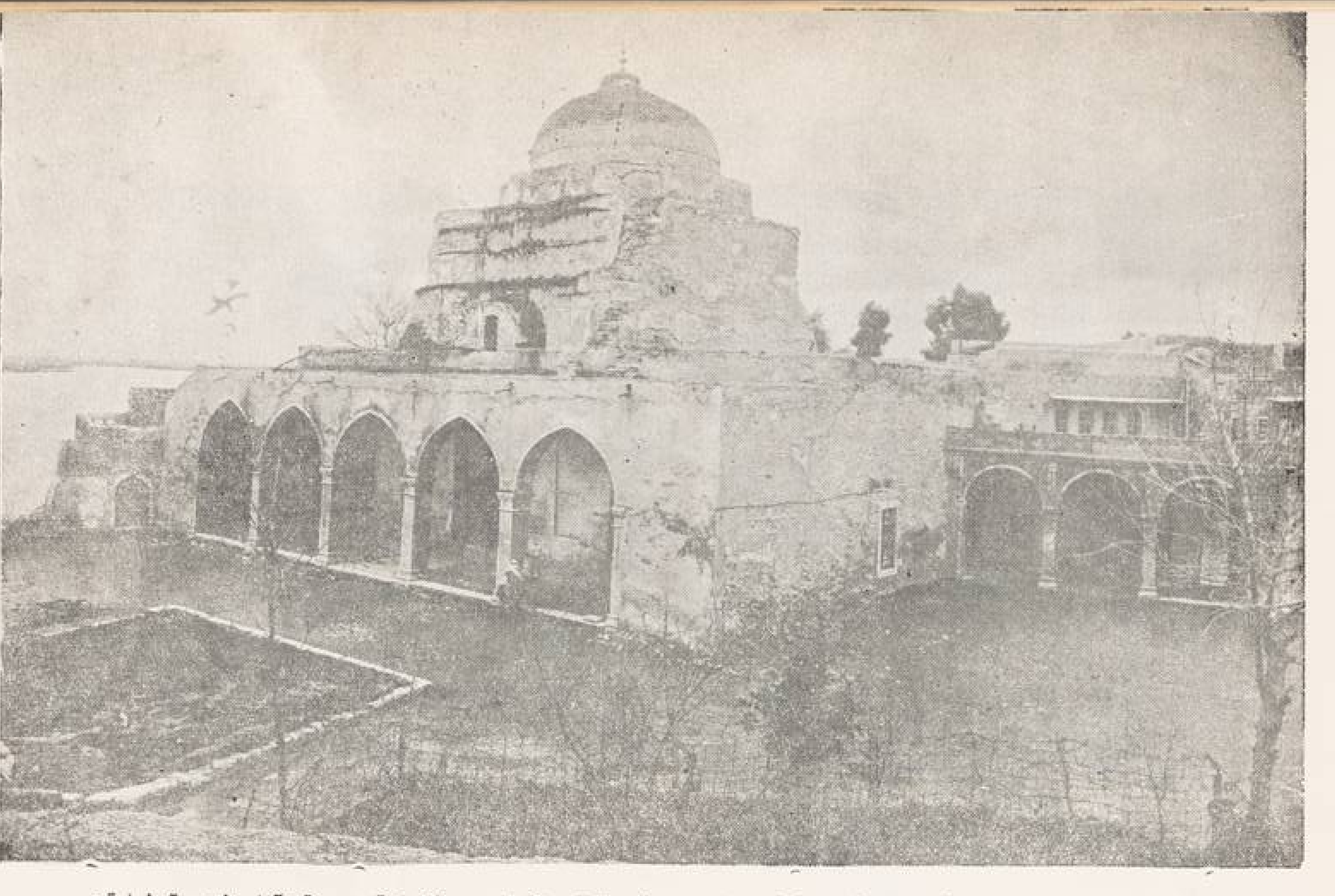




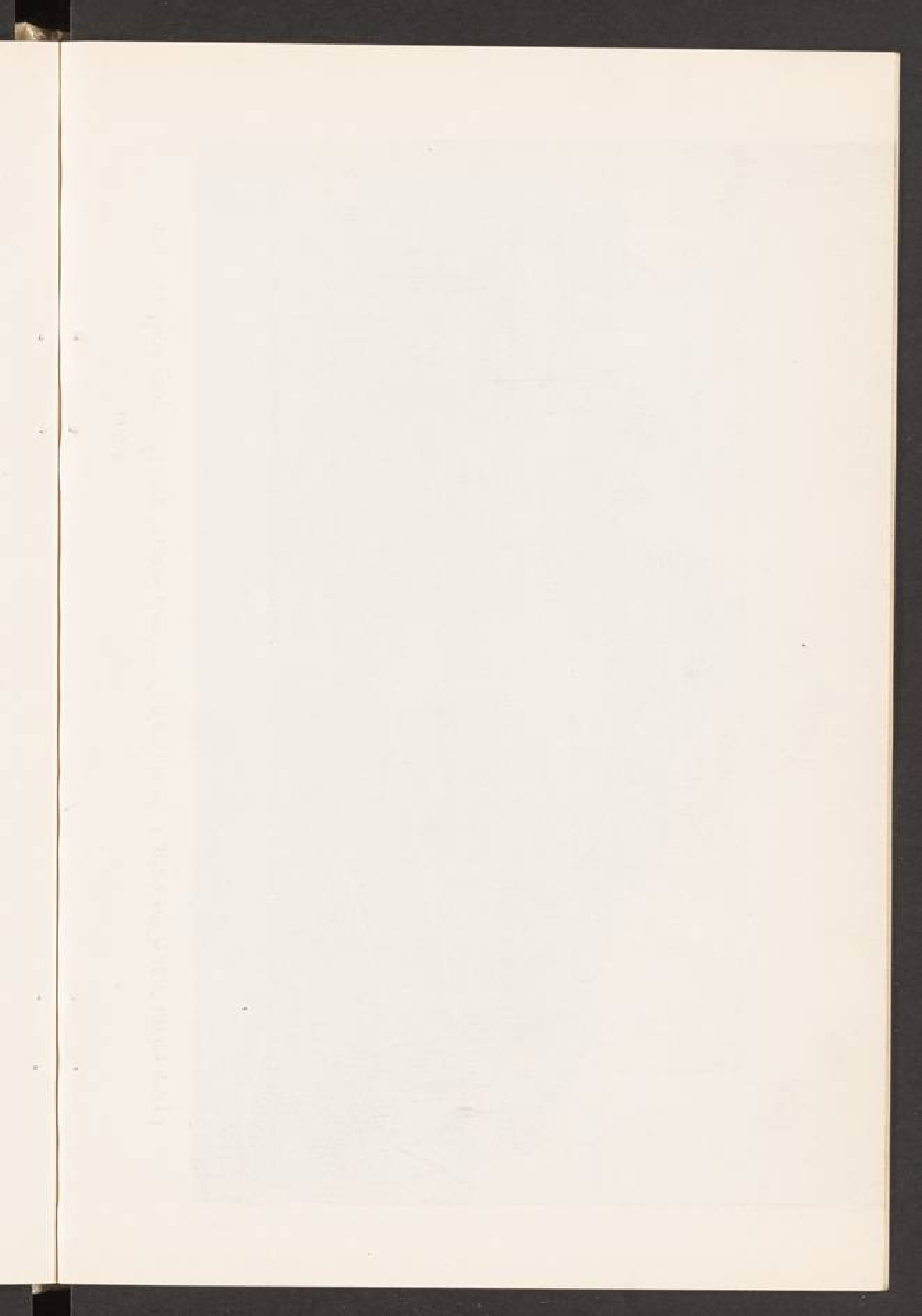
شكل (٢٢)

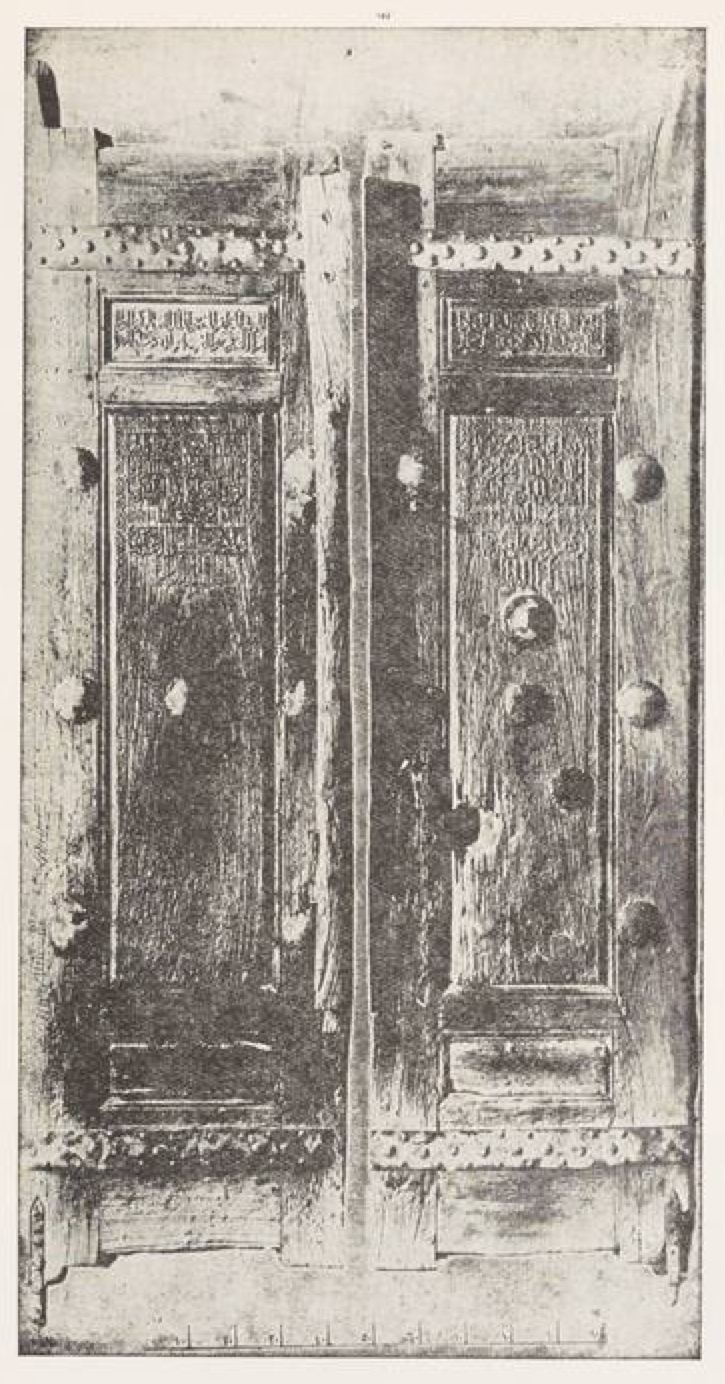
(١) مخطط خارجي لقبة المدرسة الكمالية (٢) مخطط داخلي للقبة المذكورة (٣) مخطط المقرنصات ، والزخارف التى فيها (نقـــلا عن هرزتفلد) (كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)





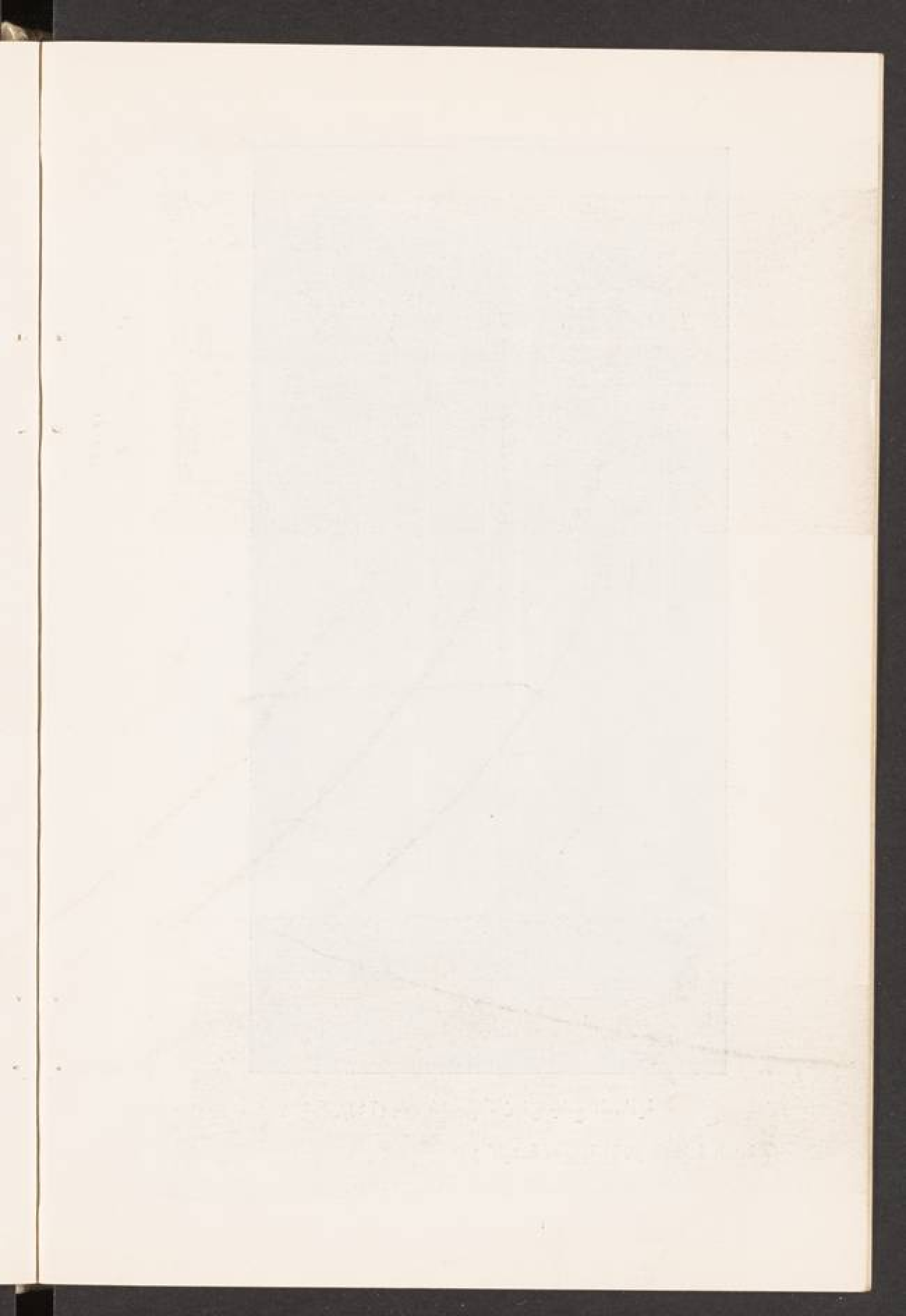
شكل (٢٣) جامع مجاهد الدين قيماز ـ الجامع الاحمر ـ فى الوقت الحاضر (كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)

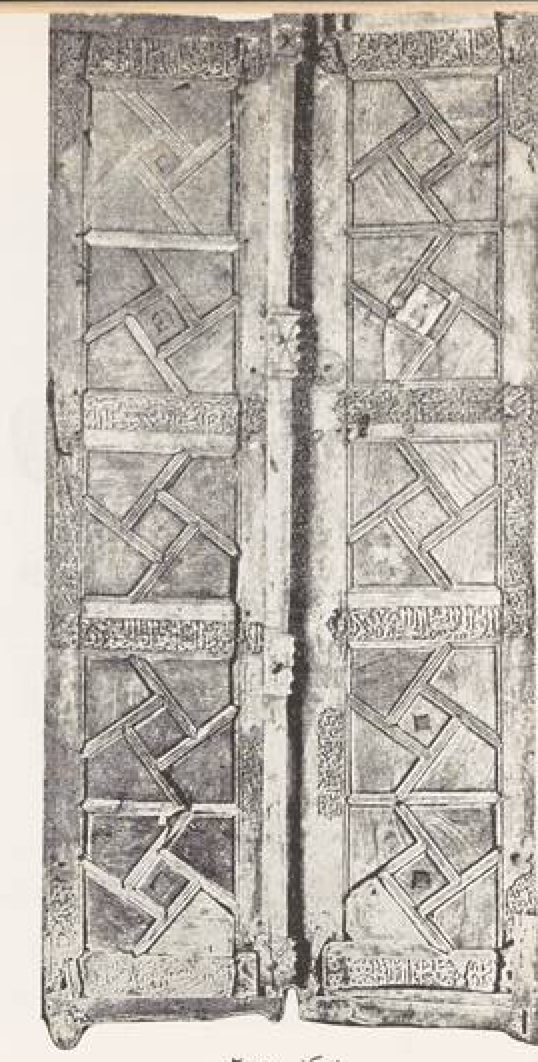




شكل (٢٤) باب خشبي كان في جامع العمادية

(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)

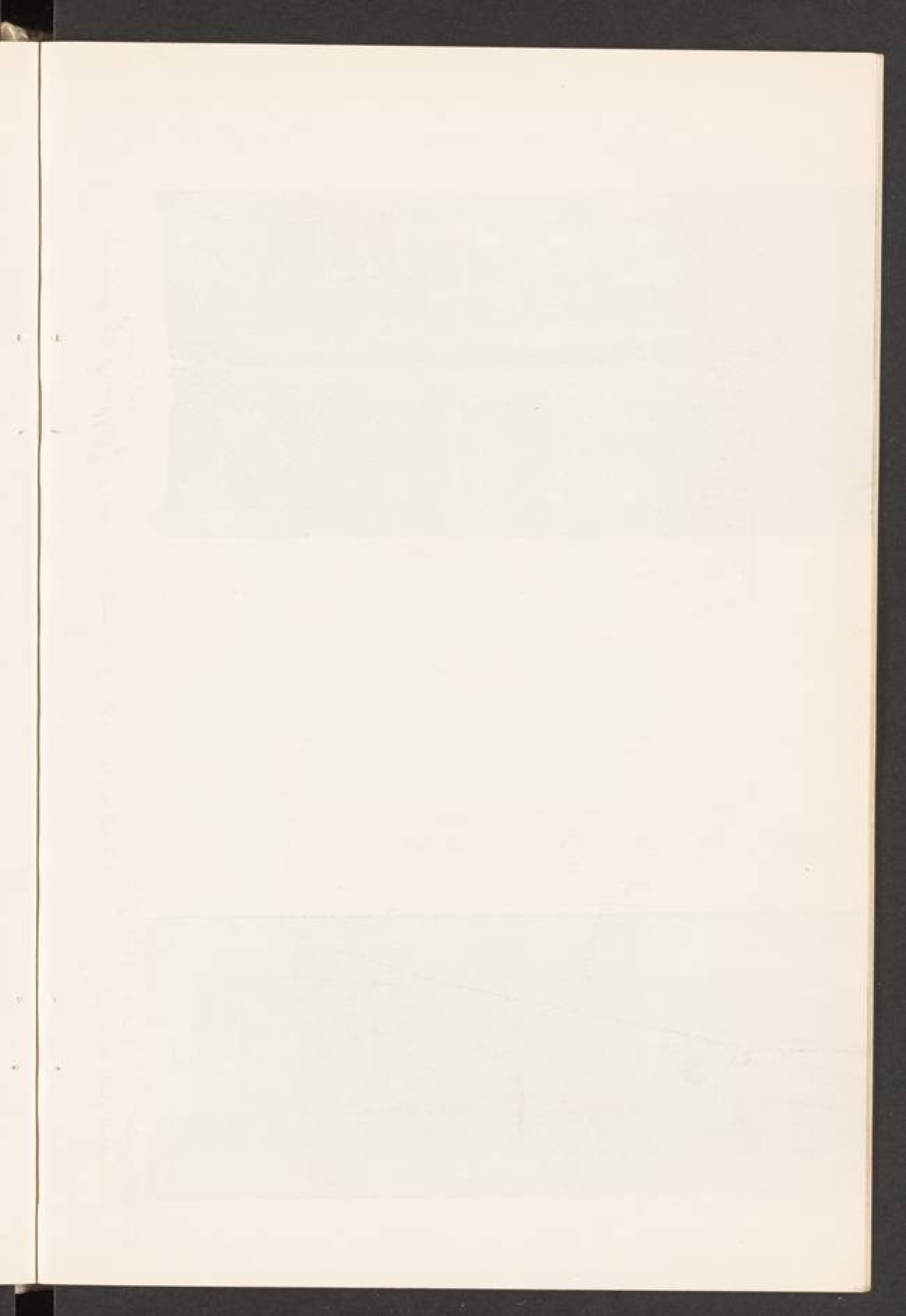


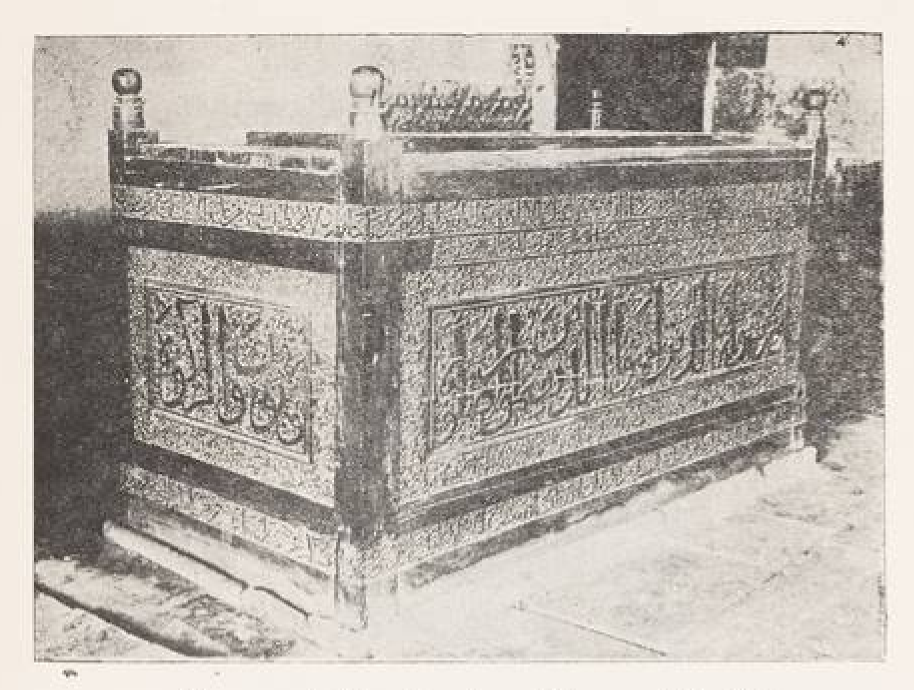


شكل (٢٥)
باب خشبى كان فى مقام الامام ابراهيم

(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)

شكل (٣٦) مصراع الباب الخشبى الذى كان
فى مشهد الامام الباهر

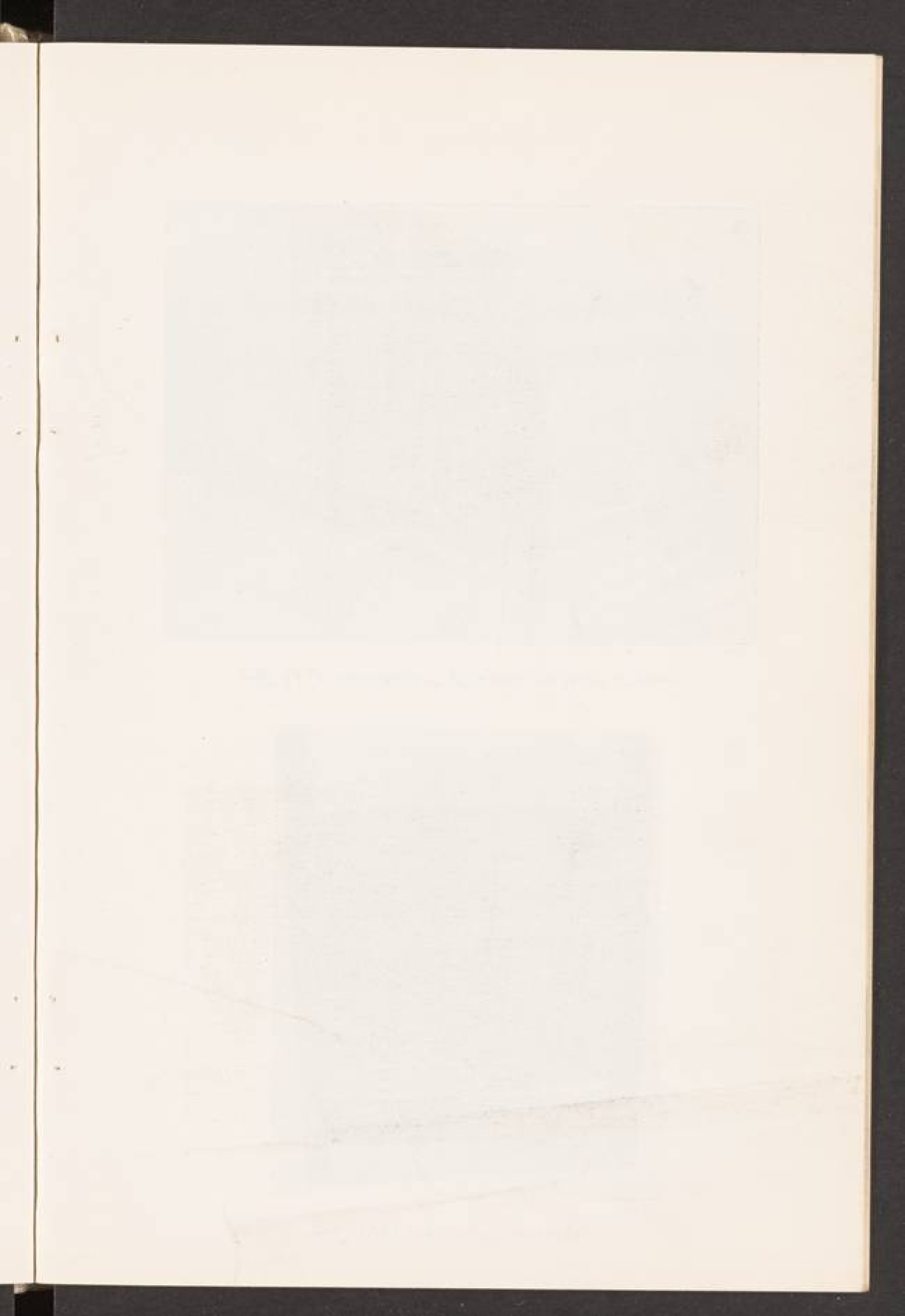




شكل (٢٧) صندوق خشبى فى مشهد الامام يحيى بن القسم



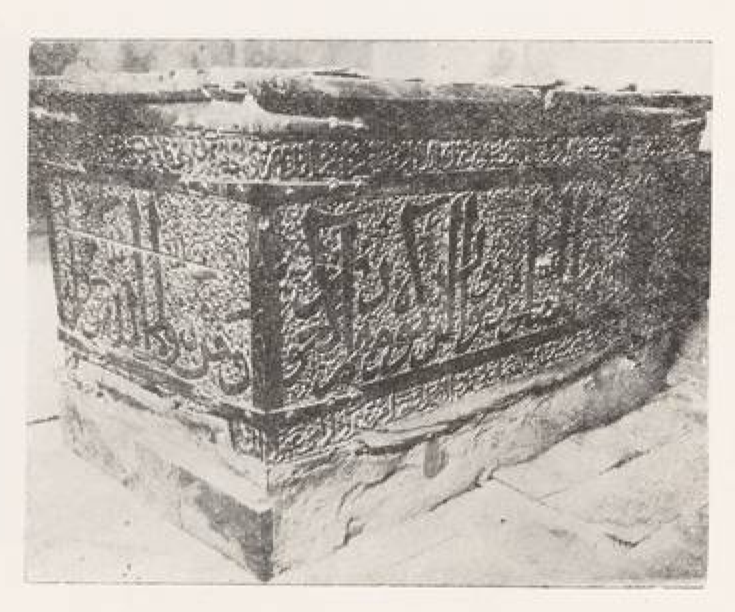
شكل (٢٨) منظر جانبى للصندوق





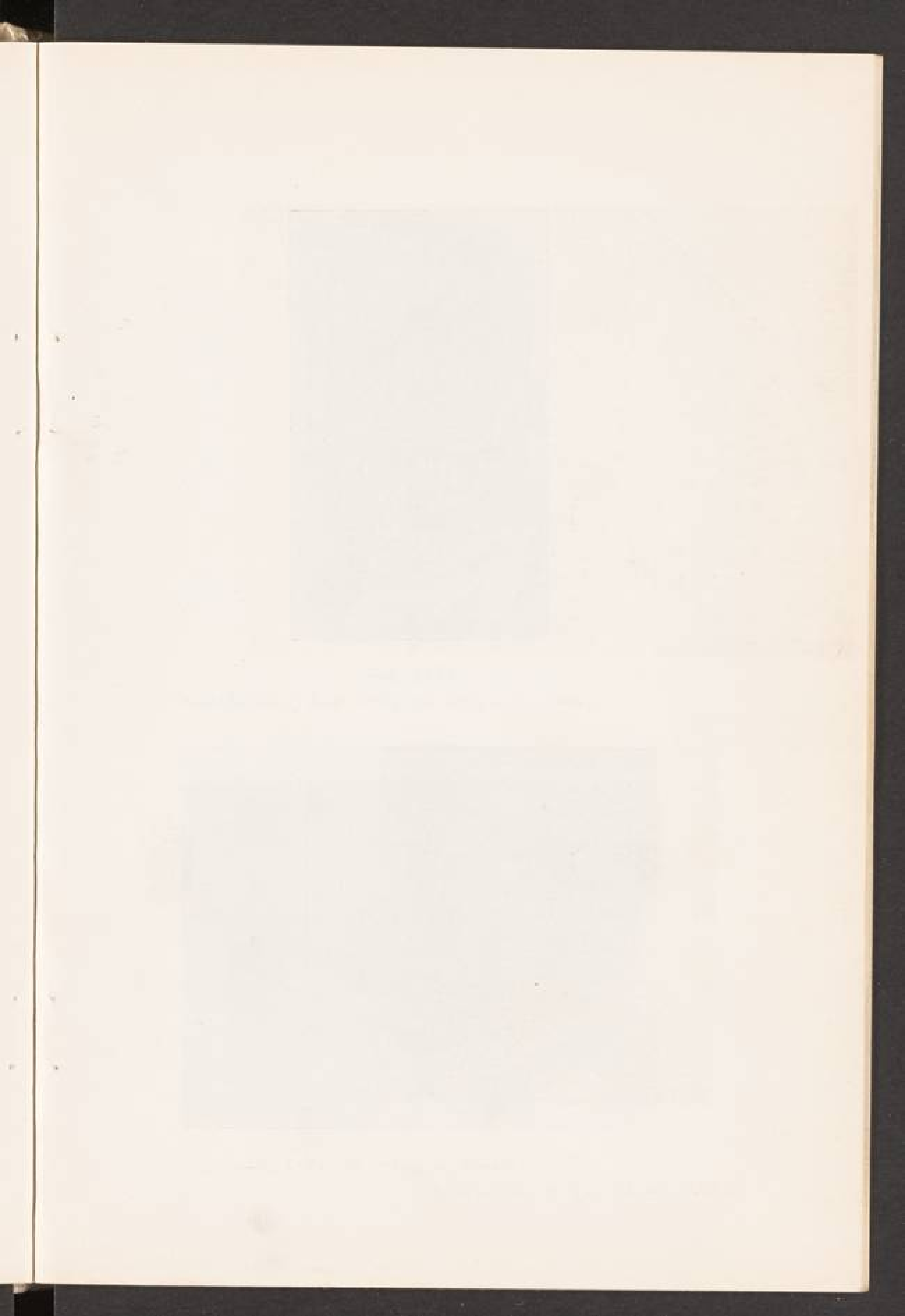
شكل (٢٩)

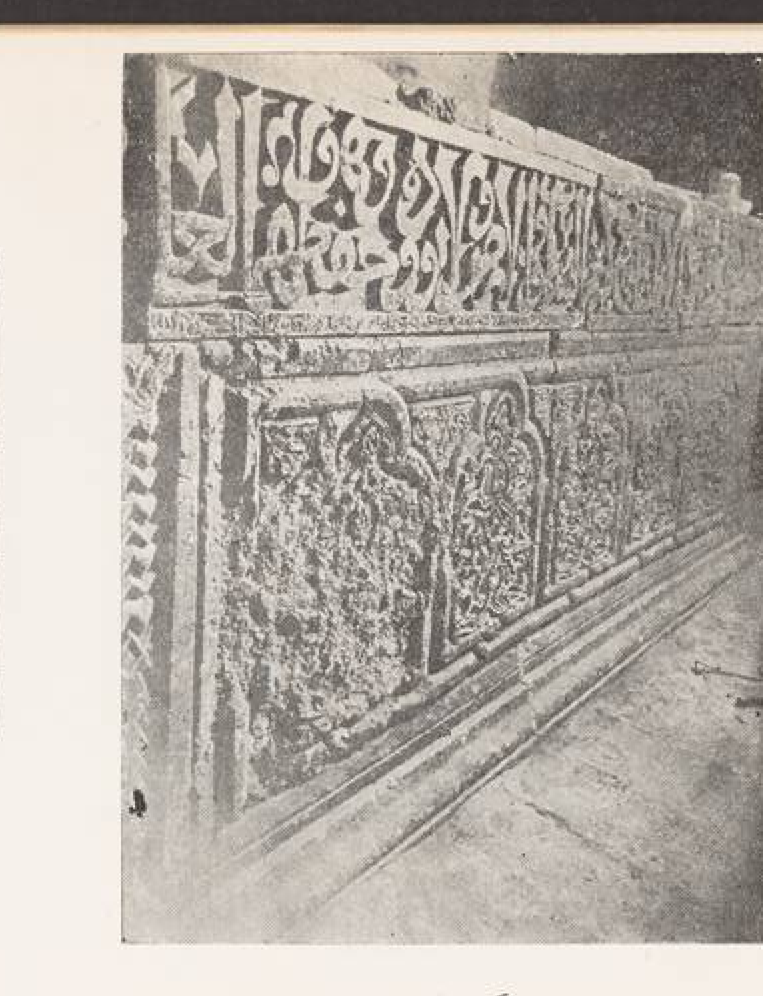
صندوق خشبى لمشهد الامام عون الدين – ابن الحسن –



شكل (٣٠) منظر جانبى من الصندوق المذكور

(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



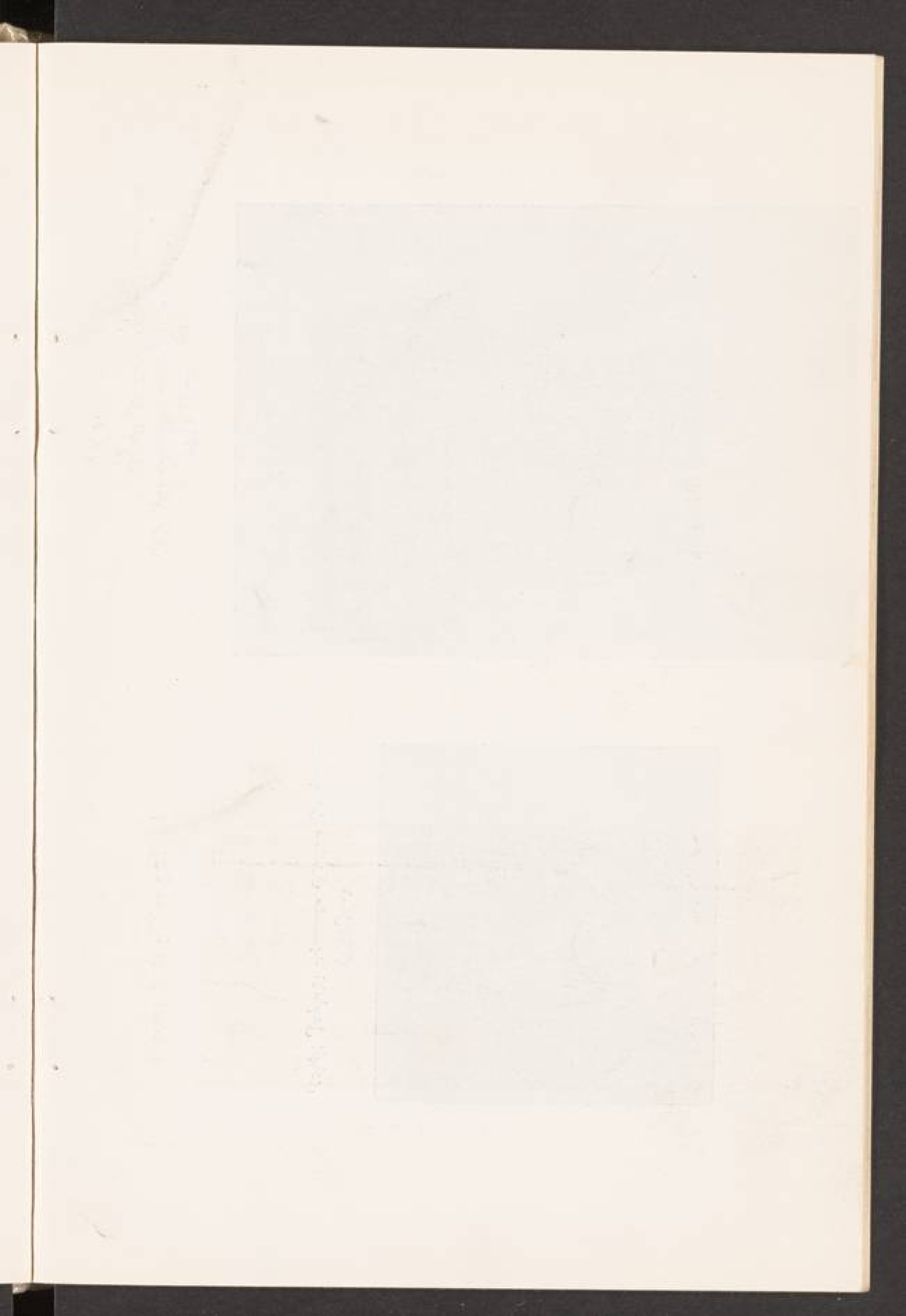


شكل (٣١)
نموذج من الزخارف والكتابات التى تزين
ظاهر صندوق مشهد الامام على الهادى



شكل(٣٢)
جانب من صندوق مشـــهد الامام على الهادى

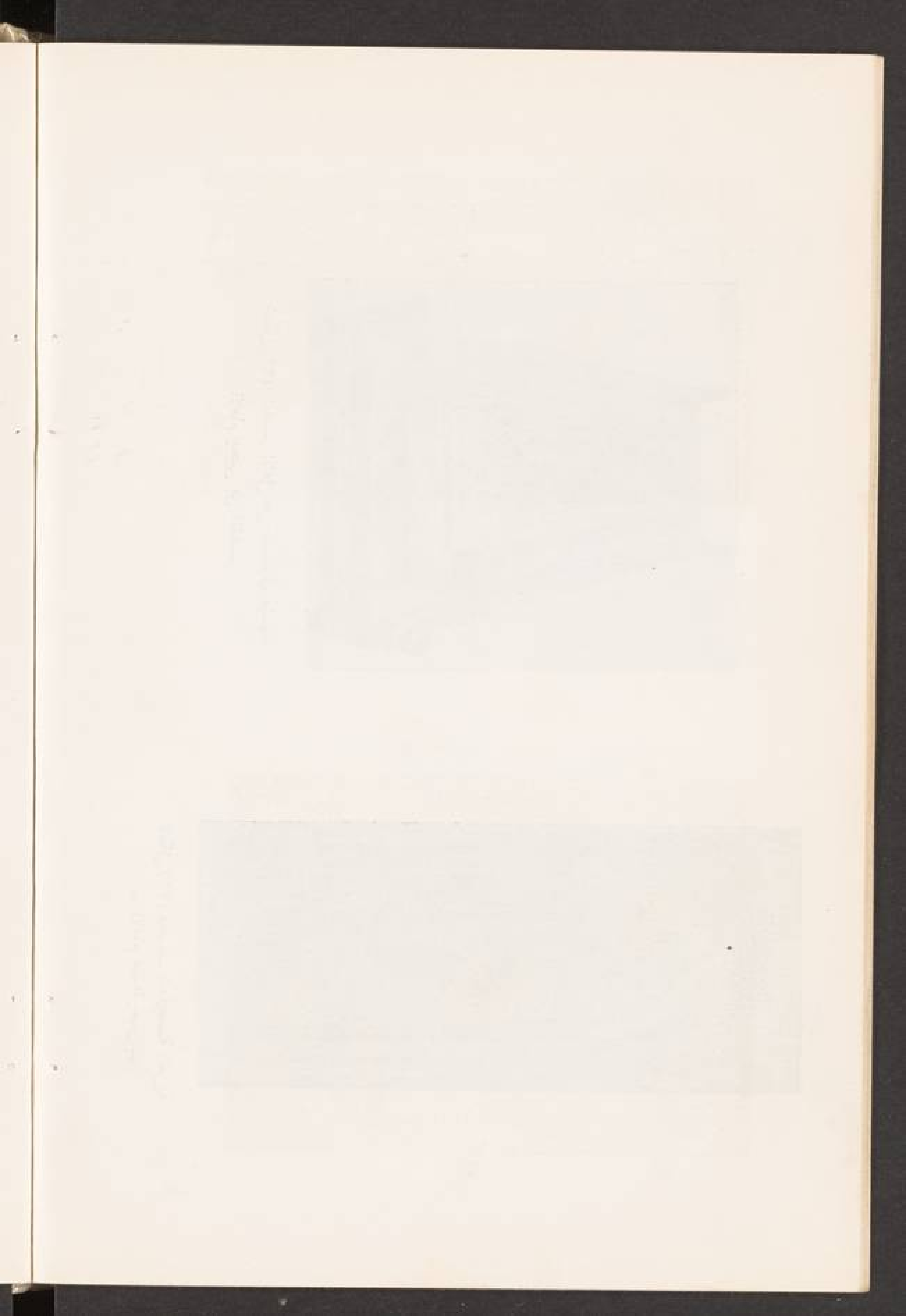
(كليشة مديرية الآثار العامة)





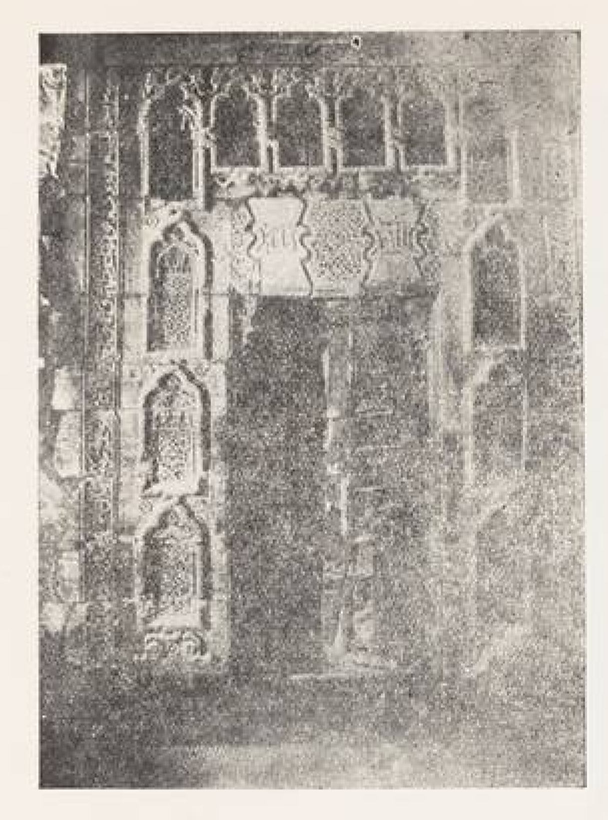
شكل (٣٣) القسم الاعلى من صندوق مشهد
الامام يحيى بن القاسم

شكل (٣٤) محراب المدرسة العزية
ـ الامام عبدالرحمن ـ

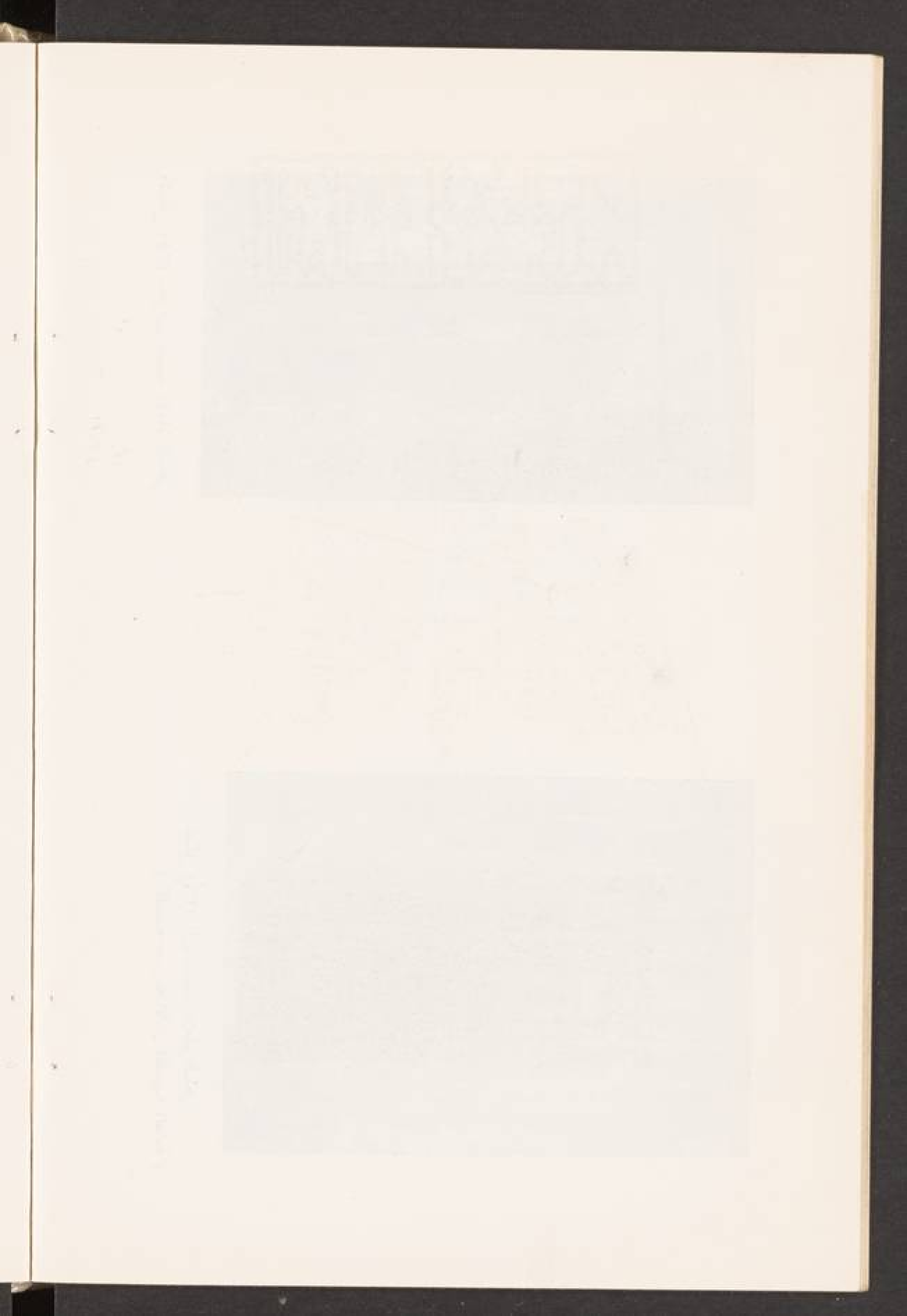


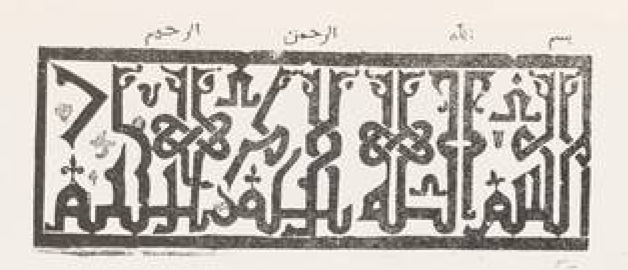


شكل (٣٥) محراب مشهد الامام الباهر

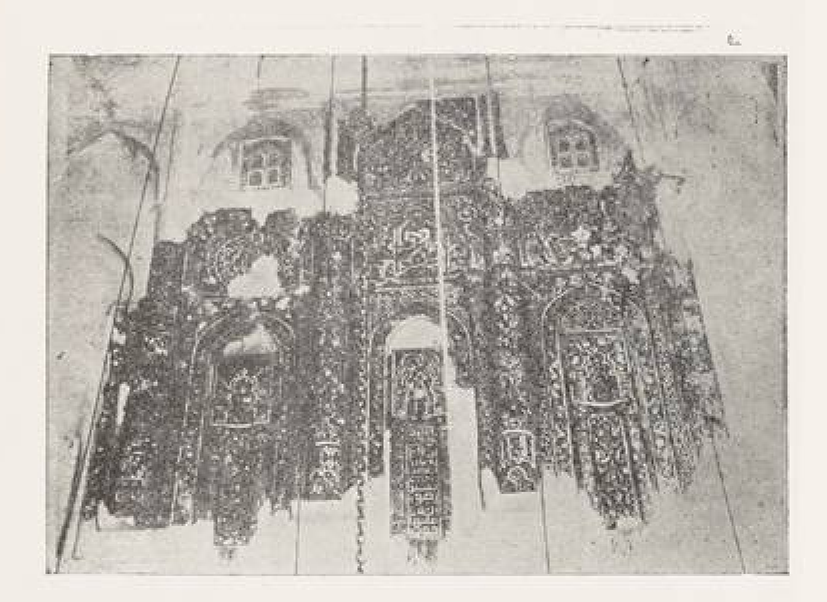


شكل (٣٦) باب مشهد الامام الباهر
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)





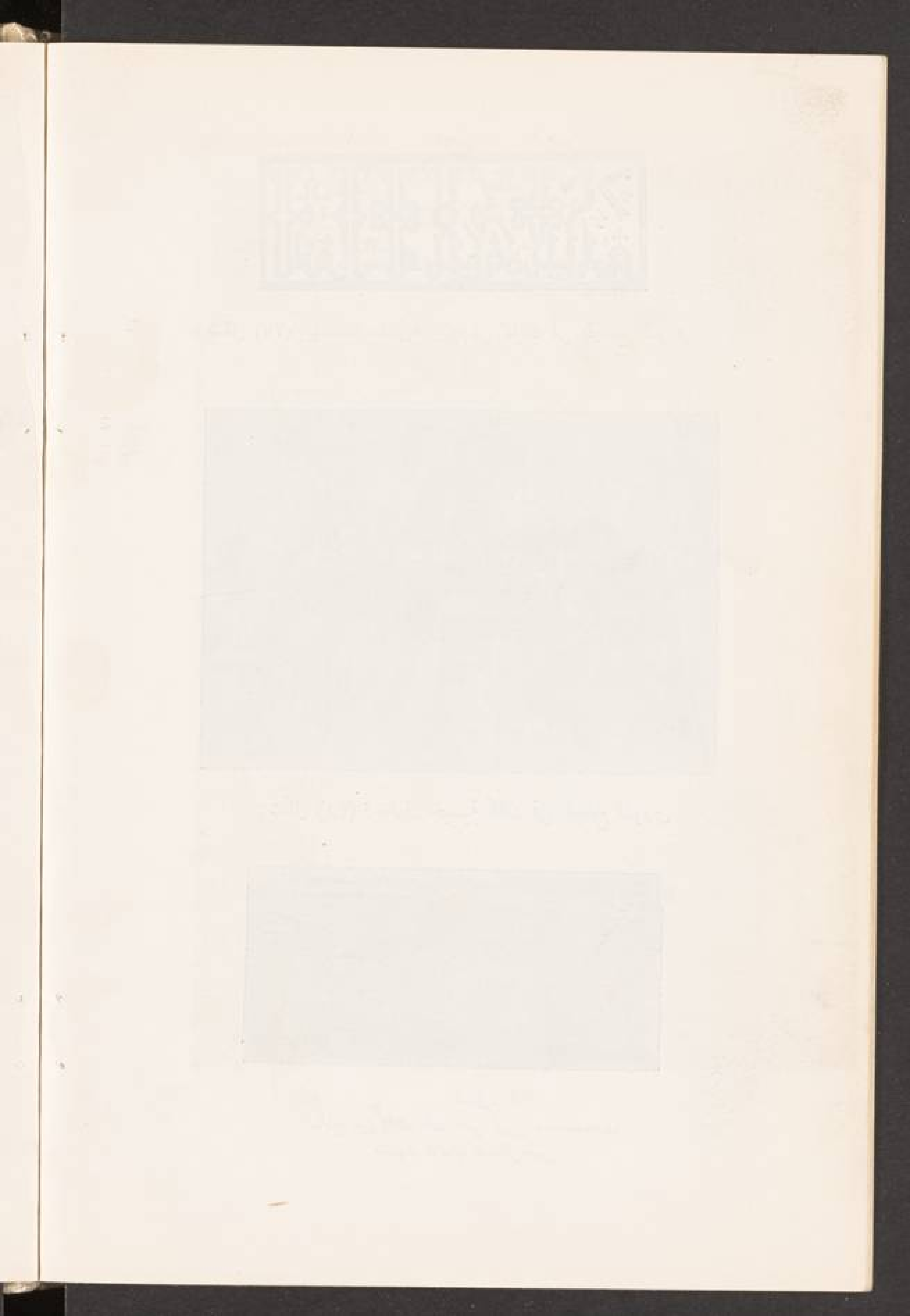
شكل (٣٧) البسملة مكتوبة بالجبس كانت فى الجامع النورى

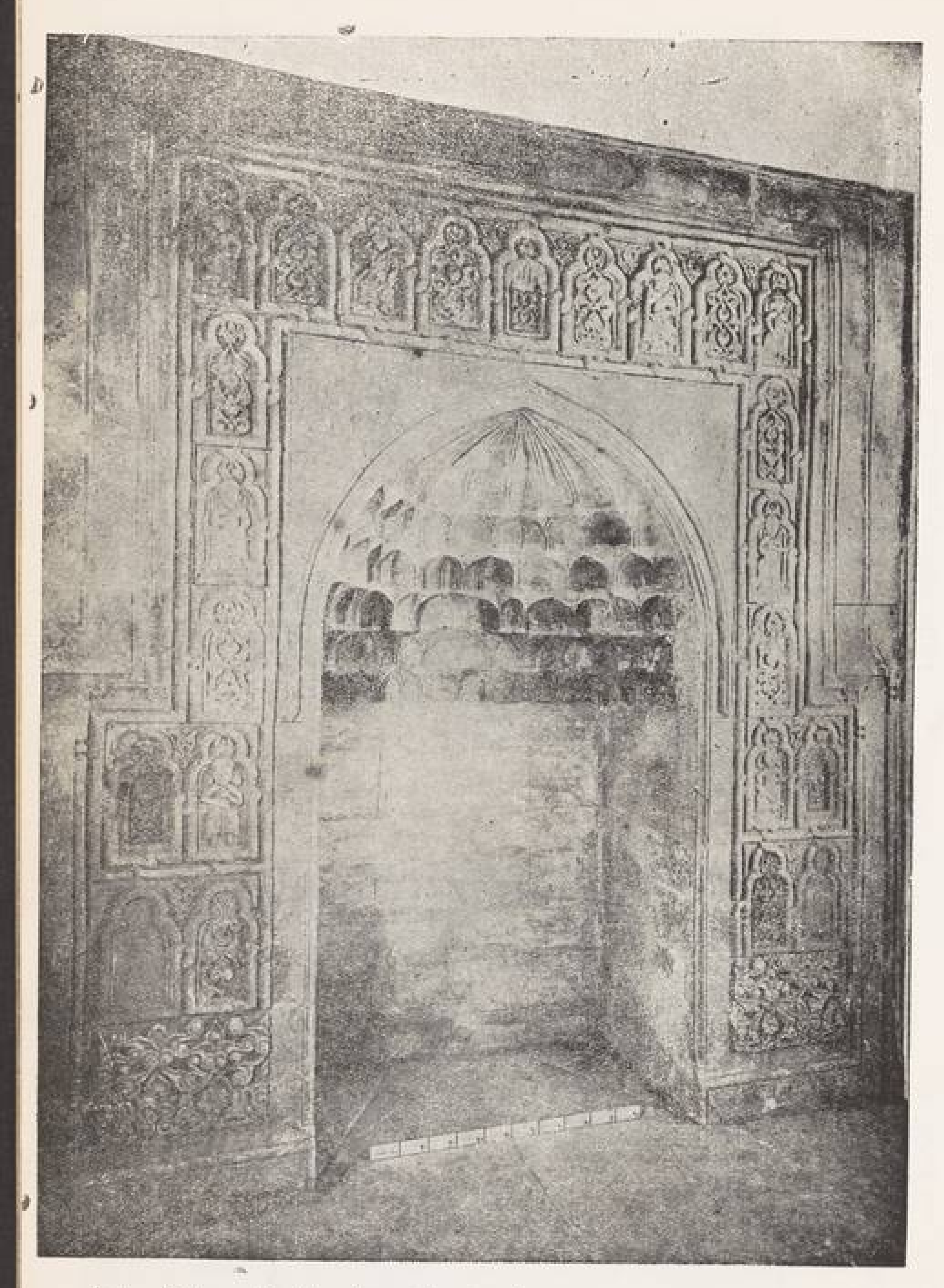


شكل (٣٨) زخارف جبسية كانت فى الجامع النورى

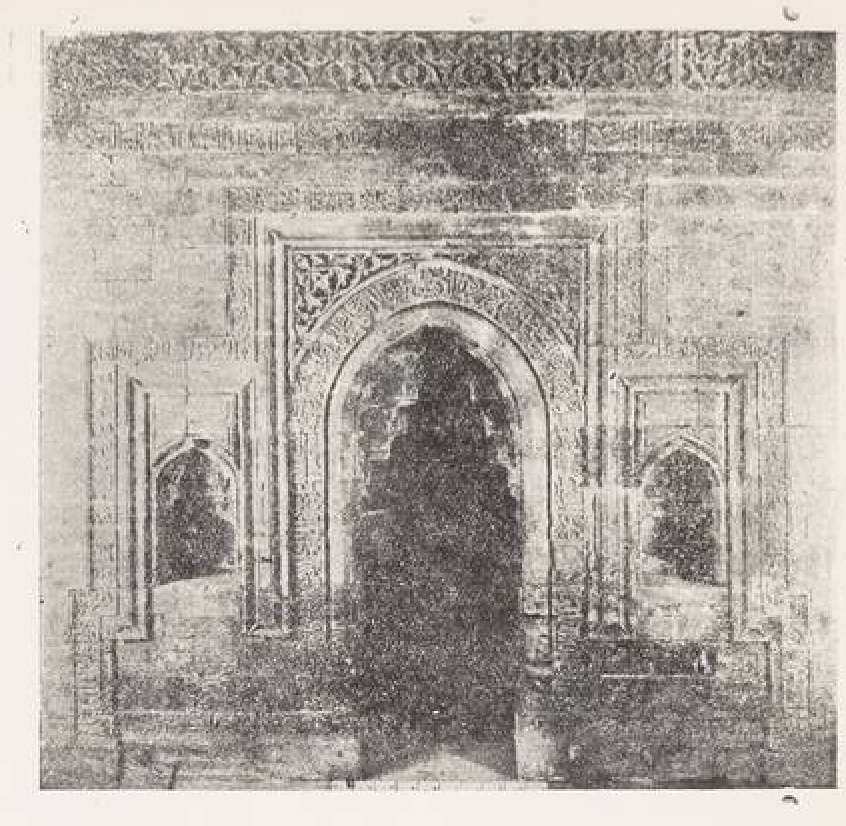


شكل (٣٩)
نماذج من الكتابات التى تزين صنـــدوق
مشهد الامام عبدالرحمن



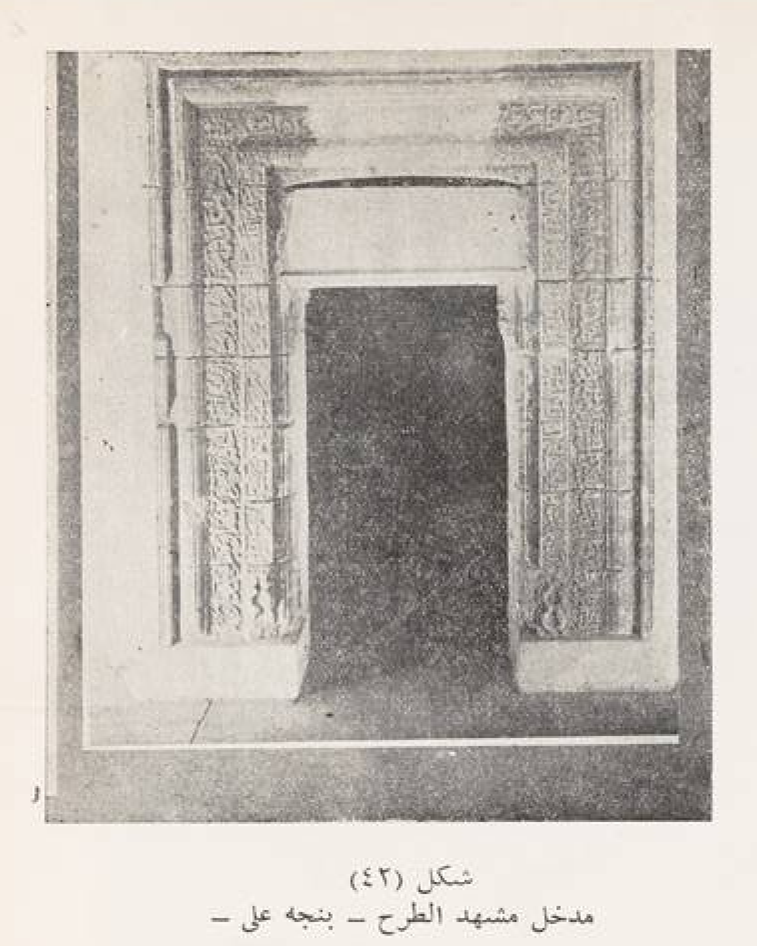


شكل (٤٠) محراب مزين بصور محفورة حوله ـ عثر عليه خارج مدينة سنجار ـ
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



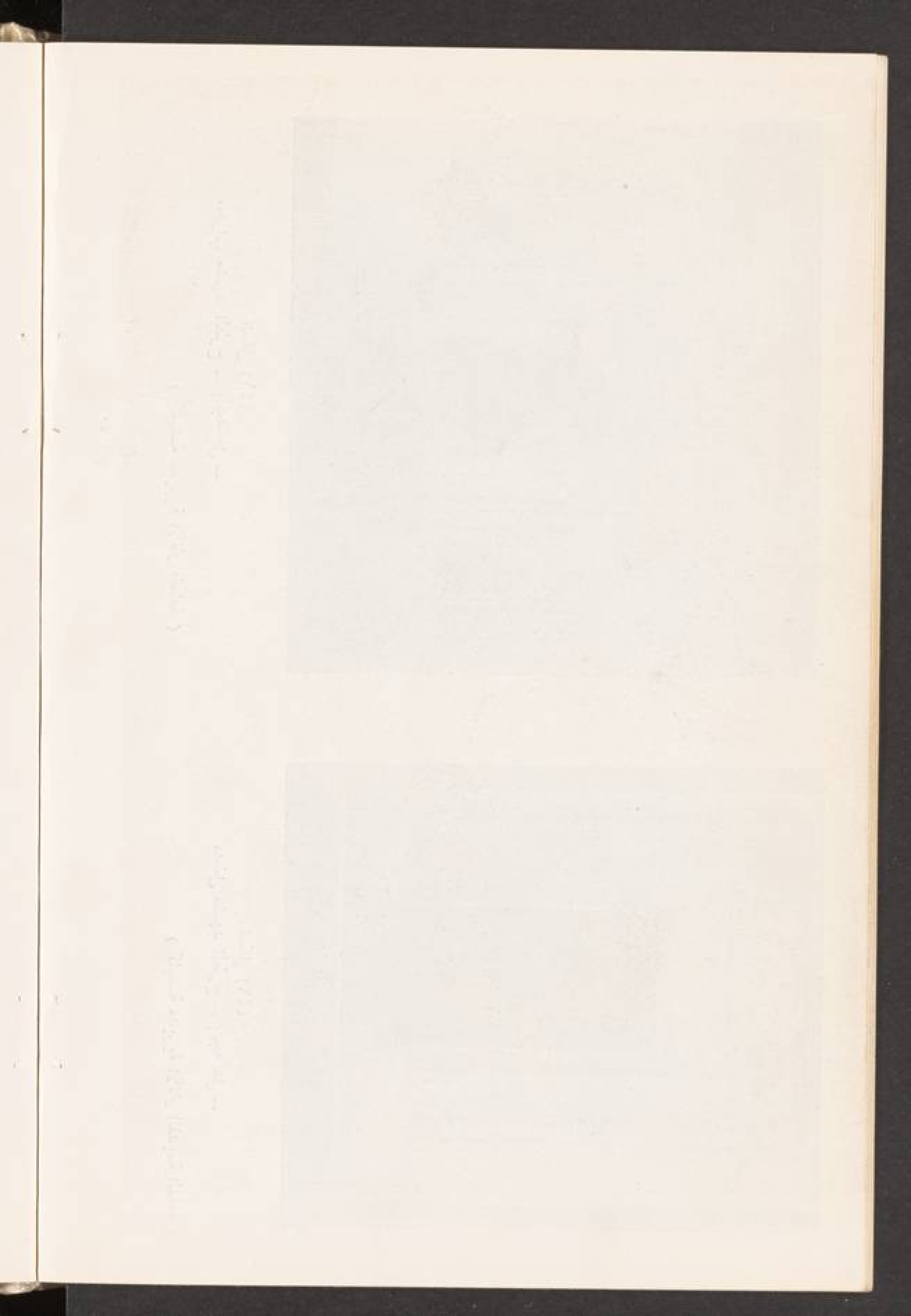
شكل (٤١)
محراب مشهد الطرح – بنجه على –

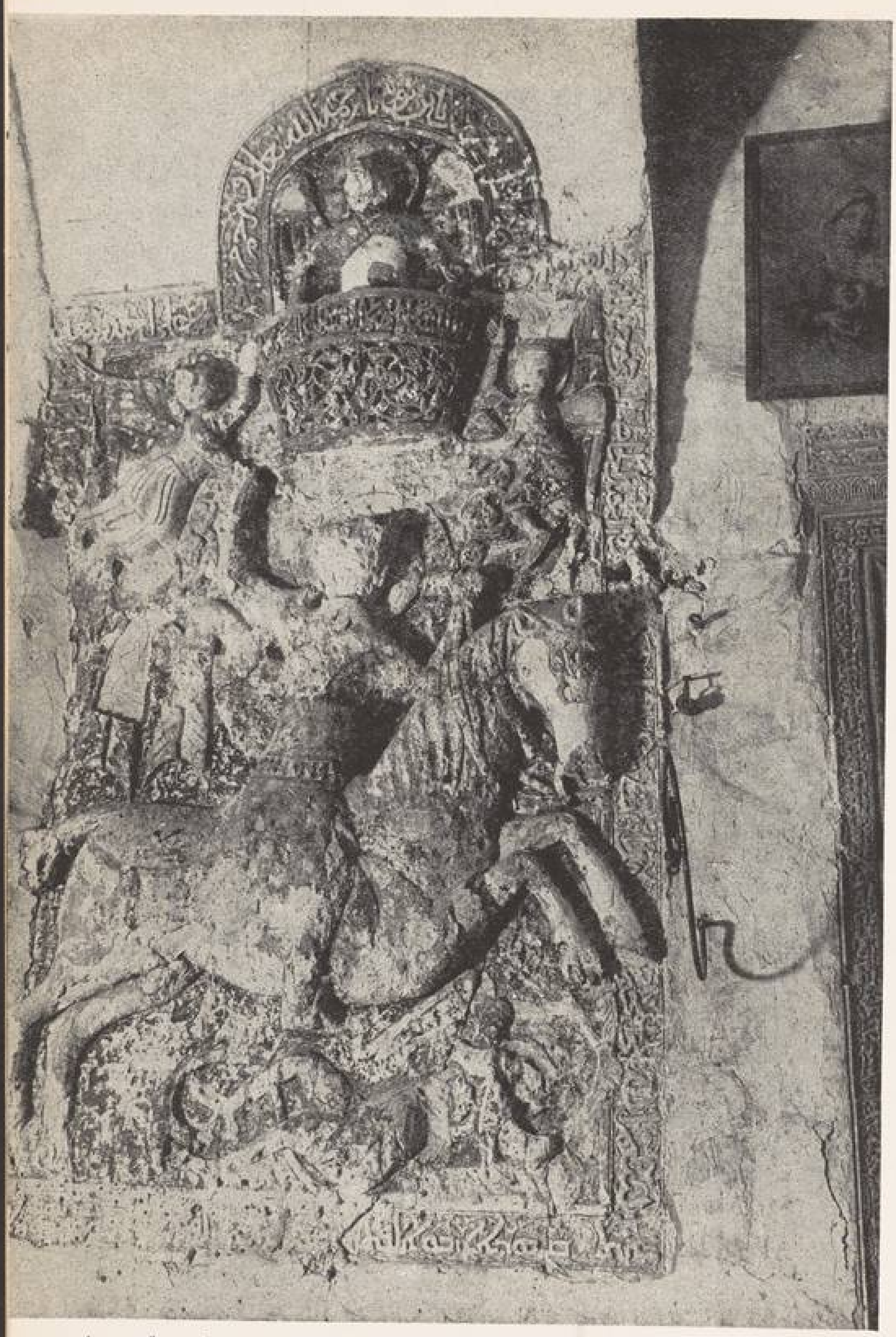
(كليشة مديرية الآثار العامة)



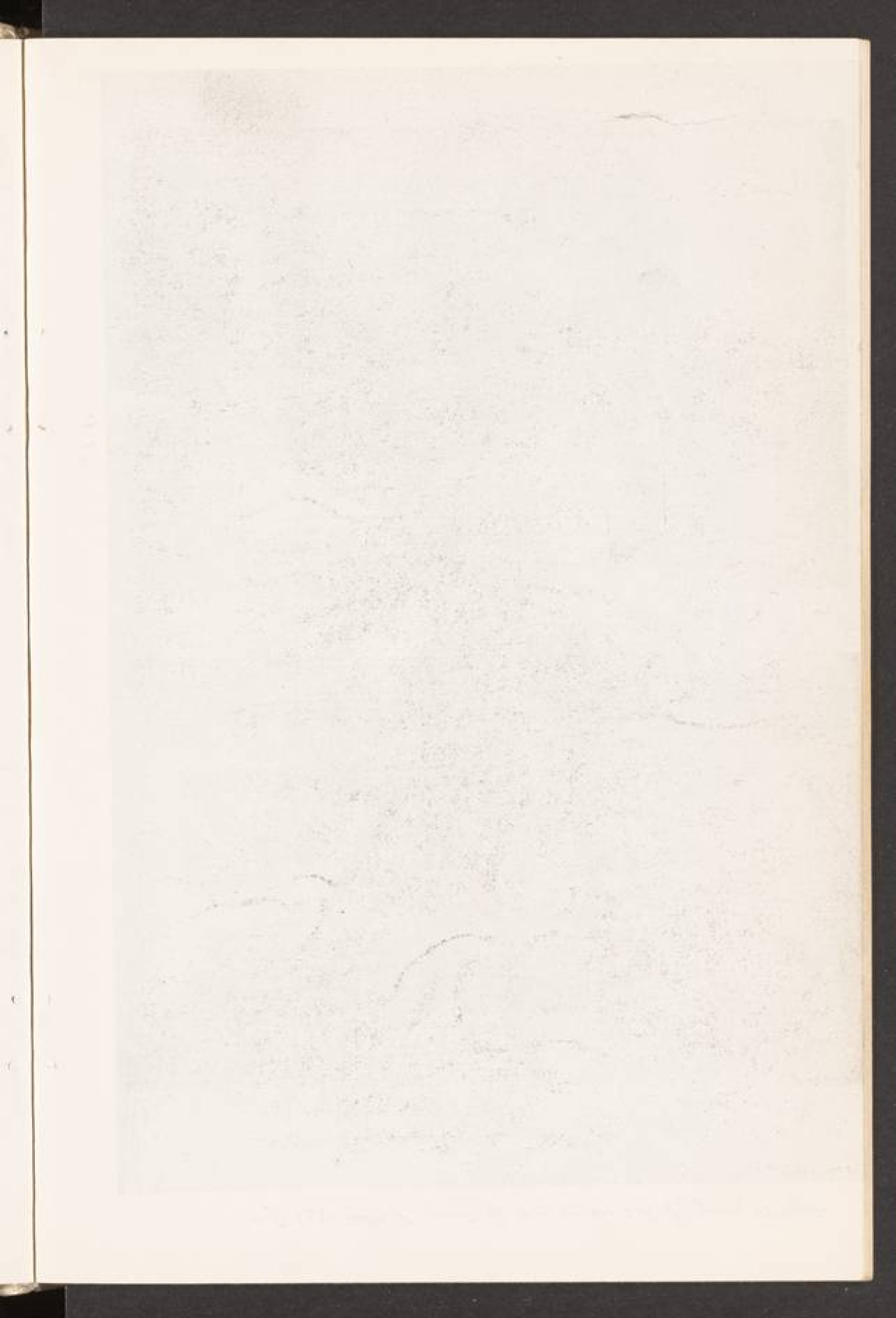
شكل (٤٢)
مدخل مشهد الطرح – بنجه على –

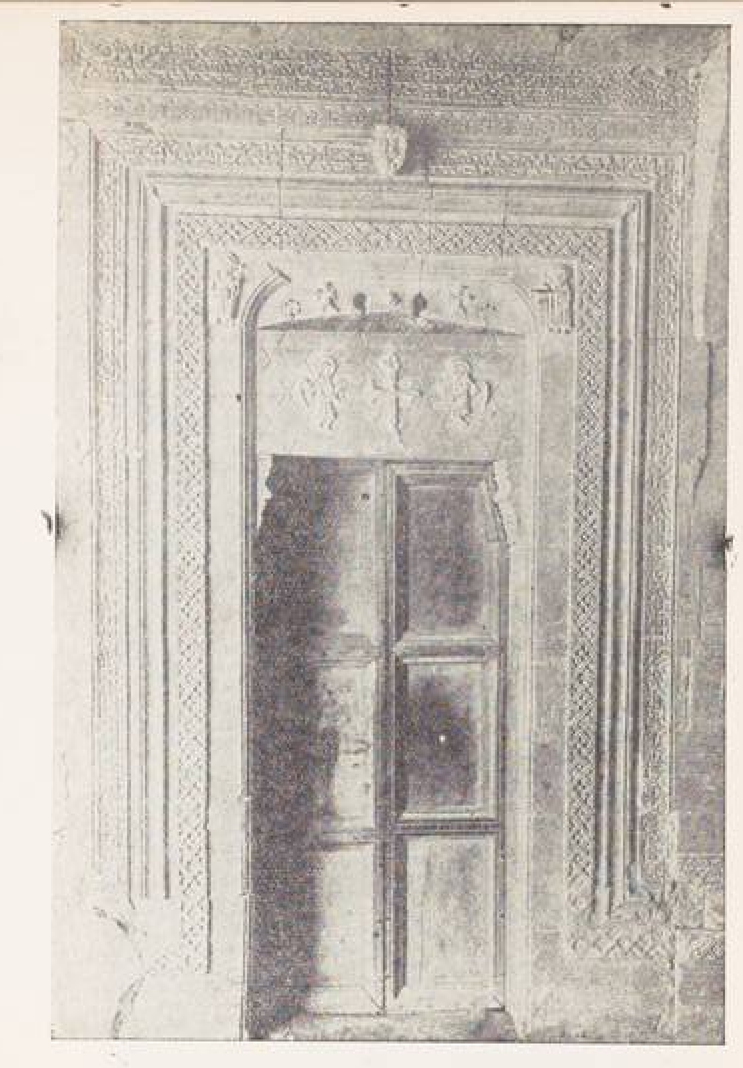
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



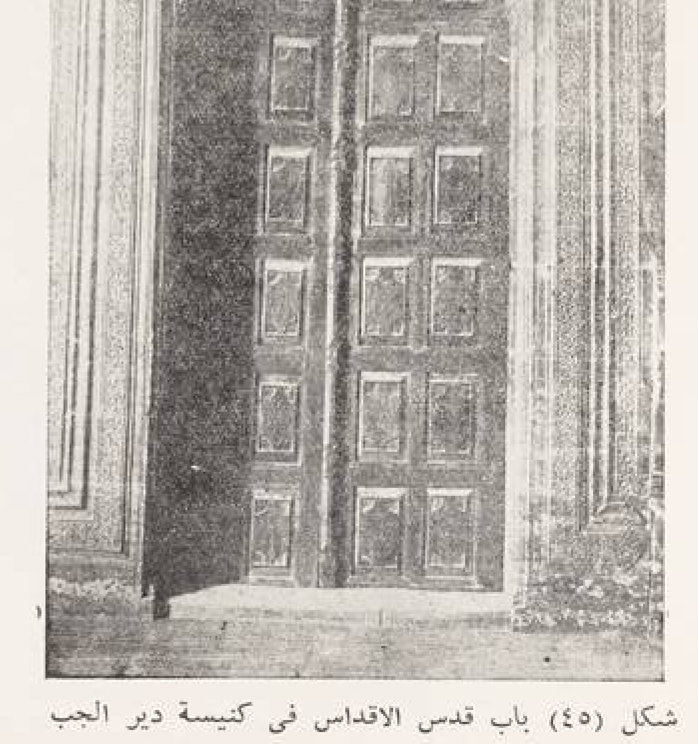


شكل (٤٣) تمثال من الجبس لمار بهنام الشهيد وهو في كنيسة دير الجب





شكل (٤٤) الباب الايسر لكنيسة دير الجب



شكل (٤٥) باب قدس الاقداس فى كنيسة دير الجب

شكل (٤٦) تمثال الاميرة سارة ـ وهو فى دير الجب

شكل (٤٧) ضريح مار بهنام ـ فى دير الجب ـ



شكل (٤٦) تمثال الاميرة سارة ـ وهو في دير الجب

شكل (٤٧) ضريح مار بهنام ـ في دير الجب ـ



قلاع الموصل ودور الإمارة فيها

١- الجامع الأموي	٦- الجسر الخشبي
٢- باب القلعة	٧- قصور الاتابكيين
٣- باب السر	٨- قلعة الموصل - القلعة الاتابكية
٤- ايج قلعة - القلعة الداخلية	٩- باب شط القلعة
٥- باب الجسر	١٠- باب السر

شكل (٥٣)

المصـــادر

آدم متز ـ

١ ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى .

ابن ابى اصيبعة (احمد بن القاسم) .

٢ ـ عيون الانباء فى طبقات الاطباء ـ مصر سنة ١٩٢٩ هـ.

ابن الاثير (عز الدين) .

٣ ـ اسد الغابة فى اخبار الصحابة ـ مصر

٤ ـ الباهر فى اخبار الدولة الاتابكية ـ مكتبة الحروب الصليبية ـ باريس سنة ١٨٨٦م

٥ ـ الكامل فى التاريخ ـ مصر سنة ١٢٥٠ هـ .

٦ ـ اللباب فى الانساب ـ مصر سنة ١٣٥٧ هـ .

ابن بطوطة (احمد) .

٧ ـ تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ـ مصر سنة ١٣٥٣ هـ .

ابن تغرى بردى (يوسف) .

٨ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ مصر سنة ١٣٥٠ هـ.

ابن جبير (محمد بن احمد) .

٩ ـ رحلة ابن جبير ـ مصر .

ابن الجزرى (شمس الدين محمد) .

١٠ ـ غاية النهاية فى طبقات القراء ـ مصر سنة ١٩٣٣ م .

ابن الجوزى (ابو الفرج عبدالرحمن) .

١١ ـ صفة الصفوة . طبعة حيدر اباد

١٢ ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ـ حيدر آباد سنة ١٣٥٧هـ .

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين احمد) .

١٣ ـ الاصابة فى اخبار الصحابة ـ مصر ١٣٢٥ هـ .

١٤ ـ الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة ـ حيدر آباد سنة ١٣٤٩ هـ .

ابن حوقل (ابو القسم) .

١٥ ـ صورة الارض ـ ليدن سنة ١٩٣٨ م.

ابن الساعى (على بن انجب) .

١٦ ـ الجامع المختصر ـ بغداد سنة ١٩٣٤م. حققه مصطفى جواد (الدكتور)

ابن خلدون (عبدالرحمن) .

١٧ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ مصر سنة ١٢٨٤ هـ.

ابن خلكان (احمد) .

١٨ ـ وفيات الاعيان ـ مصر ١٣١٠ هـ.

ابن شاكر الكتبى ـ (محمد)

١٩ ـ فوات الوفيات ـ مصر سنة ١٢٩٠ هـ.

ابن شداد ـ (بهاء الدين)

٢٠ ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الايوبى) مصر سنة ١٩٠٧م .

٢١ ـ تكملة اكمال الاكمال (التكميل) حققه الدكتور مصطفى جواد بغداد سنة ١٩٥٧

ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) .

٢٢ ـ الفخرى فى الآداب السلطانية ـ مصر

ابن طولون ـ (محمد بن على)

٢٣ ـ اللمعات البرقية فى النكت التاريخية ـ دمشق سنة ١٣٤٨ هـ .

ابن عبد الحق ـ (صفى الدين)

٢٤ ـ مراصد الاطلاع فى معرفة الامكنة والبقاع .

ابن العبرى (غريغوريوس)

٢٥ ـ التاريخ الكنسى بالسريانى ـ نشره ابولوس ـ ولامى ـ طبع بلجيكا سنة ١٨٧٢ م ـ مع الترجمة اللاتينية .

٢٦ ـ تاريخ مختصر الدول ـ بيروت سنة ١٨٩٠ م .

ابن العديم (كمال الدين عمر) .

٢٧ ـ زبدة الحلب فى تاريخ حلب ـ طبعة المعهد الفرنسى بدمشق

ابن عساكر (ابو القاسم على بن الحسن) .

٢٨ ـ التاريخ الكبير ـ دمشق سنة ١٣٣٢ هـ .

ابن العماد الحنبلى (عبدالحق) .

٢٩ ـ شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ـ مصر سنة ١٣٥٠ هـ.

ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين)

٣٠ ـ التعريف بالمصطلح الشريف ـ مصر سنة ١٣١٢ هـ .

٣١ ـ مسالك الابصار فى ممالك الامصار ـ طبعة دار الكتب المصرية .

ابن الفوطى (عبدالرزاق) .

٣٢ ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة ـ بغداد سنة ١٣٥١ هـ حققه مصطفى جواد (الدكتور)

ابن قتيبة الدينورى (عبدالله بن مسلم) .

٣٣ ـ الامامة والسياسة مصر ١٣٢٨ هـ .

٣٤ ـ الاخبار الطوال ـ مصر ١٣٣٠ هـ .

٣٥ ـ المعارف ـ مصر ١٣٥٣ هـ.

ابن القلانس (حمزة) .

٣٦ ـ ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت سنة ١٩٠٨ م.

ابن كثير (اسماعيل) .

٣٧ ـ البداية والنهاية ـ مصر سنة ١٣٤٨ هـ .

ابن مسكويه (احمد بن محمد) .

٣٨ ـ تجارب الامم ـ مصر ١٣٣٢ هـ.

ابن المقرب (ابو عبدالله محمد) .

٣٩ ـ ديوان ابن المقرب ـ مصر سنة ١٣٠٠ هـ .

ابن واصل (جمال الدين محمد)

٤٠ ـ مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب ـ مصر سنة ١٩٥٣ حققه الدكتور جمال الدين الشيال

ابن الوردى (عمر) .

٤١ ـ تتمة المختصر فى اخبار البشر ـ مصر سنة ١٢٨٥ هـ .

٤٢ ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ مصر .

ابو شامة المقدسى (عبدالرحمن) .

٤٣ ـ الروضتين فى اخبار الدولتين ـ مصر سنة ١٢٨٧ هـ .

ابو الفداء (اسماعيل) .

٤٤ ـ تقويم البلدان ـ مخطوط ـ (نسخة فى المدرسة الاحمدية فى الموصل)

٤٥ ـ المختصر فى تاريخ البشر ـ المطبعة الحسينية .

ابو نعيم (احمد بن عبدالله) .

٤٦ ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ـ مصر سنة ١٣٥١ هـ .

ابو الوفاء القرشى (عبدالقادر بن ابى الوفاء) .

٤٧ ـ الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ـ حيدر آباد .

احمد تيمور باشا ـ

٤٨ ـ كتاب التصوير عند العرب ـ مصر ١٩٤٠ م .

٤٩ ـ اعلام المهندسين فى الاسلام ـ مصر ١٩٥٧

احمد عيسى بك

٥٠ ـ معجم الاطباء ـ سنة ١٣٦١ هـ

٥١ ـ البيمارستانات فى الاسلام

ارملة (القس اسحاق)

٥٢ ـ انباء الزمان فى جثالقة المشرق ومفارنة السريان ـ بيروت سنة ١٩٢٤ م .

السير توماس ارنولد

٥٣ ـ تراث الاسلام (الفنون الزخرفية الاسلامية واثرها فى الصناعة) الاوربية ـ ترجمه المحامى جرجيس فتح الله ـ الموصل سنة ١٩٥٤

الازدى (ابو زكريا يزيد بن محمد)

٥٤ ـ تاريخ الموصل (مخطوط) نسخة منقولة فى خزانتنا

الاصطخرى (ابو اسحاق ابراهيم)

٥٥ ـ المسالك والممالك ـ ليدن سنة ١٩٢٧م .

الاصفهانى (عماد الدين الكاتب) .

٥٦ ـ الفتح القسى فى الفتح القدسى ـ مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

٥٧ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ حققه الاستاذ محمد بهجت الاثرى ـ بغداد سنة ١٩٥٥ .

عبدال (فرام)

٥٨ ـ اللؤلؤ النضيد فى تاريخ مار بهنام الشهيد ـ موصل سنة ١٩٥١م .

برصوم (اغناطيوس فرام الاول)

٥٩ ـ اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب الرياضية ـ حمص سنة ١٩٥٦

البشارى المقدسى (شمس الدين ابى عبدالله) ٠

٦٠ ـ احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ـ ابريل سنة ١٩٠٩م ٠

البندارى (الفتح بن على بن الفتح قوام الدين البندارى الاصفهانى) ٠

٦١ ـ تاريخ دولة آل‌سلجوق (اختصر كتاب‌الامام‌عماد‌الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهانى) سنة ١٣١٨ هـ ٠

البكرى (عبدالله) ٠

٦٢ ـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ـ مصر سنة ١٣٦٤ هـ ٠

البلاذرى (ابو الحسن احمد) ٠

٦٣ ـ فتوح البلدان ـ مصر سنة ١٣٥٠ هـ ٠

بنيامين التطيلى ـ

٦٤ ـ رحلة بنيامين ـ ترجمة عزرا حداد ـ بغداد سنة ١٣٦٤ هـ ٠

التادفى (محمد بن يحى) ٠

٦٥ ـ قلائد الجواهر فى مناقب الشيخ عبدالقادر ـ مصر سنة ١٣٥٦ هـ ٠

الجاحظ (عمرو بن بحر) ٠

٦٦ ـ التبصر فى التجارة ـ مصر سنة ١٣٥٤ هـ ٠

جرجى زيدان ـ

٦٧ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ طبع دار الهلال ٠

٦٨ ـ تاريخ التمدن الاسلامى ـ مصر سنة ١٩١٤م٠

الجلبى (الدكتور داود) ٠

٦٩ ـ مخطوطات الموصل ـ بغداد سنة ١٣٤٦ هـ ٠

٧٠ ـ زبدة الآثار الجلية فى الحوادث الارضية (مخطوط) ٠ نسخة فى خزانتنا ٠

الجهشيارى (محمد بن عبدوس) ٠

٧١ ـ الوزراء والكتاب ـ طبعة الصاوى ٠

حاجى خليفة ـ (مصطفى بن عبد الله)

٧٢ ـ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ـ استانبول سنة ١٩٤٣م٠

الحسينى (على بن ابن الفوارس) ٠
٧٣ ـ اخبار الدولة السلجوقية ـ لاهور سنة ١٩٣٣ ٠
الخطيب البغدادى (احمد بن على) ٠
٧٤ ـ تاريخ بغداد ـ مصر سنة ١٣٤٩ هـ ٠
دى طرازى (الفيكونت فليب) ٠
٧٥ ـ عصر السريان الذهبى ـ بيروت سنة ١٩٤٦ م٠
الديوهجى (سعيد) ٠ مؤلف الكتاب
٧٦ ـ بيت الحكمة ـ الموصل سنة ١٩٥٤ م٠
٧٧ ـ الفتوة فى الاسلام ـ الموصل سنة ١٩٤٠ م٠
٧٨ ـ سور الموصل ـ سومر المجلد الثالث سنة ١٩٤٧
٧٩ ـ الجامع النورى ـ سومر المجلد الخامس سنة ١٩٤٩
٨٠ ـ الجامع الاموى ـ سومر المجلد السادس سنه ١٩٥٠
٨١ ـ صناعة الموصل وتجارتها فى القرون الوسطى ـ سومر المجلد السابع سنة ١٩٥١
٨٢ ـ خطط الموصل فى العهد الاموى ـ سومر المجلد السابع سنة ١٩٥١
٨٣ ـ مسجد الشيخ قضيب البان الموصلى ـ سومر المجلد الثامن سنة ١٩٥٢
٨٤ ـ قلعة الموصل فى مختلف العصور ـ سومر المجلد العاشر سنة ١٩٥٤
٨٥ ـ جامع النبى يونس ـ سومر المجلد العاشر سنة ١٩٥٤
٨٦ ـ الجامع المجاهدى فى الموصل ـ سومر المجلد الحادى عشر سنة ١٩٥٥
٨٧ ـ جسر الموصل فى مختلف العصور ـ سومر المجلد الثانى عشر سنة ١٩٥٦
٨٨ ـ مدارس الموصل فى العهد الاتابكى سومر ـ المجلد الثالث عشر سنة ١٩٥٧
الذهبى (ابو عبد الله محمد بن احمد) ٠
٨٩ ـ دول الاسلام ـ حيدر آباد سنة ١٣٦٤ هـ ٠
٩٠ ـ المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثى ٠ حققه الدكتور

مصطفى جواد

الرسعني الكنجي ـ

٩١ ـ كفاية الطالب في مناقب آل ابن طالب ـ النجف ٠

الروذراوري (محمد بن الحسين) ٠

٩٢ ـ ذيل تجارب الامم ـ مصر ١٣٣٤ هـ ٠

٩٣ ـ يليه قطعة من تاريخ ابن هلال الصابي ٠

زكي محمد حسن (الدكتور) ٠

٩٤ ـ الفنون الايرانية في العصر الاسلامي مصر سنة ١٩٥٠

٩٥ ـ اطلس الفنون الاسلامية ـ نشرته كلية العلوم والآداب القاهرة سنة ١٩٥٨

سبط ابن الجوزي (ابو محمد يوسف) ٠

٩٦ ـ مرآة الزمان ـ نسخة منقولة بالفوستات سنة ١٩٠٧ م٠

السبكي (عبدالوهاب) ٠

٩٧ ـ طبقات الشافعية ـ مصر ١٣٢٤ هـ ٠

٩٨ ـ معيد النعم ومبيد النقم مصر ١٣٦٧ هـ ٠

السخاوي (علي بن احمد) ٠

٩٩ ـ تحفة الاحباب وبغية الطلاب ـ مصر سنة ١٣٥٦ هـ٠

السراج (محمد بن جعفر بن احمد) ٠

١٠٠ ـ مصارع العشاق ـ القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ ٠

السيوطي (جلال الدين) ٠

١٠١ ـ بغية الوعاة في طبقات النحاة ـ مصر سنة ١٣٢٦ هـ ٠

سيوفي (نقولا) ٠

١٠٢ ـ مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل حققه ونشره سعيد الديوه‌جي ـ بغداد ١٩٥٦

الشابشتي (ابو الحسن علي) ٠

١٠٣ ـ الديارات ـ حققه ونشره كوركيس عواد ـ بغداد ١٩٥١

الشنطوفي (علي بن يوسف) ٠

١٠٤ ـ بهجة الاسرار ومعدن الانوار ـ مصر سنة ١٣٣٠ هـ ٠

الصائغ (القس سليمان)

١٠٥ ـ تاريخ الموصل ـ مصر

الصفدى (صلاح الدين خليل بن ايبك) .

١٠٦ ـ الوافى بالوفيات ـ استانبول سنة ١٩٣١ م.

١٠٧ ـ نكت الهميان بنكت العميان ـ مصر سنة ١٣٢٩ هـ .

الطبرى (محمد بن جرير) .

١٠٨ ـ تاريخ الامم والملوك ـ مصر سنة ١٣٢٣ هـ .

عبداللطيف البغدادى ـ

١٠٩ ـ الافادة والاعتبار ـ نشر ما يخص منه مصر فى المجلة الجديدة تحت عنوان (عبداللطيف البغدادى فى مصر) .

العزاوى (عباس) .

١١٠ ـ تاريخ العراق بين احتلالين ـ بغداد .

عمرو بن متى .

١١١ ـ اخبار فطاركة كرسى المشرق .

العمرى (محمد امين خيرالله الخطيب) .

١١٢ ـ منهل الاولياء ومشرب الاصفياء فى ذكر سادات الموصل الحدباء (مخطوط) .

العمرى (ياسين بن خيرالله الخطيب) .

١١٣ ـ منية الادباء فى تاريخ الموصل الحدباء ـ الموصل سنة ١٩٥٥ حققه ونشره سعيد الديوهجى

١١٤ ـ الدر المكنون فى مآثر الماضية من القرون (مخطوط) . نسخة منه فى خزانة السيد ناظم العمرى .

١١٥ ـ غاية المرام فى محاسن بغداد دار السلام نسخة مخطوط فى خزانة المرحوم الحاج امين بك الجليلى .

الغرولى (علاء الدين على بن عبدالله البهائى) .

١١٦ ـ مطالع البدور فى منازل السرور ـ مصر سنة ١٢٩٩ هـ .

فؤاد سيد ـ

١١٧ ـ فهرس المخطوطات المصورة ـ اصدره معهد احياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ م.

القرمانى (احمد) .

١١٨ ـ اخبار الدول وآثار الاول ـ بغداد ١٢٨٢ هـ .

القزوينى (زكريا بن محمد) .

١١٩ ـ آثار البلاد واخبار العباد .

١٢٠ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات .

قطلو بغا ـ (ابن قاسم)

١٢١ ـ تاج التراجم فى طبقات الحنفية ـ نسخة مخطوطة . فى خزانة مدرسة الحجيات فى الموصل .

القلقشندى (ابو العباس احمد) .

١٢٢ ـ صبح الاعشى فى صناعة الانشا ـ طبع دار الكتب المصرية .

الكاتب البغدادى (محمد بن الحسن بن محمد) .

١٢٣ ـ كتاب الطبيخ . الموصل سنة ١٣٥٣ نشره الدكتور داود الجلبى

م . س . ديماند

١٢٤ ـ الفنون الاسلامية ـ ترجمة احمد محمد عيسى .

المسعودى (على) .

١٢٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ مصر سنة ١٣٤٦ هـ .

المقريزى (احمد بن على) .

١٢٦ ـ السلوك فى معرفة دول الملوك ـ دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٤ م .

١٢٧ ـ المواعظ والاعتبار (خطط المقريزى) ـ مصر .

الواقدى (محمد) .

١٢٨ ـ فتوح الشام ـ مصر سنة ١٩٥٤ م .

الوترى (احمد بن محمد) .

١٢٩ ـ روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ـ مصر سنة ١٣٠٦ هـ .

الهروى (ابو الحسن على) .

١٣٠ ـ الاشارات الى معرفة الزيارات ـ دمشق سنة ١٩٥٤ م .

الهمدانى (محمد بن الفقيه) .

١٣١ ـ كتاب البلدان . النجف

اليافعي (عبدالله بن اسعد) ٠

١٣٢ ـ مرآة الجنان ـ حيدر اباد سنة ١٣٣٨

ياقوت الحموى ـ

١٣٣ ـ معجم الادباء (طبع دار المأمون) ٠

١٣٤ ـ معجم البلدان مصر سنة ١٣٢٣ هـ ٠

يشوعد ناح ـ (مطران البصرة)

١٣٥ ـ الديورة فى مملكتى الفرس والعرب ـ الموصل ٠ ترجمه ونشره الاب لويس شيخو ٠

اليعقوبى (احمد) ٠

١٣٦ ـ تاريخ اليعقوبى ـ النجف سنة ١٣٥٨ هـ٠

يوسف بن الملا عبد الجليل الحلبى ـ

١٣٧ ـ الانتصار للاولياء الاخيار (مخطوط) ٠ نسخة منه فى مكتبة الجامع النورى

× × ×

١٣٨ ـ الف ليلة وليلة ٠

١٣٩ ـ التاريخ السريانى (الرهاوى) المجهول ـ القسم المدنى نشره البطريرك افرام رحمانى ـ لبنان سنة ١٩٠٠ م٠

١٤٠ ـ جوهرة البيان فى نسب قضيب البان (مخطوط) ٠

١٤١ ـ خان مرجان ـ اصدرته مديرية الآثار القديمة العامة فى بغداد ٠

١٤٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية ٠

١٤٣ ـ دليل تاريخى على مواطن الآثار فى العراق ـ اصدرته مديرية الآثار القديمة العامة ٠

١٤٤ ـ دليل متحف دار الآثار العربية ـ اصدرته مديرية الآثار القديمة العامة ٠

١٤٥ ـ دليل المتحف العراقى ـ بغداد سنة ١٩٤٣ اصدرته مديرية الآثار القديمة العامة فى بغداد ٠

١٤٦ ـ مجلة الاستاذ (اصدرتها دار المعلمين العالية سنة ١٩٥٥)

١٤٧ ـ مجلة الجزيرة ـ الموصلية ـ السنة الاولى سنة ١٩٣٨ م٠

١٤٨ ـ مجلة الرسالة ٠

مجلة سومر

١٤٩ ـ المجلد ٥ سنة ١٩٤٩ ـ الآثار الخشبية في دار الآثار العربية ـ بشير فرنسيس وناصر النقشبندى .

١٥٠ ـ المجلد ٦ سنة ١٩٥٠ ـ صناديق مراقد الائمة فى العراق ـ ناصر النقشبندى .

١٥١ ـ مجلة الكتاب المصرية .

١٥٢ ـ مجلة المجمع العلمى العراقى .

١٥٣ ـ مجلة المشرق .

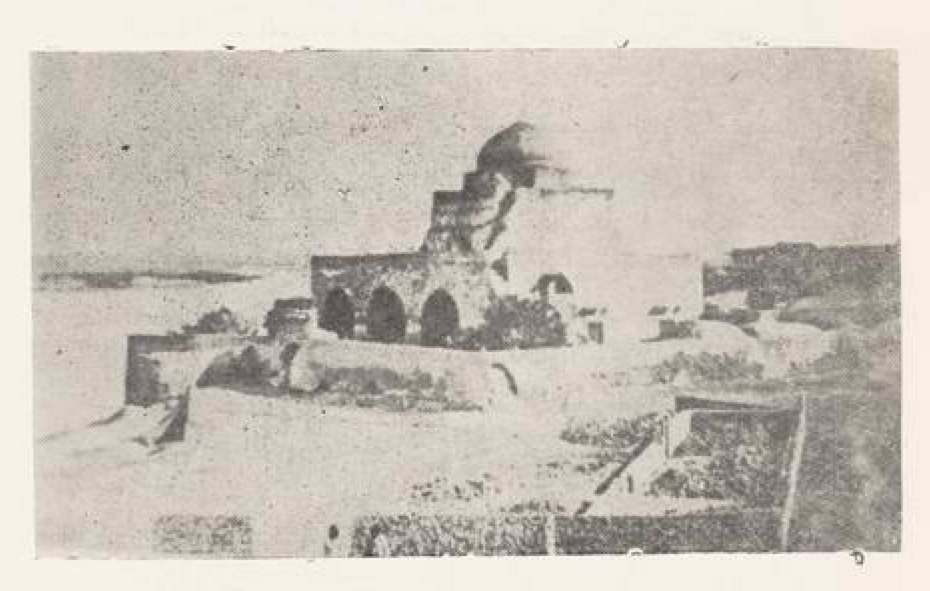
١٥٤ ـ مجلة (المجلة) الموصلية .

155 — Islam Metal Works in the British Museum. London 1929

156 — Chamber's Encyclopaedia : London 1888

157 — Encyclopaedia Britannica, London 1910

158 — Travels of Marco-Polo, London 1903



شكل (٥٤) الجامع المجاهدى فى سنة ١٣٠٥ هـ

الفهرست

الخطأ والصواب

وقعت اخطاء مطبعية لا تخفى على القارىء نشير الى ما وقفنا عليه منها :

ص	س	الخطأ	الصواب
٤١	٢٢	الجنوبيون	الجنويون
٤٣ب	شكل ٥	منجرة	مبخرة
٨٠	٢٤	الدملحاجة	الدملماجة
٩٠	١١	حيدر	حيدرة
١٠٠	١١	ورباط	ورباطا
١٠٠	١	اربعة	اربع
١٠٢	١٣	عبدالله	عبيدالله
١١٥	٨	يستعبد	يستبعد
١٢٦	١٢	بعد	قبل
١٢٧	٩	درب امير المؤمنين	درب الدين الاعلى
١٣١	٢٣	وكلها الربض	وكلها فى الربض
١٣٥	١٨	١١٤	١١١٤م
١٧٠	١١	بارقسوى	بارقسرى

آثار المؤلف

(١) المطبوعة

١ – الفتوة فى الاسلام – طبع فى الموصل سنة **١٩٤٥**

٢ – الامير خالد بن يزيد – طبع فى دمشق **١٩٥٢**

٣ – بيت الحكمة – طبع فى الموصل **١٩٥٤**

٤ – الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم فى الاسلام – طبع فى الموصل سنة **١٩٥٥**

٥ – عقائل قريش – طبع فى الموصل سنة **١٩٥٥**

(٢) المعدة للطبع

٦ – الموصل فى القرن الثانى عشر للهجرة

٧ – جوامع الموصل – فى مختلف العصور

٨ – منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

٩ – معاهد العلم فى الاسلام

١٠ – ابناء الاثير

١١ – ابن دانيال الموصلى

١٢ – الموصل فى العهد الاموى

(٣) الكتب التى حققها

١٣ – منية الادباء فى تاريخ الموصل الحدباء – لياسين بن خير الله الخطيب العمرى – طبع فى الموصل سنة **١٩٥٥**

١٤ – مجموع الكتابات المحررة فى ابنية مدينة الموصل – لنقولا سيوفى – طبع فى بغداد سنة **١٩٥٦**

١٥ – منهل الاولياء ومشرب الاصفياء فى ذكر سادات الموصل الحدباء لمحمد امين بن خير الله الخطيب العمرى – (معد للطبع)



